# الجزء الثاني

من

# كتاب نقد فلسفة دارون

## ودحض شبهات المعطلين

مصنفه

عبدالله الفقير اليه ابو المجد محمد الرضا الاصفهانی
احد خدمة العلم في النجف الاشرف
و كربلا المشرفة كان الله له

٤٢٣٣٧٣

كتابخانه موزه و مركز اسناد مجلس شوراى اسلامى تأسيس ۱۳۰۲ هجری شمسی

طبع في مطبعة الولاية ( ببغداد )
١٣٣١

# ﴿ الجزء الثاني ﴾

من

# ﴿ كتاب نقد فلسفة داروين ﴾

## ﴿ ودحض شبهات المعطلين ﴾

مصنفه

عبدالله الفقير اليه ابو المجد محمد الرضا الاصفهانى
احد خدمة العلم في النجف الاشرف
وكربلا المشرفة كان الله له

٤٢٣٣٧٣

طبع في مطبعه الولاية ( ببغداد )
١٣٣١

# بسم الله الرّحمن الرّحيم

(القسم الثانى) فى الكلام على اثبات الصانع جلت صنايعه ودحض شبهات المعطلين والنظر في آمالهم من هذه الفلسفة وبيان حيلهم ومكايدهم.

(المقالة الاولى) وقف القوم موقف الانكار وشريعة العلم تقضى باقامة الدليل على المثبت وهذا حق علينا لولا ان الامر من البديهيات التى يستدل بهالاعليهاو الاوليات التى تستغنى عن الدليل بنفسها. واذا قال ابو الطيب:

وليس يصح فى الافهام شئ   اذ احتاج النهار الى دليل

فما ذا نقول وكيف نستدل على وجوده تعالى والشمس



على ظهورها من خفى آياته وعالم الامكان باجمعه احد الادلة على وجوب ذاته ان نظرت الى الاشجار رأيتها دفاتر سطرت على اوراقها ادلة وجوده او الى البحار وجدتها قطرة من زاخر كرمه وجوده. جميع ما في الكون ناطق بحمده ومجده. وان من شئٌ الا يسبح بحمده حتى الملحد الذى يلوك لسانه بالتعطيل لا تسمع اذن الاعتبار منه غير التقديس والتهليل .. ونقول مع ذلك ان للعلماء على اختلاف علومهم وتشعب فنونهم ادلة كثيرة على اثبات الصانع .. وقد سلك كل على مايقتضيه فنه وتناسبه صنعته وذكر تلك الادلة لا تناسب هذه الرسالة الموضوعة لاناس لا تتجاوز معلوماتهم لفظى القوة والمادة . ويكاد المتأمل يسدد سهام الملام نحو هؤلاء الاعلام وينعى عليهم تجشم البرهان على مايغنى فيه الوجدان . لولا ان لهم تفننات يظهرون بها قدرتهم على التلاعب باطراف العلوم. فقد برهن بعضهم على ان الخط المستقيم اقصر الخطوط الواصلة بين نقطتين وآخر على ان الخطين المستقيمين لا يحيطان بسطح. وذكر شيخ الصناعة في الاصول البرهان على ان وتر الدائرة يقع في داخلها . هذا على ان الازمنة متشابهة وقد

وجد في ازمنتهم ايضاً شذاذ فسد منهم في التوحيد الوجدان فارادوا تصحيحه بقاطع البرهان وبنوا تلك البراهين على اوليات سلمت من انكارهم ولم تفسدها وساوس صدورهم واني رأيت الله سبحانه يقول افي الله شك فاطر السموات والارض . فعرفت ان الاثبات من القضايا التي تزيح الشك عن نفسها بنفسها واستفدت من عدة آيات بيان ذلك بصورة برهانية . وانا ذاكر هنا ماسنح لي من فضل الله وبركات كلامه الشريف وهو برهان بسيط جداً لا يبتني على اصول موضوعة مبنية في العلوم العالية ولا يتوقف فهمها على مقدمات دقيقة تصل اليها افهام قوم وتقصر عنها افهام آخرين .. وانا أجل المبدء المقدس الاعلى . واقيم البرهان على بداهة وجوده تعالى ثم ادعوا كل احد من المعطلين و كل من علق بذهنه بعض شبهاتهم الى النظر فيه ففيه آرائه المحجة لمن اراد الله هدايته واقام الحجة على من شاء ضلالته .

( اقامة البرهان ) على ان وجود الصانع بديهي لا يحتاج الى البرهان . ونذكر ازيد توضيحه مقدمات كلها بديهية .

( الاولى ) من القضايا مايسمى عند اهل العلم بالاوليات



او البديهيات او العلوم المتعارفة على اختلافات غير جوهرية مابينها ويجمعها انها قضايا يكفي تصورها للحكم بها ولا يقع شك فيها الا من جهة عدم ثبوت موضوعاتها ومتى حصل اليقين بها حصل العلم الضروري باحكامها . فانك تعلم باعلى درجات العلم ان دارك اكبر من نصفها وماذلك الا لقضية اولية وهي ان الكل اعظم من جزئه ولا برهان لهذه القضية الا نفسها .

وتعلم كذلك ان دارك ودار اخيك متساويتان اذا عرفت ان كلاً منهما يساوي دار صاحبك وماذلك ايضاً الا لاولية اخرى وهي ان الاشياء المساوية لشئ بعينه في انفسها متساوية وهذه القضايا كما عرفت يستدل بها لا عليها وعلى جميع النظريات بواسطتها ولا يتم برهان قط الا اذا رجع الى واحدة منها او اكثر بواسطة اووسائط ولولاها لانسد باب البرهان والدليل في العلوم اجمع فهي اساس البراهين والادلة تبتنيان عليها ولا تبتنى عليهما وتستغني بنفسها عنهما . ولابد لخصومنا من الاعتراف بوجود هذه القضايا والا فما يكون جوابهم لمن سلم وقوع التحول وانكره ايضاً فهل لهم جواب له الا قولهم ان امتناع اجتماع

النقيضين من القضايا التى يستدل بها لاعليها ثم يأمرون به الى المستشفى ويوصون به الطبيب . وهذه القضايا لاشك في وجودها وان انكره احدفلا شك انه من السوفسطائيين والشبطيقيين ( اي الارتبابيين ) وخصوصا لايعدون انفسهم منهم .

( الثانية ) تميز الاوليات عن غيرها بنفسها ولامعرف لها احسن منها لدى من صح وجدانه ولكن قدتعرض الوجدان افة من سبق شبهة اوتعصب اومرض عصباني ونحو ذلك فالمعرف حينئذ لها ان هذه القضايا لايختص علمها باحد دون غيره والعامي يشارك فيها العالم بخلاف القضايا النظرية فان العلم بها يختص باهل العلم . فمساوات الزوايا الثلث من المثلث لقائمتين لايعرفه الا اهل العلم . ولكن قضية ان الاشياء المتساوية اذا زيدت عليها متساويه حصلت متساوية يعرفها العامي كما يعرفها العالم والسبب في هذا الفرق واضح ان النظريات لا تعرف بنفسها بل بمقدمات خارجة عنها لا يعرفها غير العالم وهذه القضايا تعرف بانفسها لابمقدمات خارجية يعرفها بعض ويجهلها بعض . فمن قصر وجدانه عن الحكم في قضية بانها اولية اونظرية فليرجع بها الى عموم



الناس وساير طبقات الانام فان رآهم مجمعين على الحكم فيها او في امثالها غير معللين حكمهم بما يخرج عنها فليعلم اولاً انها اولية وانه لاقصور الا في وجدانه ثم ليبادر الى معالجة نفسه فانه داء ربما اعدا وسرى الى ساير وجدانياته وافضى الى مالا تحمد عاقبته .

( الثالثة ) كل غاية لاتحصل الا بمقدمات مترتبة واجزاء كثيرة مختلفة الاوضاع متفاوتة شكلاً وجنساً ونحو ذلك ان وجدت بتلك الاجزاء والمقدمات فالبداهة تحكم بوجود صانع حكيم قصد وجود تلك الغاية وصنع ذلك المركب لاجل وجودها وكلما كثرت الاجزاء وتعددت الشروط واختلفت الاوضاع الدخيلة في حصولها زاد الحكم المذكور وضوحاً . وهذه من اوضح الوجدانيات فان حصل لك العلم بها فاحمد الله تعالى على العافية والا فاعرض الساعة التى في جيبك على من شئت وعرفه بعمد اجزائها ولا اقول بكلها ونبهه بما لزنبركها ودواليبها من الدخل في حركة عقاربها وانتظامها وبما لترتيب الدواليب واختلافها في الصغر والكبر وعدد الوريقات والاسنان من الحكمة وكيف تقوم قوة مرونة الزنبرك اللولبي مقام قوة الثقل وكيف اتقن دولاب

الموازنة بما اخترعه (هريسون) فاذا رأيته تعجب غاية العجب واطرى صانعها غاية الاطراء وحكم بانها لم تصنع الا لضبط الساعات الزمانية فاعلم بان وجدانك قد اصابه الخلل فبادر العلاج وعليك بالدواء قبل ان يتمكن منك الداء .

وبعد هذه المقدمات نقول ان في الكون مالا يحصى من صنوف الحيوان والنبات وكلها بمنزلة الات ميكانيكية واكثرها اكثر اجزاء من الساعة واحسن اتقاناً واشد اختلافاً واعظم غاية ولها شروط كثيرة من وجود الشمس التي تبعد عنها مأة واربعين مليون ورس (١) الى الهواء المحيط بها والماء الذي يجري بينها والارض التي تقلها والسحاب الذي يظلها وقد وضع كل في الموضع اللايق به المتوقف نفعه عليه فلو نصفت المسافة التي بينها وبين الشمس لاحرقتها ولو ضوعفت لم تنتفع بها ولو بعد الهواء منها قيد رمح لماتت خنقاً ولو فارقها الماء برهة لماتت عطشاً

ولو ولو . مما لو احصينا ماوصل اليه منه العقل البشري الى الان لاملينا مجلدات ضخمة في علوم شتى . وزد على ذلك ماترى بين هذه الميكانيكات من الارتباط فالحيوان

(١) الورس الف متر وهذا بحساب فلامريون



مثلا لا يمكنه التغذي بالجوامد الا بواسطة حيوان اونبات ومن الاحياء ماهي بمنزلة الاجزاء لغيره او بمنزلة الخدم له من كريات تقوم بمنزلة الجند لبدن الحيوان ( الفاغوسيت ) وميكروبات وظيفتها كرب الارض لتنموا النبات وحيوانات تدب في تلقيح الازهار الى غير ذلك مما لو تتبعتها من مظانها واعطيتها من التأمل حقها لحسبت الكون كله آلة ميكانيكية عظيمة واجزائها مالا تحصى من الات مختلفة المقادير والاصناف .

فماذا انت صانع ايها المعطل هل ترضى لنفسك ان تكون سوفسطائياً فتنكر المشاهدات ام ترضى لها الخطة الاخرى فتنكر البديهيات ونحن نزيدك بياناً عسى ان يصلح بك الوجدان فتعود الى صف اهل العقل والايمان ونجيب عما ذكره اصحابك من الشبهات وعما قد يخطر في قلبك منها في ضمن مفاوضة قرأناها في سفر النفس النفيس الحاوى لما ينفع الصديق ويسمر به الجليس

( مناظرة المؤمن والمعطل )

جمعت احدى المتنزهات بين رجل من اهل الدين واخر

من المعطلين فتجاذبا اطراف الحديث ودار بينهما الكلام في التمدن القديم والحديث فشرق بهما الحديث وغرب واستغرب احدهما ترقي الغرب وقال احدهما ان انحطاط الشرق منه اغرب .

ولم يزل الحديث يطوى بهما سباسب وقفاراً ويقطع بهما خلجاً وانهاراً حتى خاض بهما بحاراً متعددة وارسى بهما على موانى الممالك المتحدة .

فقال المؤمن لصاحبه هل بلغك النبأ البرقي الذي اشاعته الجرائد منذ بضع ايام بانه سيفتح في (نيويورك) المعرض العام في هذا العام فقال نعم ولمثله يمتطى غارب الاغتراب ويستعذب ما قيل فيه انه قطعة من العذاب فهل لك ان نسافر الى بلاد العجائب لترى الغرائب ونعود بجرى الحقائب .

(المؤمن — ١) نعم هذا ما لم تزل نفسي تتوق اليه وطائر قلبي يحوم عليه لارى كيف تستخدم ما في هذا الكون من القوى الطبيعية التي اودعتها فيه يد القدرة الالهية وارى غرائب الصنايع وازداد يقيناً بالصانع .

(المعطل) هذا ما لا اعرفه ولكني طالما حاولت المهاجرة عن بلاد لا ترى العين فيها الا شعائر اهل الايمان ولا تسمع



الاذن فيها الا الاذان . ان هممت بما اريد من الفحشاء خوفت بغضب رب السماء وان اردت في شهواتي خلع العذار هددت بعذاب النار .. ولو كان الوعيد وعداً لهان على ولكن قد يجعل نقداً . سياط تصب على الجلد . وحديد يعض الرجل . وسيف يفرى الاوداج . ومديه تقطع اليد . وحفرة في حافتها قطع الاحجار معدة لرجم الفجار . وما اشوقني الى بلد لا يدين اهله بغير ترك الدين ويصدق فيه كل احد غير النبيين .

(المؤمن — ٢) لا مفر لك من سلطان رب السماء وله البسيطان الثرى والماء اينما حللت ترى الجباه لعظمته ساجدة والالسن بذكره ناطقة والمعابد لعبادته مشيدة ان استراح طرفك من المساجد اسخنت عينك الكنايس وان لم تقرع اذنك الحيعلات على الصلوة نبهتك لاوقاتها من الناقوس القرعات وان لم تسمع كلام الله قرآناً يرتل ترتيلاً فلابد ان تسمعه توراة وانجيلاً ولو نزحت الى الجزائر المنقطعة عن القارات وسكنت مع المتوحشين بطون الفلوات فلابد ان تسمع بذكر مدبر للكون وقاهر للطبيعة يخشى عذابه ويرجى منه النوال وتقع له الجباه سجداً وترفع اليه الايدي

بالابتهال . فان لم تسمع لفظ الجلالة في ( زيلاندة الجديدة ) سمعت فيها ( توى اتانا ) اي صاحب العالم . وان لم تسمع بالحي الابدي العالم بكل شيء في جزاير اندامان سمعت فيها ( بولوغا ) موصوفاً بهذه الصفات . او بالاله الاعظم في جزاير نياس سمعت فيها ( لربولانجى ) . حتى ان البتاغونين الذين كان المظنون سابقاً انه لا دين لهم يحكى عنهم انه اذا التقطوا عجل بحر جلسوا حول النار واخذ كبيرهم يقسم العجل ثم يرفع عينه شكراً لاله غير منظور اليه لافتقاده اياهم .

وقد الف بعض اخوانك مقالة قال في آخرها ان الدين من صفات الانسان التي يمتاز به عن الحيوان وان الانسان لا يستطيع ان لا يتدين بدين وجعل الدين هو الحد الفاصل بين الانسان والحيوان . ومن الطريف انه ممن لا دين له فبأي حيوان يجب ان نلحقه . هذا ولا تظفر بالنداد من اخوانك الا شذاذاً متفرقين في البلاد تحت نير الاضطهاد وهذا الزمان على انه ربيع المعطلين .. وما كفت في عصر قبله كما كفت عنهم فيه اكف اهل الدين ترى ( بخنر ) يختم شرحه لمذهب ( دارون ) بالشكوى من الاضطهاد



ويقول . واعلم ان زعماء الرأى المادى اليوم لا يزالون يضطهدون كما يضطهدون في الماضي .. ثم يعلل نفسه بالمستقبل قائلاً ( الا ان اهل المستقبل سوف يرفعون شأنهم ويعلون مكانهم ) ولا يدري المسكين ان مستقبل الزمان للدين وان العقول والعلوم كلما ازدادت تثقفاً وتقدماً زاد الدين انتشاراً وظهوراً والالحاد خمولاً ودثوراً حتى تنجلي غياهب التعطيل ولا يبقى قلب الا وهو مشرق بنور الخالق الجليل .

( المعطل ) لكن البلاد مختلفة والممالك المتفقة اظلته سماء الحرية وبزغت فيها شمس المدنية فتقلص فيها ظل السلطة الدينية .

( المؤمن — ٣ ) جهلت معنى المدنية ولم تعرف حقيقة الدين وحسبت تحرر القوم عن رقية المخلوق خروجاً عن عبودية رب العالمين وزعمت الاباء عن الخضوع للمخلوق استكباراً عن عبادة الخالق ونبذ الاوهام الواهنة رفضاً للحقايق الراهنة خطاء في خطاء . رويدك ان بناء المدينة الفاضلة ليس من الماء والطين بل بفضائل وضعت عليها اساس الدين وبشرحه يطول زمان المناظرة ويعوقنا عما عزمنا عليه من المسافرة غير اني ادع التفصيل والاجمال اجمل فاقرء بطرف

التأمل المفصل من ذلك المجمل قال الله عز من قائل (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله) (سورة آل عمران) فهل سمعت ابلغ منها في وصف الحرية وجمع اركانها الثلاثة في سورة واحدة وقال (انما المؤمنون اخوة) . (الحجرات) وهل للتمدن غاية ترمي اليها كالاخوة . وقال (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن) . وقال (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) . فهل تنقض (الارستوقراطية) الجائرة بمثل هذه الحكم البالغة . ولقد اسأت الظن بتلك البلاد ورميتها بأم الفساد ففيها نحو الف وسبعماة كنيسة لا يقل ايرادها سنوياً عن سبعين مليوناً من الجنيهات . فلمن بنيت تلك الكنايس وفي سبيل من تبذل تلك الاموال . ثم قال له المؤمن خذ للسفر متى شئت اهبتك فاني محسن انشاء الله صحبتك ولكن اياك ان تظن بتلك البلاد كل هذا الظن وتجرى فيها الى القبايح مخلوع الرسن فتلاقي ما



لاقى فيها (مكسيم جودكي) لما ذهب اليها يطلب المعونة للمظلومين في روسيا . وكانت معه صديقة له . فلما علم الامير كيون انها ليست زوجته ثاروا عليه وطردوا من اللوكاندة ومن القهوة فقضى الليل في الشوارع تواً ورجع الى اوروبا .

(فصل) تجهز الصاحبان للمسافرة واستويا بعد مدة في الباخرة اما المعطل فلا ادري ما قال وماذا عسى ان يقول فيها ولكن المؤمن قال : (بسم الله مجريها ومرسيها) . فلما ارست على المرسى الا رجل واقف على الساحل فبادره المؤمن بالسلام وحياه بتحية الاسلام وسئله عن مقصده فقال حضور المعرض في (نيويورك) ثم عرض عليهما مصاحبته وشرط عليهما حسن الصحبة فساروا جميعاً وحضروا المعرض .

### ساعة مير

فاستحضرت فيه ساعة علوها ثمانية عشر قدماً وعرضها ثمانية وسمكها خمسة اقدام وفيها الفادولاب يعلوها كرسي من المرمر يجلس عليه مثال (واشنطون) وفوقه خيمة بهيئة الشمسية وامامها اربعة تماثيل طفل وشاب وكهل وهرم تشير الى الفصول الاربعة وتماثيل اخرى كثيرة تشير

بحركاتها الى الثانية والدقيقة والساعة وايام الاسبوع وايام الشهر والفصول والابراج وحركتي الارض وحركة القمر واذا قرع فيها الناقوس فتح خادم ( واشنطون ) باباً وصدحت الموسيقى ووقف ( واشنطون ) على كرسيه فخرج من الباب كل رؤساء الجمهورية على ترتيب حكمهم كل بحسب ما وافق وقته من الملابس وتطارحوا السلام مع (واشنطون) ثم دخلوا من باب آخر فتحه خادم آخر وجلس ( واشنطون ) على كرسيه واغلق الباب .

فأكثر المؤمن والمعطل من العجب بها والتعجب من صانعها وافرطا في اطرائه ووصفاه بجودة الصنعة وبديع التفنن وصاحبها يضحك منهما ثم قال ما اسفت على امر كأسفي على حسن ظني بكما فما صاحبتكما الا لزعمي انكما من اهل العلم لما رأيت من سمته عليكما .. وقد علمت الآن انكما من السذج البسطاء الذين تسود عليهم الاوهام . الى كم تمدحون موهوماً وتعزون اليه صنع هذه الساعة وتزعمون انه صنعها لهذه الغاية وما هي الا نتيجة الصدفة الصماء وعمل الطبيعة في مدة تعد بملايين من السنين وجميع ما فيها نتيجة الاضطرار وليس فيها ما يدل على الاختيار .



وما اتم الصاحب كلامه حتى تغير لون المعطل وارغى وازبد وقال له انك لمجنون فقف من جنونك عند هذا الحد .

فزبره المؤمن قائلاً لماذا تسبه وما هكذا يراعي زمام الصديق ألم يشترط علينا حسن الصحبة اثناء الطريق فاجابه المعطل باني لم ارد السب بقولي بل اوردت النصح له فلعله يتنبه لدائه فيعجل في علاجه .

( المؤمن — ٤ ) عذر حسن ولكن بم عرفت جنونه .

( المعطل ) من نسبته هذه الحركات المنظمة الصادرة من الاجزاء الكثيرة المقادير والهيئات الى محض الصدفة وعده هذه الغايات المطلوبة ناشئة عن الاضطرار .

( المؤمن — ٥ ) وما قولك فيه لو قال مثل مقالته هذه في القطار الذى سافرنا فيه والسكة التي سار عليها .

( المعطل ) كنت اهرب منه حذار ان يعديني داؤه او تصيبني احجاره .

( المؤمن — ٦ ) فلم لم اهرب منك طول الطريق ومدى هذه الايام المتطاولة ومثل ما سمعت منه في مركب واحد اسمعه منك في الوف الوف من صنوف المركبات التي ادناها

لاتقاس بهذه في استحكام الصنعة وشرف الغاية ومنها من صنع هذه الساعة ولقد نقل احد اخوانك من المعطلين عن بعض اهل الدين انه قال اذا كان الذى يصنع ساعة يعد عظيماً فلا شك ان الذى يصنع ساعة تصنع ساعة يكون اعظم فلا بدلك من احد امور ثلاثة . الايمان بالصانع تعالى . او بيان الفرق بين تلك المركبات وبين هذا الساعة . او الاقرار بانك شريك صاحبنا في دائه وان لك النصيب الاوفر منه والسهم الاعلى .

(المعطل) لا اعرف معنى النظام وقد قال احدنا في كتابه ان اللاانظام عندنا نسبي .

(المؤمن — ۷) استدل عليك بالنظام فتستشهد بكلام صاحبك في اللاانظام ولئن اخطات قانون المناظرة فلقد احسنت الاتباع لصاحبك فانه نقل استدلال اهل الحق الذين سماهم اهل الخالق بان ماترا في الوجود من النظام يدل على القصد ثم قال في اصحاب القدم ان ماتسمونه قصداً نسميه ضرورة فالعوالم لما كان بعضها مرتبطاً ببعض بنواميس معينة كان من الضرورة انه اذا حصل تغير في شيء يحصل تغير مطابق له في ساير الاشياء . . ولذلك لم يكن العالم ولا هو كائن ولن يكون بعضه بالنسبة الى بعض الا منتظماً



واللاانظام عندنا امر نسبي . . فلاى نكتة لم يجعل النظام نسبياً بل اعترف به ثم تطفل ذكر اللاانظام وهو مما لم يذكره المستدل . وهل يمكنه الفرق بين النظام واللاانظام فيجعل الثاني نسبياً دون الاول . . ثم هلاقلت لصاحبك . (ومن انتم حتي يكون لكم عند) . ولمن هذا الاصطلاح المختص أللاطباء اهل صناعتك ام للملاحدة اهل نحلتك ام لاهل التحول اهل فلسفتك . . وما المراد منه فان اردتم ان من الاشياء ماتعد غير منظمة ولكن قد يكون بالقياس الى غيره منظماً فهذا لا يختص بكم من كنتم ولكن ماتصنع هذه النكتة الدقيقة في المقام وما نفعها لكم وما الذى يلحق اهل الدين منها . . ثم اني لم ارد بالانتظام معني دقيقاً يلزمنى شرحه ويلجئك الى الاستشهاد بقول صاحبك وانما اردت به هذا الذي شاهدته في هذه الساعة واستدللت به على جنون صاحبنا من دواليب تتحرك ولولا الزنبرك الرئيسي لماتحركت وعقارب تسري ولولا الدواليب لماسرت والحركة المنظمة ولولا دولاب الموازنة لما انتضمت . . ومثل هذا واعظم منه موجود في اكثر صنوف الحيوان والنباتات كما تعلم فلا اطيل البيان بتعداده .

( المعطل ) اما رأيت صاحبي كيف اصاب المحز وقطع المحرد فقال ان ماتسمونه قصداً نسميه ضرورة .

( المؤمن — ٨ ) نعم : ورأيت مثله في موضوع اخر من كتابه وهذا لفظه .

وما نراه من النظام فهو كذلك ضروري لامقصودي لان التغير الحاصل في جزء من اجزاء هذا العالم يتبعه تغير في ساير الاجزاء على حكم الضرورة كنتيجة لسبب فاذا كانت العوالم موجودة على النظام الذي نراها فيه فلانها هي من الارتباط بعضها مع بعض بحيث لايمكن ان تكون على خلاف ذلك فلو تغير نظام احدها لوجب ان يكون التغير شاملاً لعموم النظام ولذلك لم يكن الكون بعضه بالنسبة الى بعض ولاهو كائن ولن يكون الا منظماً وان اختلف في الازمنة الثالثة لارتباط بعضه ببعض وجريه على سنن شامله لجميعه وما ادرى ماذا دهي صاحبك فبينا هو يطيل لسانه على العلماء ويرميهم بخشونة الالفاظ وغموض المعاني اذا اخذ في كلامه ماخذهم بل ادنى عليهم واتى بهذه الشطحات ..

ولو شرحت لك ما اشتمل عليه كلامه هذا وكلامه المتقدم من طرائف الحكمة ودقيق الفلسفة لتشعب ذهنك ولعاقك



عما قصدته من ايضاح امر التوحيد لك فاقتصر على قولي ان كلامنا لم يكن في امر التسمية باحد الامرين من القصد او الضرورة .. ونحن لاننكر ان هذا النظام البديع وترتب الغايات المقصودة منه عليه بعد خلق المادة وجعل النواميس على كيفية تؤدي الى هذه النتايج ضرورة لاتغير ولا تتبدل مالم يغيرها خالقها وجاعلها كما ان حركات دواليب الساعة وانتظام حركات عقاربها ضرورية بعد تركيب اجزائها وترتيبها اذ لابد للدولاب الاكبر من الحركة بعد ضغط الزنبرك عليه وهكذا الدولاب المركزي لاتصاله بالاكبر وهكذا حتى ينتهي الى الدولابين الواقعين تحت المينا ولا بد من انتظام الحركات ايضاً بعد فعل دولاب التوازن ومناسبة اسنان الدواليب وما دامت الالة على هذا الترتيب وهذه الاجزاء فحدوث تلك الحركات المنظمة ضرورية قطعاً ..

فان اردت بالضرورة هذا المعنى فليس مما ينكره اهل الدين بل يستدلون بها على وجود الصانع وكمال حكمته كما استدللت باتقان صنع الساعة على وجود صانعها وقصده للغايات الحاصلة منها ولم تمنعك الضرورة بهذا المعنى عن الاعتراف به بل هي التي دلتك على سعة علمه وبديع

حكمته .. وان اردت من الضرورة ان هذه النواميس
التي تؤدي الى وجود مخلوق كالانسان تجتمع على مايقتضيه
النظام فتحدث الاجزاء اللازمة لحياته وسهولة معيشته وغير
ذلك وترتيبها على مايلزم وتشكلها كذلك من غير جامع لها
وجاعل قصد حصوله من جعلها فهذا هو الذي نمنعه وندعي
البداهة على امتناعه كما فعلته على صاحبنا وسميته مجنوناً
لاجل انكاره ذلك واما انا فيمنعني ذمام المصاحبة عن
مخاطبتك بمثله .. واني انشدك بكل مايعز عندك وجميع
مايحظي لديك اى فرق تري بين مصنوعات هذا الكون
وبين هذا الساعة بعد بعد النسبة بينهما وان الفرق بينهما
كالفرق بين اعظم الميكانيكيات وبين الدواليب التي
تصنعها الاطفال على مجاري المياه . واشنطون بنفسه وحركاته
الكثيرة وحروبه المشهورة ومثال له لايتحرك سوي القيام
والقعود لايمشي ولا يتكلم ولا . ولا . حركة الارض
العظيمة هذه الحركة المنظمة الموجبة لحدوث الفصول الاربعة
على اقصى مراتب الحكمة واتم المناسبة لما فيه صلاح الحيوان
والنبات . وصور تشير اليها قمر يدل بتشكلاته البديعة على
الشهر مدى اجيال تعد بالملايين . وعقرب يدل عليه في قليل



من السنين شمس تدل على السنة . وعقرب يدل عليها . وبيان
الفرق بينهما موكول اليك وهو اوضح منها .. وفرق اخر
وهو ان صانع الساعة عمد الى اجناس موجودة من الخشب
والحديد وغيرهما فركب اجزائها منها والى نواميس مجعولة
فاستخدمها واين هذا ممن اوجد اجزاء مصنوعاته من العدم
فخلق المادة وجعل لها نواميسها ثم حولها تحولات كثيرة
حتى غدا هذا عظماً وذاك لحماً وهذه اعصاباً وتلك عروقاً ..

(المعطل) للمادة قوى طبيعية كافية لحدوث جميع
مايحدث في الكون عرفنا منها بعضاً وادعينا معرفة بعض
وما اعيانا فيه الامران مما ارجاناه الى المستقبل وادخرناه
لاهل الزمان الآتي . بخلاف الساعة اذ ليس للمادة مسبكاً
تسبك فيه الدواليب ولا منشاراً ينشر به الخشب .

(المؤمن — ٩) ان اصحابك يسمون ميكانيكيين
لقولهم ان الكون الة ميكانيكية عظيمة لجميع مافيه
من الصور المتنوعة والقوى المختلفة اجزاء لتلك الميكانيكية
العظمى وهي لها كالدواليب ونحوها لهذه الساعة .. واني
اناظرك في الكون باجمعه هذا المنتظم الذي في طيه مالايمكن
احصائه من المركبات المنظمة واطالبك بالفرق بينها وبين

هذه الساعة واقول كيف جوزت وجود تلك الميكانيكية
العظمى بلا موجد حكيم ولم تجوز وجود هـذه الساعة
الصغيرة الواحدة .. وانى لاعجب من اصحابك كيف يجذون
اصلهم باكفهم ويقربون الطريق الى دحض مذهبهم اذ بعد
التسليم بان الكون ميكانيكية منظمة لا يبقى لردهم سوى .
ما تحكم به بداهة العقل ويقضى به صريح الوجدان من ان
صدورها عـن قوى صامتة .. ثم اقول ان في الطبيعة ايضاً
ما يكفى لايجاد هذه الساعة بل ولكل الة ميكانيكية دقت
اوجلت .. اذ المعادن التى تتركب منها الدواليب موجودة
في الطبيعة والبراكين لاصهارها كافية . فاذا جرت وهى
مصهرة عـلى قطع من الاحجار المختلفة وحُفر في الارض
لاشكالها متناسبة وفاجأها البرد حينئذ جمدت وتشكلت
باشكال ما جرت عليـه وكانت لها بمنزلة القواليب ثم اذا
ارتفع البحر وطمى عليها الماء لعبت بها التيارات وضربتها
بالصخور والاجسام التى تحت البحر حتي تحدث لها الوريقات
والاسنان على مدي دبوات الاجيال فتحسر عنها الماء وهى
دواليب كاملة ثم تلعب بـه الرياح الزعازع وتصقلها بحك
بعضها على بعض وتحملها العواصف وتجمعها في بعض كهوف



الجبال ثم ان جوارف السيول تقلع اشجاراً وتضربها على
صخور الجبال وتكسرها قطعاً على الاشكال المناسبة للساعة
فتحمل ايضاً على متون الرياح الى حيث تنتظرها الدواليب
فتعود آلة ميكانيكية تامة .. وان نقص علمك عن اتمام
شيء منها اومن سائر الميكانيكيات فان شئت استعنت
بالصدفات الدارونية ولا عار عليك في التأسي بامام اهـل
النشو والارتقاء واذا كان يفرض الف قحط ويميت ملايين
مـن جنس الزرافة جوعاً ليطيل به عنق الزرافة الموجودة
الآن افتعجز عن فرض ما يتم لك تعليل ما شئت .. وان شئت
ارجأت امره للمستقبل وقنعت بما عرفت متحمساً بقول
بخنر فى ( المقالة الثانية ) ان التقدم ولو خطوة في سبيل
كثير العقبات كهذا يحسب نجاحاً كبيراً ودافعاً حمـلات
خصومك بمثل قول ( بربر ) في كتاب طوائف الحيوان ان
تلك المسائل لزم اكتشافها ولا يصح ان تكون اعتراضات
على مذهب التسلسل والاقدام والجسارة من اعظم ما يفتخر
به اصحابك فكن مقداماً واجعل الميكانيكيات اجمعها
من هذا القبيل وانكر وجود ( مستر واط ) مخترعها واجعله

فرضاً سببه نقصان العلم وقل ان وجوده من الاوهام السائدة على العقول ولعمري وما عمرى على بهين انه اهون من انكار صانع هذا الكون اجمع . وانت ياصاحبي ان كنت لاتجزم بصانع مريد المركبات المنتظمة الا بعد الجزم بعدم وجود اسباب طبيعية كافية فلماذا قطعت بوجود صانع هذه الساعة وتهكمت بصاحبنا وان كان وجودها كافياً للعلم بوجود مريد صانع لها ولو باستخدام القوى الطبيعية وكانت البداهة حاكمة بان القوى الصامتة لاتجمع على ان تحدث مركبات تامة نافعة فلا تعطيل وان سلمت منك كفاية مافي الكون من النواميس لاحداثها . كما في صانع الساعة اذ لم يات بخارق للطبيعة ولم يتعد سنن الطبيعة الى المعجزة وانما وجد نواميس لها فاستخدمها ولم يستخدم خارجها منها غير علمه وارادته فليكن الامر فى صناعة الكون كذلك ويبقى الفرق ان صانع الكون جلت عظمته اوجد تلك الاسباب لهذه الغايات وصانع الساعة لم يوجد شيئاً بل وجد مواداً موجودة فصنع منها ماأراد .

( المعطل ) تقدم العلوم في هذا العصر بابحاث المتأخرين لم يدع حادثاً من غير تعليل وليس كما سبقه من الاعصار



التى كان العلماء لايهتدون الى علل كثير من الحوادث فيفزعون الى القدرة الالهية . وقد علمنا الان من نواميس الطبيعة مايكفي لتعليل اكثر ماخفى على المتقدمين الوجه فيه وعلى المستقبل رفع الحجاب عما خفى علينا الان فلا حاجة الى .. وهذا هو الذى تقرره زعماؤنا في كتبهم ويلقيه علينا خطباؤنا في خطبهم واماهذه الساعة فليست لها نواميس كافية لحركاتها .

( المؤمن — ١٠ ) اما تقدم العلوم فقد زادنا بصيرة في الدين واورثنا يقيناً على يقين اذ تضاعفت به عندنا شواهد الاثبات وببركته ظهرت لنا كنوز الايات الخفيات .. عرف الاقدمون وجود الصانع تعالى من وجود شمس واحدة وقمر واحد وارض واحدة وسيارات سبعة وعناصر اربعة وغير ذلك فهل صنع تقدم العلم شيئاً سوى انه كشف لنا تعدد تلك الشواهد واعطانا الفاً بواحد وابان لنا تضاعفها ولم يكن قط تلك الحوادث التى لاتعليل لها دليلاً يعتقد عليه المؤمنون ليضعف بتقدم العلوم بل كان الدليل الوحيد هو انتظام تلك العلل المرتبة فكلما ازدادوا معرفة بها ازدادا يقيناً بخالقها ومبدعها .

وانى ادعك سائراً في غلوائك ولا اكذبك في ادعائك ولو شئت لاسمعتك اعتراف ائمتك بجهل معظم نواميس الكون وبينت لك مالهم من الاوهام والمناقضات في مايعللون به انفسهم فى تعليل الحوادث واقتصر على سؤالك عن هذه الساعة لوكانت الدواليب الموجودة فيها غير كافية لجميع حركاتها وكان يحتاج بعضها الى تحريكه باليد . الم يكن نقصاً فيها ودليلاً على ضعف قدرة صانعها وعجزه عن اكمال صنعتة .. ثم لوكانت هذه الساعة لاتحتاج الى المفتاح ولاالى من يحملها بل كان الزنبرك يلتف باسباب معدة لذلك وتحضر المحضر في وقته بقوة فيها من غير ان يتكلف احد حملها الم يكن اكمل مما هى عليه الان . المعطل لاشك في كلا الامرين . فقال له المؤمن ماذا تنقم اذاً من القدرة الكاملة الالهية التى اتقن صنع ما صنع واتم اجزائه ولم يدع فيها موضعاً للو وليت وكيف تقلب الدليل الدال على كمال قدرته وحكمته فتجعله ذريعة الى انكار مقدس ذاته . هذا ان تم لك ادعاء ان النواميس الموجودة كافية لتعليل جميع مايجرى في الكون وانه لايقع فيه امر بغير ناموس طبيعي وانى لك باثباته .



( المعطل ) فلسفة دارون لم تدع مجالاً للقصد والغاية فى اعضاء المخلوقات اما سمعت بختر يقول ان الذى ينظر الى هذه الاعضاء نظراً بسيطاً باعتبار فائدتها ونسبتها الى الاحوال المختلفة للطبيعة بقطع النظر عن الماضى يجد فيها من الموافقة والمطابقة مايحسبه مقصوداً . واما العالم فلايبحث فيما هى عليه من النظام اليوم فقط بل فيما كانت عليه في الماضى ايضاً وباى الطرق الطبيعية وصلت اليه من الاحكام على نوع غير محسوس . وهنا يبسط لنا مذهب ( دارون ) التعليلات الصريحة والادلة المأخوذة ليس من الفلسفة وحدها فقط بل من الحوادث والامثلة الحية ايضاً . وقد جعل ايضاً ازالة الاعتقاد بالاسباب الغائية نتيجة اخرى لادخال الفلسفة في العلوم الطبيعية ربما كانت اعظم من مذهب ( دارون ) نفسه .

( المؤمن — ١١ ) سمعت ذلك وقضيت منه العجب وهل فلسفة ( دارون ) الا اثبات تحولات كثيرة متوالية للاجسام الحية مع سير بطيء دائم الى الارتقاء معللاً ذلك بالانتخاب الطبيعى واى الامرين تراه منافياً للقصد والغاية اصل التحول والارتقاء ام تعليلهما بالانتخاب . الا يقنع

منكر ( التلولوجيا ) (١) عن اصل التحول بما قنع غيره من الهوى فقال . واخلص منه لا علي ولا ليا . الا يرى ان من يريد ان يسك ديناراً يعمد اولاً الى تراب المعدن فيستخلص الذهب منه ثم يذيبه ويجعله في صورة المايعات ثم يصوغه سبيكة يجعلها قطعاً يطبع منها ديناراً . فهل يرى ان يسلب منه القصد لصنع الدينار لانه حول المعدن بتحولات عديدة حتى غدا ديناراً او يرى ان ذلك دليل القصد مع الدلالة على علمه وحكمته .. ثم اخذ الصائغ ذلك الدينار فصاغ منه خاتماً ثم تغيرت المصلحة الموجبة لصنع الخاتم واقتضت ان يصوغه فتخة وبعده قلباً ثم قرطاً فهل تدل هذه التحولات على عدم القصد او تدل على وجود الصانغ وعلمه بمقتضيات الازمان وقدرته على ماراد ..

فماذا على القدرة الالهية اذا خلق الفرس بعد تحولات عديدة لعلمه بانه لايكون في صورة الفرس على النظام الاتم حتى تلبس قبله صوراً اخرى احط منها . او اختلاف المصالح بحسب اختلاف الازمان والتغيرات الحادثة في الوسط واختلاف جنس المعيشة اوجب تغير صور اجداد الفرس

---

(١) علم الاسباب الغائية



فشكل كلاً منها على مايناسب العوارض واحوال الوسط.

ابعد هذا كله يعد انتقاض دعائم ( التلولوجيا ) ثمرات هذا المذهب . ولو كان هذا كافياً لنقض دعائمه لكانت منقوضة من قبل ان يوجد (دارون) بثمرة النخل لانها لاتصير رطباً حتى تكون بسراً ولا بسراً حتى يكون بلحاً . وبالرجل لايكون كهلاً حتى يكون طفلاً ولا طفلاً حتى يكون جنيناً وعليه لا تسلم دعائم (التلولوجيا) من الانتقاض الا ان تنشق الارض عن نخلة متدلية العثا كل فيها الرطب الجنى. وتقوم المرئة عن شيخ ابيض اللحية منحدب الظهر. ومن العجب الذي لاعجب فوقه ان احدهم اذا رأي المقربة (التلسكوب ) ولم يكن سمع بها قبل فلعله يحتمل بادي بدء انها من صنع طفل وضعها للعبه ا وانها مما قضت الا تناقات به ولكن متى ادناها الى عينه ورأي البعيد بها قريباً علم انها وضعت لهذه الغاية وان صانعها من الحكمة بمكان ثم انه بعينه يرى ايضاً ان له عيناً يرى بها الاشياء من ادنى الارض اليه الى ابعد نجوم السماء . وهى لاتقاس بالمقربة في حسن المنظر واتقان الصنع وكثرة الاجزاء وعظم المنافع والى غير ذلك ثم لايعلم انها وضعت لهذه الغاية

ولا يقف عند هذه الحد بل يتجاوزه الى انكار صانعها واذا سئلته عما اوجب انكاره يقول .

انهـا كانت على مذهب (دارون) نقطة عصبية حساسة ارتقت حتى بلغت حالتها الحاضرة بعد ان مرت بدرجات من التغيير غير محدودة .

(بختر) ص ١٣١ ويري التدرج في الوجود من خلع صورة ولبس صورة مانعاً عن القصد كأن الايجـاد الدفعي ضربة لازب على القاصد . وهو يعلم ان المقربة ايضاً لم تبلغ حالتها الحاضرة الا بعـد تحولات متعددة . كان اصلهـا رملاً في (بركشير) فلازال يتقلب في اتانين الصهر والتليين والبسط ويضاف اليه الصودا والكلس ويتحول الى اشكال مختلفة حتى غدا عدسية مقربة .

واذا بلغ فساد وجدان الانسان الى مرتبة يرى ان له عينين يرى بهما ورجلين يمشي عليها واضراساً يمضغ بها طعامه ولساناً يقوم به كلامه ثم لا يدرك انهـا موضوعة للرؤية والمشي والمضغ والتكلم فماذا يقال له وماعسى ان يرجى فيه بعد ذلك وما الذي ينجع فيه . واما تعليله بالانتخاب فلاينافي القصد ايضـاً اذليس هو العامل الوحيد في وجود هذه الاعضاء



المنظمة التى للاحياء بل العمدة فيه على هذا المذهب نواميس المباينة التي لم تعرف الى الان وهى مدخرة للقرن العشرين كما يقول (دولبر) ونواميس الوراثة وهي مما لايزيد (دارون) فيها على الامل بان المستقبل يرفع عنها الحجات فبالمجهولات الاول تختلف الاولاد عن الاباء وبالثانية تنتقل النافع منها للاعقاب . واما الانتخاب الطبيعى ان تأملته سوى عامل غشوم يتمذهب بمذهب (شو) يبيد الضعفاء فقط وليس من وظيفته احداث القوة وتكثير الاعضاء وقد بسطنا شرح ذلك في محله .

***

وانت اذا فرضت عود الحياة الى تلك الاحيـاء التى قضت عليها فلسفة (دارون) القاسية واهلكتها بالانتخاب الطبيعى جوعاً وعطشاً ثم اعدتها بفكرك الى صف ساير الاحياء وجعلت كلاً منها بجنب ماينـاسبه من الاصناف الموجودة فهل يكون الحاصل سوى اصناف اخري لانواع الاحياء الموجودة اوانواع اخرى مثلها وكلها تامة الاجزاء كاملة الصنع موهوب لها ماتحتاج اليه في معيشتهـا وبقاء

نسلها . وهل كنت ترى انتقاض استدلال المؤمنين باتقار
الصنع المشاهد في الزرافة والفرس الحاليين اذا قام بجنب
الاولى نوع منها اصغر جسماً واقصر عنقاً وبجنب الثاني
صنف منه في حجم الثعلب له خمس اصابع في اليد وثلث
في القدم (الفرس في الدور الايوسيني ان سمي فرساً) وكنت
تري شواهد للاثبات تترى وادلة عليه يتلو بعضها بعضاً
وان ابيت عن ذلك فالشارح ينقل عن (دارون) الاعتراف
بنواميس كثيرة معلومة ومجهولة ويلزمه ببعض نواميس
اخرويرى ان للطبيعة تفننات كثيرة في تحويل الاحياء وعلى
هذا اوذاك وبعد هذا الضوضاء والصخب رجع الامر الى
اجتماع عوامل كثيرة وقوى صامتة على ايجاد مركبات
كاملة منظمة وهذا هو الذى تحكم البداهة باستحالته الا
ان يديرها مبدء شاعر ويستخدمها لما يريد فانظر هداك الله
تعالى الى مانبهتك عليه بطرف الانصاف ثم انظر الى كلام
(بخنر) لترى كيف لاتلتئم اطرافه ولا تتألف اجزائه . يجعل
المطابقة مع المقصود مع قطع النظر عن الزمان الماضى . وما
على القائل بالقصد اذا لم يقطع النظر عنه وقال ان تلك الازمنة
معدات لهذا الزمن المقصود شأن سائر المصنوعات التى لابد



لكمالها من مرور ازمنة عليها وهى ناقصة . على ان المطابقة
كانت موجودة في جميع ادوار التحولات لكن بحسب
مقتضى الوقت ومناسبة ساير الجسد . ثم يقول ان العلم يبحث
عما كانت عليه في الماضى . فليبحث علمه عنها عن اى وقت
شاء . بحث الباحث عن حتفه بظلفه فادلة القصد تزداد بذلك
وضوحاً على وضوح وقوة على قوة ويقول ان هنا يبسط لنا
دارون التعليلات الخ . فليبسط ماشاء فلا بأس منه على
المؤمن المعتقد بان الله يجري الامور باسبابها . بل له فيه
من النفع اضعاف مايقدره هذا واخوانه من الضر . ويجعل
ازالة الاعتقاد بالاسباب الغائية نتيجة ربما كانت اعظم من
مذهب (دارون) وهذه الاراء كما عرفت تؤيد ذلك الاعتقاد
ومن الطريف جداً ان اساس هذا المذهب مخترعين (دارون)
وهو على انه يتلون تلون الحرباء يصرح بلفظ الخالق في عدة
مواضع من كلامه ويجعل ارائه انسب بحكمته وادل على
قدرته و(ولس) وهو يصنف في التوحيد كتاب عالم الاحياء
ويستدل بنفس ارائه على وجود الصانع وكمال حكمته
ويجعل الانسان نتيجة مقاصده ولكن الاذناب والاتباع
الذين اقصى مفاخرهم فهم مقاصد هذين الرئيسين يقلبون

لهما ظهر المجن ويقولون ماسمعت . وما اوقع اصحابك فيما وقعوا فيه الا سوء التفاهم وعدم ادراكهم حقيقة مرام المؤمنين حيث زعموا ان اهل الدين يعزلون الاسباب عن المسببات ويقيمون مقامها المعجزات . فشرعوا اسنة اقلامهم وشحذوا ظبا السنتهم ورموا الدين بقوس واحدة فلا يرون مغناطيساً يجذب الحديد ولا يسمعون بكهربائية تتولد في بطارية (ليدن) الا وحملوا على الدين جاعلين شعارهم لفظ العلم فكان العلم وهو اعظم انصاره خصمه الالد وعدوه الازرق ولو عرف اصحابك حقيقة الدين وادركوا مرام اهله لم يبق على التعطيل ذريعة لشهواته واتخذه مركباً يسير به نحو مبتغياته .

واعلم ان اهل الدين لا ينكرون ترتيب الاسباب والمسببات بل يمنعون وجود شيء في الكون دق او جل الا بعلة كافية ويبينون لتلك العلة علة ايضاً وهكذا حتى ينتهي الى علة العلل وهم في المحافظة على الاسباب بمرتبة لا يبلغها هؤلاء فهم يدعون الضرورة على بطلان الصدفة والاتفاق . وانت اعلم بمن يبني كثيراً من آرائه عليهما . وانك ترى في اهل الدين قوماً يهونون امر الاسباب



محافظة على التوحيد ولكنهم لا ينكرون الاسباب بهذا المعنى الوجداني الذي يدركه هؤلاء ونتكلم فيه الآن بل نزاعهم في امر ديني يدق عن الافهام المحبوسة في مطابق المادة القاصرة على الامور المحسوسة وبيان ذلك ليس من شرط هذه الرسالة ويكفينا ان نقول كيف يحتمل عاقل ان هذه الفرقة ومنها من لا يحصى عددهم من العلماء المبرزين في كل فن وصنعة تنكر احتراق الخشب الجزل اذا وقعت عليه النار او انطفاء النار اذا طمى عليها الماء ويظن باحدهم انه لا يبعد النار عن ثوبه اذا وقعت عليه لم لانه ينكر تأثير الاسباب . ولقد اطلت لك البيان حتى خشيت عليك الملالة وما ذاك الا حرصاً على رفع سوء التفاهم الذي وقع لاصحابك فاوردهم رنق التعطيل وزادهم عن ورد المنهل العذب من التوحيد .

وفذلكة كلامي ان اهل الدين يعترفون بكل ناموس طبيعي اكتشف الى الآن او يستكشف مدى الزمان ان كان مما يثبته الاختيار ولا تكذبه شواهد الامتحان وليس ذلك عندهم مما يضر بالدين بل يزيدهم يقيناً على يقين .

( فصل ) ولما انتهت المناظرة بين المؤمن والمعطل الى

هذا البحث وجدا صاحبهما يحد النظر الى الساعة متأملاً
في اجزائها ضاحكاً منها (فسئله المعطل) عن السبب فقال
انى ارى فيها العجب دولابين زائدين وخللاً في تركيبها في
موضعين (فقال) له المعطل قد هاجت بك المرة السوداء
مرة ثانية واخشى ان تعود عليك ثالثة ورابعة ولم لا تقبل
منى النصيحة في مراجعة نطاسي الاطباء قبل ان يستحكم
بك الداء فلايبقى لك مطمع في الشفاء امالك فيما عرفت من
فوائد الف وتسعماءة وثمانية دولاب ما يعرفك بان صانعها
لا يجعل فيها ما لا نفع فيها بل يحثك على الفحص عنهما
والتفكر فيهما فعسى ان ينكشف لك الغامض من سرهما
اليس فيما عرفت من انتظام ساير الاجزاء ما يرشدك الى ان
ما زعمت من الخلل انما هو في علمك ولا اقل من ان يكون
الخلل من جهة موجباً لانتظامها من جهات اخر او لحكم لا
يعرفها الا من بلغ علمه درجة علم صانعها . فسكت الصاحب
ورجع الخصمان الى المناظرة .

(المعطل) لم يبق في كنانتي سوى سهم افوق وهو
انكار النظام فقد تحقق في مذهب (دارون) انه لا يخلو جسم
حيوان من الحيوانات العليا من اعضاء زائدة تسمى اثريه



وهى على ما قال بعض اصحابنا تنقض الغاية وتنفى القصد
ويقول (بخنر) اننا نتعجب اليوم من صنع العين الدقيق
التى هى اكمل الاعضاء والطفها والتى اصلها حسب تعليل
(دارون) نقطة عصبية حساسة ارتقت حتى بلغت حالتها
الحاضرة بعد ان مرت بدرجات من التغيير غير محدودة
ومع ذلك فهى ليست في غاية الاتقان والاحكام لان احسن
العيون لا يمنع تبدد النور الخ . وهذه الاعضاء الاثرية
ثمينة في مذهبنا جداً لانها تثبت النشو وتنفى الخلق وتنافى
القصد وتنقض الغاية وتبرم ما بيننا وبين البهم من العلاقة
وتبين لنا طبقات اجدادنا الكرام من ضنوف الحيوان
وتبنى لنا الشرف الباذخ من القرابة القريبة مع القرود .

(المؤمن — ١٢) سرعان ما نسيت اعتراضك على
صاحبنا اراك ما نقمت منه شيئاً الا وقد جئت بادهى منه
وامر وانا لا اخذك بما اخذته به وادع له ليأخذ بثاره منك
ولكننى لاعجب اشد العجب من اصحابك كيف خفى عليهم
ان هذه الاعضاء ان ثبت وجودها فهى من اتم الادلة على
وجود الصانع جلت صنايعه ومن اقطع البراهين على حكمته
وعنايته بخليقته . فهل هى الاعضاء لا زالت تعمل فيها

يد القدرة الالهيه وتهيأها العنايه الازليه للحيوان عند احتياجه اليها بما لا يحصى عدده من السنين فيتم خلقها وتصير قابلة على اداء وظايفها ابان احتياج الحيوان اليها . ثم ترفع الحكمه الكاملة المنزهه عن اللغو والعبث ثقلها عن كاهل الجسم بعد الاستغناء عنها تدريجاً كما بدأها كذلك جرياً على عادته المقدسه في نظام هذا الكون . فهل هى مما ينفى التوحيد او يثبته وينقض بنيان القصد ام يشيده . وان كان اصحابك لا يقنعهم الا وجود الفائدة للعضو في جميع ازمنه وجوده ويرون انتقاض القصد والغايه بخلوه عنها ولو ساعه فلينفوهما عن نظاير ذلك من صنايع البشر . ثم ان لهم في ثدى الجاريه قبل بلوغها واعضاء تناسل الغلام قبل بلوغه الحلم غنى عن الاستدلال بهذه الاعضاء التى تتشتت المذاهب فيها والمثبتون لها يختلفون في كثير منها . نعم لو وجدت فضولاً في الجسم لم يقترن بها نفع الحيوان ولا يرجى له نفع في المستقبل لكانت حجه لاصحابك ولكن هل قرع سمعك دعوى ذلك من عاقل . ومن غفلات اصحابك الواضحة ان الاستدلال بالاعضاء الاثرية على النشوء يتوقف على القصد والغاية اذ لو جاز اللغو في تركيب اجسام



الحيوانات لاحتمل فيها ايضاً ولم يعلم ان هذه الاعضاء كانت عاملة في ادواره الغابرة . ووقوع هذا وامثاله منهم يرشدك لو انصفت الى ان الحكمة والقصد مما جبلت عليه فطرتهم وانهم يعرفونها بقلوبهم وان جحدتها السنتهم .

( المعطل ) لعمري ان آثار القصد والحكمة ظاهرة في كل عضو من اعضاء الحيوان ولكنى لا ادرى لماذا يتهكم اصحابنا بمن يدعى ذلك حتى ان احدنا يقول ان باقى العلوم ( ماعدى الطبيعيات ) ولا سيما علم اللاهوت يجعل الاسباب الغائية اساس حجته وغاية برهانه اذ يجد بها ان وضع الانف في وسط الوجه وعدم وضع العين في ابهام الرجل غاية في الاحكام ونهاية في الحكمة .

( المؤمن — ١٣ ) التعصب الاعمى وحب الانقياد للشهوات عن ساير العقلاء يقودان الانسان الى هذا المصرع الوخيم وامثاله والمخالف في امر معلوم بالوجدان لابد له ان يستعمل التهكم بدلاً عن البرهان واما الجواب عن هذا التهكم فلا يكون الا على نمط غير مناسب لاهل العلم ولكن لا بأس بان ننبهه على ما للطبيعة العمياء عنده من اليد البيضاء . فكيف كان حاله لو صورته على ما قاله احد الظرفاء

( كامل ) .

عكست طبيعته فصار من ... متكلماً ومحل ... الفم
وقد استعمل في كلامه هذا خداعاً يستهوى به السذج من
العوام وهو انحصار جهة اهل الايمان في اتقان صنع الاعضاء
وانه اقوى حججهم وذلك جهل منه او تجاهل ولو لم يكن
في الكون الآ حصاة في فلاة لاقام اهل الدين براهين
كثيرة على انها ممكنة مخلوقة اوجدها واجب بالذات .

(المعطل) اسمع حجة بالغة وارى محجة واضحة والاثبات
اذن من اوضح البديهيات فكيف خفي الامر فيه على
قوم يعدون من العقلاء ويدخلون انفسهم في عداد العلماء .
ولماذا قال فلان بالتعطيل وكيف ضل فلان عن لاحب
السبيل .

( المؤمن — ١٤ ) هل لك ان تقنع منى بالاجمال في جواب
هذا السؤال وتجعل سبيل هؤلاء سبيل السوفسطائيين
ومنكرى المحسوسات ونقول فيمن عددت اسمائهم كمقالك
في جمع من فلاسفة المانيا مثل ( كنط ) و(فخت) و(هاجل)
وغيرهم من الشبطيقيين (١) المحدثين اذ السبب واحد

(١) الارتيابيين



فالجواب مشترك .

( المعطل ) جواب الزامي حسن ولكنني اريد معرفة
السبب .

( المؤمن — ١٥ ) اما اذا لم يغنك التلويح وابيت الآ
التصريح فلا تنس امر المستشفى .

( المعطل ) لا يمكنني بما لمحت اليه في اناس اراهم ينشرون
المقالات ويؤلفون الكتب ويلقون الخطب ولا اراهم
يطوفون الازقة راكبين القصب بل وكم فيهم من دكتور
عالج المصابين بهذا الداء فجرى على يده البرء والشفاء .

( المؤمن — ١٦ ) لم ارد بقولى ما ذهبت اليه فاسرعت
في الاعتراض عليه وانما اردت به المرض العصباني الذى
يسمى ( متمانيا ) وصاحب هذا الداء يشارك سائر العقلاء
في استقامة الرأي ودرك غوامض المسائل وحسن التدبير
وغيرها وينفرد عنهم في امر واحد يتعطل فيه وجدانه وتظهر
فيه وسوسته فيشك في اوضح القطعيات ويتعطل وجدانه
في اجلى البديهيات . حتى ان منهم من يزعم انه حبة حنطة
فيخشى الدجاجة اذا مرت عليه . ومنهم من يزعم انه حمل
زجاج فيخاف من ان يصادمه احد فينكسر والقضايا المنقولة

عن المصابين بهذا الداء في الكتب القديمة والحديثة في غاية الكثرة وفي القضايا المشاهدة غنى عن المنقولة .

وقد كان في عصرنا رجل يشارك في عدة علوم . وهو ذو هيبة ووقار وله جيد التدبير في امر معيشته وحسن الاحتيال فيه ولا ينكر منه شيء الآ انه كان يخاف من ان تدخل منارة البلد في انفه فكان لا يمر في طريق يري المنارة فيها واذ اتفق وقوع نظره عليها سد منخريه بكلتا يديه . واسرع في العدو برجليه وصاحب هذا الداء لا ينبز بمطلق الجنون وان نبزه احد به فالجنون فنون .

وان شئت سميته بالعمى الوجداني قياساً على العمى اللوني لأن هذا الداء للبصيرة كالعمى اللوني للبصر فاذا كان من المقرر في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان ستة في المأة من الرجال مصابون بهذا الداء وليس ذلك مما يريبك في وجود الالوان فكيف يريبك في صحة وجدانك وجود اثنان او ثلاثة في الوف ممن بلى بعمى الوجدان .

وان صح مالا يزال يردده معرب (بخنر) واصحابه ولا يصح من ان الالحاد احد ثمرات التمدن الحديث وان الايمان يكثر في المتوحشين ويقل في المتمدنين فقد ازدادت المشابهة بين



العمى الديني والعمى اللوني لانه قد اتفقت التجارب على ان العمى اللوني يصيب المتمدنين اكثر مما يصيب المتوحشين واحدث الشواهد على ذلك انهم امتحنوا بصر (١٥٩٧٣٢) شخصاً من اهالي اروبا واميركا فوجدوا اربعة في المائه منهم عمى عن الالوان ثم امتحنوا بصر كثيرين من قبائل شتى من هنـود اميركا فتبين ان ثلاثة من ( ٤١٨ ) عمى عن الالوان فاستدلوا من ذلك على ان العمى اللوني من نتائج التمدن .

واما استبعادك ذلك في اناس تراهم في سائر احوالهم كسائر العقلاء فما هو الا لعدم معرفتك بحقيقة هذا الداء وخلطك بينه وبين اخيه الاكبر اعنى (مانيا) فقد عرفتك ان مشاركة صاحب هذا الداء في عامة اموره لسائر العقلاء من اخص ما يعرف به ويميز عن المصاب بغيره واعتبر ذلك في منكرى المحسوسات والشبطيقيين فهل كان ( فخت ) يمزق ثيابه بلا سبب او ان ( هاجل ) كان يطوف الازقة على القصب ولا موقع لاستبعادك ذلك فيمن يعد في عداد العلماء بعد ما علمت ان فساد الوجدان من الامراض وانت تعلم ان المرض لا يهاب العالم ولا يحصر نطاق نفوذه في الجاهل بل من

خصائص هذا المرض انه يعترى ارباب العلوم الدقيقة والصنائع العجيبة اكثر من غيرهم فراجع كتاب ( كوزل ) تجده ذكر من اصنافه ارباب هذه العلوم ومخترعى بدايع الصنايع (١) ولو سمح الممرضون ومديرو المستشفيات بالقاء الخطب وتأليف الكتب لسمعت لمن يزعم انه حبة حنطة فيخاف الدجاج خطباً بليغةً ورأيت لمن يزعم انه حمل زجاج مقالات مؤلفة وقوات لمن يزعم انه ثور حان زمان ذبحه كتباً مصنفة وهو معجب بها غاية الاعجاب ولا يناولك الكتاب الا مشترطاً عليك بان تطالعه بكل تمعن واياك ان تظن باني خالفت الشرط في هذا الكتاب واخطأت سنة الاداب واردت بما ذكرت السباب لا وحرمة العلم وذمام الفضيله بل اردت بيان الحقيقة بابسط ماحضرني من البيان وتوضيح الحق باقرب مارأيت من طرق الصواب وللفيلسوف منهم بعد ذمام فلسفته والاعتراف بصحته ساير قواه العقليه .

ولست اول من رمى قوماً ينتمون الى العلم بهذا الداء العقام فقد رميتم بمثله قوماً من الفلاسفة هم اكثر عدداً واكبر قدراً وابعد صيتاً واشهر ذكراً اعني المعتقدين باستحضار

---

(١) مريض شاهده الشيخ وعالجه ونقل قصته في بعض كتبه



الارواح فقال صاحب ارقى مجلاتكم واول من نشر في بلاد الشرق ارائكم فى جواب من قال : ( ان كان استحضار الارواح باطلاً فلماذا صدق به جم غفير من علماء ( اوربا ) و ( اميركا ) وانبرى لاثباته مائتا مجلة ) مالفظه ( كلما رأينا رجلاً من العلماء الذين يعتقدون اعتقاداً اكيداً باستحضار الارواح نرى شيئاً من الخلل والهوس في عقله فانه قد يكون اعلم الناس في امور كثيرة يبنى احكامه فيها على القواعد العلمية ثم اذا حدثته في مسئلة استحضار الارواح رأيته يصدق السخائف وينخدع بما لا ينخدع به ابسط الناس وتعليل ذلك ان مراكز القوى العقليه كثيرة مختلفة فيتفق كثيراً ان ينمو منها بعض على نفقة البعض الاخر فتختل موازنتها لما يتفق ان تقوى القوة الواحدة وتضعف الاخرى ) انتهى فقد رمى هذا الرجل بهذا الداء مصرّحاً بما حملتنا الاداب على التعريض به الجم الغفير من الفلاسفه والكتاب منهم الدكتور ( ولس ) مخترع فلسفة النشو وشريك ( دارون ) فيه والسابق في اشاعتها عليه ورمى صاحبك به ( المستر ستيد ) صاحب مجلة المجلات الكاتب الشهير فقيد العام الذى ابكى رزئه العالم المتمدن وذلك في مقالة مخاطبة الاموات وتفنيد مذهب

(ستيد) وصرح بانه اصيب من هذه الجهة بنوع من الهوس امتلكه وغلبه على ساير قواه العقلية وانه احوج من هذه الجهة الى طبيب مع انه يعترف له بالفضل ويرى ان ذلك لا يمنع كونه من النابغين في فنه ـ مقالتنا في من يقال انه نابغ منهم ـ ويطيل التهكم والاستهزآء لاجل هذا الاعتقاد بمثل (اوليفر لودج) العالم الطبيعي في مقالة افردها لاجل ذلك عنوانها (نقد اوليفر لودج) بل يرى هذا الداء اشكالاً يحل بمذهب التحول والنشو فيقول في مقدمة الطبيعة الثانية ما لفظه (فترى الرجل الذكي الفؤاد والعالم المتضلع طروباً بسخافة نفوراً من حقيقة فاذا نظرت الى ذلك من خلال مذهب النشو والتحول تبدت لك الحقيقة الناصعة وسهل عليك هذا الاشكال .

(المعطل) اعلى جميع هؤلاء تحكم بهذا الداء . وهل لهذا المرض من دواء .

(المؤمن — ١٧) لا احكم به الا على من عرف منهم اقصى مرامي العلم وعلم حقيقة مرام اهل الدين وكان حراً لم تملكه الاغراض ولم تستعبده الشهوات . وهناك الداء العقام والمبرح من السقام . والا فان منهم من يزعم ان العلوم



الطبيعية تنافي الحقايق الدينية ويزعم انها المعول الوحيد لهدم الايمان وفي تقدمها ما يضعضع من الدين الاركان . وفيهم من يزعم ان مبنى الايمان اقامة المعجزة الالهية مقام النواميس الطبيعية وانكار العلل الثانوية . ومنهم من له في انتحال التعطيل مأرب . وفي انكار القصد مقاصد . اذ الاعتقاد بالصانع يستلزم الانقياد للشرايع والشرايع الالهية كما علمت تمنع القبائح وتردع عن الفضائح وتزع الانفس عن كثير من شهواتها وتحبسها عن البغي والبغاء ونحوهما مبتغياتها . تذم الفحشاء و المنكر . ولا ترخص في البولندرية (١) لا تسمي السفاح بالحب الحر ولا تقول ان الفضائل رذائل ولا تعد الغيرة على المحارم ضرباً من الحسد والبخل ولا تحث على قتل الضعفاء لتبقى الاقويا ، ولا على اعدام المرضى لتسلم الاصحاء . ولا تحكم باهلاك الزنوج المساكين او اخصائهم بحجة تحسين نسل الانسان . ولا تسمح باتلاف الوف من البشر لتأتي امة السبرمان . وكيف يخضع للشرايع الالهية من اقصى جهده قضاء شهواته البهيمية

---

(١) تزوج المرئة باكثر من رجل واحد

(٧) ج (٢) نقد فلسفة دارون

اوينقاد للدين المبتنية تعاليمه على الحنو والمرحمة . من وافقت طبعه شريعة الطبيعة التي لا يعرف الا الجفاء والقسوة . بعيشك قل لي من كان مجبولاً على الظلم ولم يكن له سطوة الحجاج ولا جنود جنكيز . ولا انصار نابليون هل يجد طريقاً اقرب الى مايرومه من نشر المقالات وتأليف الكتب في الحث على اعدام الزنوج واهلاك الضعفاء ومن اراد ان يذلل للناس الصعبة من .... هل يجد يداً سوى ان يقول ان الانسان يرزح تحت خرافات ثلاث منها القرابة والزواج الفردي . وحيث ان القسم الاول منه الشطر الاكبر منهم قد سبب دائه الجهل فلا يعالج الا بالعلم والناظر في مناظرتنا هذه يجد له فيها برء الساعة لهذا الداء وقانوناً للعلاج الذي يتعقبه الشفاء انشاء الله . والمبتلى بالخلل في دماغه فعلاجه وظيفة الطبيب وذلك مما لا يصعب عليه اذا كان حاذقاً وعلى المريض ان يعرف الخطر الملم بعقوته ويرخص كل غال في سبيل صحته وعلى الطبيب ان يباشره بالرفق والشفقة وعلينا ان نبذل له ثمن الدواء ونعينه بصالح الدعاء واما الذي ساقته الى الجحود دواعي الشهوات فهناك الداء العياء والفادح من البلاء والمرض الذي يعي حذقه الاطباء .



(المعطل) ارى اصحابنا يتهكمون بهذا البرهان ويسمونها الحجة القديمة يقول (بختر) في المقالة الخامسة ( ان فلاسفة (كارسطو ) و ( فولطر ) لم يهملوا ان يستعملوا ضد الرأى المادى الحجة القديمة التي لا تزال تكرر لما لها من الوقع العظيم على الجمهور وهى ان العمل يقتضى له عامل ضرورة والبيت بان كذلك .

(المؤمن — ١٨) نعم : هذه الحجة قديمة جداً وهى اقدم مما يقدره ( بختر ) بكثير بل يقارن تاريخها اول يوم وجد فيه البشر وجبلت فطرته على درك البديهيات واليوم الذى عرف فيه ان الاربعة نصفها اثنان هو اليوم الذى عرف فيه ان البناء لابدله من بان ولو كان ممن منح اول درجة الانصاف لعلم ان ذلك مما يرفع قدر هذه الحجة ويزيد في قيمتها ويجعل سبيلها سبيل سائر اخوانها من البديهيات والضروريات وليس المتهكم بهذه الحجة الا كمن يتهكم بالاحتجاج على ان الخمسة اقل من العشرة بان الجزء لا يساوى الكل ولا يزيد عليه ويقول انها حجة قديمة .

(المعطل) كثيراً مايقول اصحابنا انه ليس في نواميس الطبيعة مايدل على وجود الصانع ونحن لا نسلم بما لا تدل

عليه وهم يقررون ذلك بتقريرات مختلفة في طي مقالات مسهبة وربما كان الشطر الاكثر من كلامهم في التعطيل وكانهم يخصون العلم بعلم الطبيعة ويقولون لانسلم بما لايدل عليه العلم .

المؤمن — (١٩) اما قولهم ليس في نواميس الطبيعه مايدل على الصانع تعالي فهو حق ان ارادوا من الدلالة ما كانت من قبل دلالة وجود النواميس على مقتضياتها اووجود المقتضيات على النواميس كدلالة الكهربائيه على النور والحرارة او دلالتها على الكهربائية والمؤمنون لايكتفون بقولهم لا يوجد فيها مايدل عليه تعالى بهذا المعنى من الدلالة بل يرونها احقر واقل منها والذات المقدسة اعلى واجل عنها بل يزيدون عليه دعوى امتناع ان يوجد فيها ذلك ويقولون ان كل ما دل منها اوعليها مخلوق مصنوع فالحرارة ( وهي مادية ) لاتدل الا على مادية مثلها كالكهربائية او النار وكذلك العكس . ومن اين للمادة المخلوقة المحدودة الدلالة على الذات المقدسة عنها المنزهة عن مشابهتها . وان ارادوا من الدلالة دلالة المصنوع على الصانع والممكن على الواجب فليست في تلك النواميس مالايدل باوضح الدلاله على مقدس ذاته



وجميل صفاته وبهذا المعنى من الدلالة استدللت على صاحبنا وحكمت بوجود صانع للساعة وعليه بنيت هذه المناظرة وبينت فيها ان الدلالة على صانع الكون في مصنوعاته اظهر والامر فيه ابين واما قول اصحابك انا لانسلم بما لا تدل عليه النواميس الطبيعية ولاتشهد به علومها فمن اغرب القول واعجبه وهل هو الا كقول النحوي اني لا اسلم بناموس الجاذبة لاني لا اجد في قواعد النحو مايدل عليها او كقول الطبيعي انى لااسلم بوجوب رفع الفاعل لانى لااجد في الطبيعة مايدل عليه . . وكيف تطالب علما يبحث عن نواميس المادة بالدلالة على الذات المقدسة عنها وقد علمت ان العلوم مقصورة دلائلها على موضوعاتها فلاتكلف الابما في وسعها من بيان مسائلها .

على انى ارى اصحابك يسلمون بامور لايدركها الحس ولا تدل عليها نواميس الطبيعة منها دقائق المادة ( الجوهر الفرد ) وقد قال صاحبك ( ص ٢٨٢ ) انا وان كنا لاندركه فانما حكمنا به لانطباقه على الحوادث التى لابد من الاعتراف بها فحكمنا به من باب القياس العلمي . . فاذا جاز لهم الاعتراف بما لايدركه العلم بمجرد انطباقه على الحوادث

فلم لايجوز لغيرهم الاعتراف بما شهدت به شواهد الصنع ودلت عليه دلائل الاختيار من وجود الصانع المختار . وكيف غدا تعليل الحوادث بمالايدرك مباحاً لهم حجراً . على غيرهم والتجاوز عن علم الطبيعة جائزاً لهم محرماً على من سواهم .

امن العدل ان يسمى الانسان تجاوزه عن الحدود الذى يقرره قياساً علمياً وتجاوز خصمه عنه وهماً وخيالاً .

***

ثم ان نطاق العلم اذا كان مضيقا عند اصحابك هذا التضييق فلا يحكم عندهم في قضية علمية الا بما تدل عليه الطبيعة ولذلك يرتج عليهم باب الاثبات فكذلك تغلق عليهم باب النفي اذ ليس في نواميس الطبيعة مايدل عليه فكيف جزموا بالتعطيل واصروا هذا الاصرار على انكار الصانع .

( المعطل ) لاينفي اصحابنا الا العلم بوجوده وذلك لما ذكرت من اقتصارهم على مايدل عليه العلم الطبيعي واما وجود الواجب فامر ممكن عندهم . اما سمعت صاحبي يقول في اول مناظرة اصحاب الخلق والقدم ( وخالف الماديون سواهم في اصل المادة فقالوا انها ازلية ونحن لانعلم



غير ذلك فرد عليهم ان عدم الشئ لايجعله غير ممكن فالحدوث ممكن قال الماديون ولكن ذلك ليس من باب العلم بل من باب الايمان وهذا لاننازعكم لاجله ولايحق لكم ان تنازعونا كذلك ) ويقول في اواخره ( فيبقى ان القضية ليست من باب العلم بل من باب الايمان ولو وقفتم عند هذا الحد لاسترحتم انتم وارحتمونا من كل هذا النزاع .

( المؤمن — ٢٠ ) سمعت ذلك وعجبت ( ولاعجب منه ) كيف ناقض نفسه وقطع بكفه غرسه واذا كان مدعى اهل الايمان ممكناً عنده ويعطيهم من نفسه ومن اخوانه ان لا ينازعهم مما كان من باب الايمان فلماذا هذا الشغب واللغط على امر ممكن باعترافه ولم يقم دليل على امتناعه . وسرعان ما نسي وعده وتجاوز حده فقال بعد كلامه الاخير بلا فصل كلمة ( وكيف يعقل وجود ما ليس بجسم ولامادة جسم الى آخر ما تسمعه انشاء الله قريباً مع بيان ما فيه من الاوهام سبحان الله ) ١ً اعترف بامكان حدوث المادة ووجود الخالق القديم ثم اخذ في الاستدلال على امتناعه بزعمه . ٢ً وعد المؤمنين باستراحتهم من منازعته اياهم في ذلك ثم ما لبث حتى نازعهم فيه . ٣ً ضيق على العقل

دائرة مدركاته وحصرها فيما اتى به الاختيار وما يدركه العلم باصطلاحه ثم تجاوز عما حده فاخذ يستدل بما هو خارج عن حده وهو امتناع وجود ما ليس بجسم ولا مادة جسم الخ .

ولو كانت هذه المناقضات من كلامه في مقامات مختلفة ومواضع متفرقة لعذرت صاحبك بعض العذر ولكن اين المناص وكيف الحيلة وجميعها خلال اسطر قليلة .

(فصلٌ) لما بلغت المناظرة بينهما الى هذا المقام . فاذاهما بموزع رسائل البريد دخل عليهما وناول المعطل مجلة علمية مكتوب اسمه على غلافها . فقال المعطل لصاحبه : اتأذن لي في قطع المناظرة ريثما اطالع هذه المجلة لاني كلف بها ولا استطيع الصبر عنها .

نعم : ان اتحفني باطرف ما تجد فيها من المكتشفات العلمية .

— ما كنت اشح عليك به فالعلم غير مظنون به على اهله ولم يلبث في تصفح صفحاتها الا كنبض برق اوسل بارقة حتى بدت على وجهه علائم العجب فسأله المؤمن عن السبب .

— قمر خامس للمشتري اكتشفه مرصد (لك) في كيلفورنيا .



الجو صاف اديمه والليل زهر نجومه . وهذا المشتري طالعاً فاطلبه لعلك تراه ثم تريني اياه .

— لا ترى هذا القمر الا العيون القوية اذا كانت مسلحة بالمنظار الكبير وانا ضعيف البصر اعزله فلا اطمع في رؤيته .

— فهل تصدق اذاً بوجوده .

— نعم : اذا اخبر به جمع من ثقات الراصدين لانه امر ممكن .

— هل يعلم وجود كل امر غير مستحيل اذا اخبر به الثقات .

— نعم : اذا كان عددهم كافياً .

— كم العدد الذي يثبت به اغرب الاخبار وابعدها من الابصار .

— ما اناف على العشرة وان ناهز العشرين فذلك الخبر اليقين والحق المبين .

— فهب انك لضعف بصيرتك لاتبصر هذه الانوار الالهية المشرقة على عالم الامكان ولاترى اياته التي لم يخل منه زمان ولا مكان . فلماذا لاتصدق بوجود الواجب تعالى الممكن

باعترافك واعتراف اصحابك وقد اخبر به جماعة يربو عددهم على مأة الف وهم كما علمت كانوا معروفين بصدق اللهجة وحسن الطوية وفيهم صلى الله على جميعهم من كان يلقبه اعدائه بالامين وكانوا من امم شتى وفي اعصار مختلفة وامصار متباعدة وقد اخبروا جميعاً صلى الله عليهم اجمعين عن مقدس ذاته وجميل صفاته باخبار يصدق بعضها بعضا ولا يختلف معزاها ابداً .

(المعطل) اني وان كنت اقول بالتعطيل ولكن حاشا ان اقول فيهم غير الجميل او اذكرهم الا بافضل ما يحضرني من الفاظ المدح والتعظيم ولا اراني اجمع بين عارين التعطيل والحط من قدر النبيين واني لاعلم انهم هم الذين ثقفوا اخلاق نوع الانسان وعلموه سبل المكارم والاحسان وسنوا له شرايع المدنية ووضعوا له القوانين الاجتماعية ولولاهم ماعرف البشر الخير من الشر ولا المعروف من المنكر فابعد الله صاحبي من كافر لفق في مقدمة كتابه مالفقه من الزور والبهتان ونحن نتبرء منه كما تبرء منا اهل الايمان ولكنا نقلل تفنيده بعد ما رأينا مقالة فلان في السماء وعلمنا انه يعتريه بعض الداء ولكني اقول انما نصدق من الاخبار ما



كان عن امر تدركه الابصار وهؤلاء الصادقون لايدعون المشاهدة .

(المؤمن) — ٢١ لا فرق بين رؤية الشيء بذاته وبين رؤية آثاره وآياته وافعال يستحيل صدورها من غيره وتلك الايات والاثار مشاهدة بالحس وهؤلاء الصادقون قد اخبروا بها فرجع الامر الى المشاهدة التي يقف اصحابك عند حدها ولا يجوزون التخطي ولو خطوة عنها وهذه الكهربائية التي اثبتم وجودها وجعلتموها الناموس العام للكون ما رأيتم الا اثارها من النور والحرارة فاذا كنتم تعتقدون بوجودها متى شمتم نوراً ضئيلا وتحكمون بوجود المغناطيسية متى ابصرتم تحرك الحديد قليلاً فكيف لايعلم بوجوده المقدس عز وجل وقد تجلى للجبل وجعله دكاً وقس عليه سائر ماورد في الدين وفي المقام عدا ما ذكرت وجوه لاتحتملها غير عقول العارفين فلا تناسب افهام اصحابك الماديين وانما اخترت لك ابسطها واقربها الى فهمك وان لم يكن احسنها عند غيرك .

(المعطل) اراني نازعتك في اثبات الصانع فغادرتني اعترف به وانقاد معه للشرايع فاقلني دعوى الامكان فاني اقول

الآن بالامتناع مستدلاً بقول صاحبي وكيف يعقل وجود ليس بجسم ولامادة جسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة وفي صورة معقولة ولاله قسمة في الكم ولافي الكيف ولا في المبادى . فعله منه وليس منه متصل به ومنفصل عنه فلا شك انه يقتضي ايماناً شديداً وحيث يبتدئ الايمان ينتهي العلم والانسان حر في ايمانه الا ان الايمان ليس له حق بان يعترض العلم في سيره والعلم لايستطيع شيئاً ضده .

(المؤمن — ٢٢) اول مايرد على صاحبك ان هذا الدليل (ان صح ان يسمى دليلا) ليس من العلم باصطلاحه في شئ بل هو من قبيل العلوم التي يسميها الكمالية في مقدمة ترجمته ويفتخر بجهله لها وعدم قرائتها ويشكر علته التي صحبته في حداثته لانها لم تسمح له بالتخرج فيها ويزعم ان ذلك حفظ له استقلال افكاره مقدمة (بخنر) (ص٢٧) ولقد صدق في ذلك اذ من شأن العلم ان يسلب استقلال الفكر ويقوده قود الجنيب الى الاعتراف ولو بما يكره والاذعان ولو بما لايحب ويجعله تابعاً للدليل يميل به حيث مال وكلما ازداد الانسان علماً قل استقلال فكره وتركه الدليل طوع نهيه وامره ولاشك ان الجاهل مستقل الفكر في مقدار زوايا



المثلث فيتصور مثلثاً زواياه عشرون قائمة واخر عشرها ولكن البرهان يسلبه الاستقلال ويحكم بان الزيادة فيها على قائمتين كالنقصان عنهما ضرب من المحال وكذلك صاحبك مستقل الفكر بامكان ايجاد الشئ نفسه ولكن العالم يتبع فكره الدليل الحاكم ببداهة استحاله ذلك كما ستعرف .

وليت هذه العلة المباركة له بزعمه الحافظة له استقلال فكره اشتدت به حتى تمنعه من الطب ايضاً ليكون استقلال فكره في علوم الابدان كاستقلاله في علوم الاديان .

ثم انه لعدم عمله بهذه العلوم لايدرى كيف توردالحجج في المسائل العلميه وكيف تتألف قياساتها فيقابل بحجته هذه عموم القائلين بوجود الصانع جلت عظمته على اختلاف نحلهم وتشتت مذاهبهم وفيهم المجسم والمشبه ولا يدرى انها ان تمت فلا تتم الا على اهل الحق منهم القائلين بتجرد الذات المقدسه وانه لايتعين التعطيل منها اذ اللازم منها احد الامرين التعطيل او الاثبات مع التجسيم .

وليست المعطله اولى بهذه الشبهه من المجسمة . .

وايضاً العالم العارف بموازين المناظره لايكتفي = بلفظ

كيف يعقل في مثل هذه المسئلة النظرية الغامضه ونفي اشرف
الوجود واكمله واهم مسائل اشرف العلوم وادقها . بل يعلم
ان عليه اقامة الحجة على الملازمة بين الوجود والجسم او مادته
ان تأتي له ذلك (واني له) . وان كان العلم يقنع بمثله في
مسئلة مثلها فاذا يكون جواب صاحبك عمن ينكر معبودته
المادة اوامه الاثير محتجاً بمثل حجته حاذفا منها اخرها قائلا .
وكيف يعقل وجود ليس بجسم فهل له جواب سوى ما
اجبناه به . . هذا ولو كان لصاحبك ادنى المام بالعلوم
العقلية ويتجاوز تصديقه ولو قليلا دائرة الطبيعة لشرحت
من مباحث الوجود مايتضح له ان الوجود المجرد هو اكمل
الوجود واظهره وان نسبة الماديات اليه كنسبة الظل الى
النور بل العدم الي الوجود ولكن ما نصنع وصاحبك من عرفت
يجهل العلوم ويفتخر بجهلها ويطيل لسانه عليها ويحط بزعمه
من شأنها . لايفهم شيئاً منها فيزعم انها مما لا يفهم تجل مباحثه
عن عقله فيتردد في صدورها من عقول سليمة ثم يشطح فيتفوه
بكلمة عظيمة الحقيقة (ص ٣٥٠) الى غير ذلك مما تجده
ملأ كتابه من قبيح مفتتحه الى سوء ختامه .

وان كان في اصحابك من له مشاركة في تلك العلوم وادنى



المام بها فانه يجد ذلك مبسوطاً في مواضعها من كتب علماء
الدين واسفار الحكماء المتالهين . . واما قوله (ولا قسمة له
في الكم) فغلط اخر من قبيل غلطه الاول اذ قبول القسمة
ليس من لوازم مطلق الموجود بل من لوازم قسم منه وهو
الجسم عند المتقدمين اوالجسم وما يتركب منه على مايذهب
اليه هؤلاء من القول بالجواهر الفرده باصطلاحهم . وفي
قوله (ولا في الكيف) مؤاخذه لو كان صادراً من اهل العلم
وقوله (ولا في المبادى) ليس من اصطلاح اهل العلم في شيء
ولسنا مكلفين بغيرهم .

والطامة الكبرى في قوله فعله منه وليس منه متصل به
ومنفصل عنه لاادرى على من يعترض الرجل وبم يعترض .
منه وليس منه متصل ومنفصل ناهيك بها الفاظ فيلسوف
لو ان لها معانياً مناسبة للمقام . . نشدتك وذمام الصحبة الا
ما اخبرتني عن معنى عدم كون فعله منه وعن معني اتصال
فعله به وانفصاله عنه فاني طالما حللت الالغاز والمعميات
وسمعت الفاظ الرقى والعزائم ولم ار احجية يكل فيه حديد
الفكر مثل هذا الكلام ولا كالفاظه الفاظاً لاتهتدى الى
معانيها الاوهام .

ثم لادرى على اى فرقه من فرق اهل الايمان يشنع الرجل وعلى اي عالم من علماء الاديان يعترض ومن الذى تفوه في فعل البارى بهذه الخرافات وحكم فيه بهذه المناقضات مع ان معتقدهم في ذلك مبسوط غايـة البسط في مصنفاتهم ومعلوم حتي لدى عـوامهم والمقام لايناسب بيان ذلك مفصلا ويكفينا هنا ان نقول ان من خصائص وجود الواجب انه تعالى يوجد المعدوم ويبدع الممكن ويلبس الماهيات حلة الوجود بمجرد تعلق ارادته المقدسة بذلك فان كان يريد فهم مراد اهل الدين فهذا مرادهم ولوشاء توضيح ذلك بالمثال وان كان لاتضرب لله الامثال قلنا تقريباً وتوضيحاً لمعني الابداع ان خلق الله تعالى للجواهر وفعله في الابداع كايجادك لافعالك (١) فكما انك اذا تكلمت اوضربت احد لم يكن كلامك وفعلك موجودين قبل وانما وجدا بارادتك فليكن تشبيهاً لاتحقيقاً ايجـاده تعالى للجواهر وابداعـه للاشياء من هذا القبيل قصاراه انك لاتتمكن مـن الفعل

(١) هذا المثال يصح على القوانين في خلق الافعال وانما جعلنا التعبير على مذهب القائلين بان الافعال مخلوقة للعبد لكونه اوضح واقرب الى افهام هؤلاء .



الا باستعمال الات لاتقـدر عليه بدونها والقدرة المطلقة تخلـق وتبدع الاشياء بصرف المشيئة والارادة ( انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . ( سورة يس ) ولا ادرى ماذا يرى صاحبك في نسبة افعالك اليك ومن اى قسم من اقسام الفلسفه التى اخترعها يعدها هل يجعلها من قبيل منه اومن قبيل ليس منه امن المتصل امن المنفصل .

واما قوله نه يقتضى ايماناً شديداً فان ذلك الايمان حاصل من فضل الله تعالى للمؤمنين وهم يحمدونه تعالى عـلى هذه النعمة التى تستصغر في جنبها اعظم النعم قائلين . ( الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هـدانا الله ) . ( سورة الاعراف ) ولكنه لايقصد هذا المعنى من الايمان وانا نعلم مايريد ولذلك نقول ( رمتنى بدائها وانسلت ) ان الذي يقتضى ايماناً اشد ممـا امن به المؤمنون هو الايمان بدقائق متحركـة بلا سبب راقصة في الجو بلا طرب كان الفضاء بلاد ( المانيا ) في بعض القرون السابقة وقد شاع فيها منمانيا ( ١ ) الرقص ( دانس مانى ) او ( كرامانى ) وهذه

(١) شاع هذا المرض في قرن الحادى عشر والسابع عشر في بلاد المانيا كان يجتمع زرافات من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال ويرقصون

الراقصات تصنع وهى عمياء صماء ماتتحير فيها افكار العقلاء تارة تصنع شموساً واقماراً وتارة ارضاً يحف بها بحاراً ويجرى خلالها انهاراً ويملاها بصنوف من النبات وانواع من الحيوان وتودع في كل منها من بدائع الصنع ودقائق الحكمة مايفرد لكل قسم منها فناً مستقلاً تشتغل به في كل عصر الوف من اذكياء البشر معترفين بان ماخفى من اسراره اضعاف ماظهر .. وهي ان كانت معدودة ( اي متناهية ) فلما ذا وجد بهذا المقدار وباى مرجح ترجح هذا العدد ولم لم يزد عليه واحد ولماذا لم ينقص عنه اثنان والوجود كما يزعمون منحصر بها فلا مرجح لها خارجاً عنها وان كانت غير متناهية لزم برغم بداهة كل عقل صحيح وفطرة سليمة وجود معدودات غير متناهية .. هذه وعدة من امثالها مما نعرفك قريباً ببعضها هي التي لايكاد يصدق به العقل الا بعد ان يعينه عليه رطل من القنب الهندى او سرسام حاد يروضه مدة شهرين كاملين .

واما ماذكره في اخر كلامه فمعزاه الى الحيلة الوحيدة

---

الى حد الاغماء. وربما وقعوا في حفرة اونهر ويسمي دانس سنت وى باسم احد المقدسين من اهل ( سواب ) كانوا يبعثون المرضى الي مقبرته للاستشفاء .



التي لهذا ولاصحابه من عدهم الدين مخالفاً للعلم . ولئن خفي امرها على الجهال من اهل نحلته فظاهر لدى من ارتضع من العلم صفو درته ومنح من علم الدين بمعرفته ان العلم الصحيح لايخالف الدين بل لايزال يؤيده ولا يقض بنيانه بل يشيده فبماذا ايها الرجل اعترض الايمان على العلم ليصدر الحكم عليه من نصة الالحاد بانه لاحق له ومتي كلفه بضده حتي ترق قلوب المعطلين عليه فيخبروا عنه بانه لايستطيعه الا انك توسعت فالصقت بالعلم اوهاما يتبرء منها العلم قبل ان يتبرء منها الايمان ويؤذن بفسادها قبل ان يؤذن به الدين نصبت منها شبكاً تصيد به عقول الضعفاء . فابتغ ايها الرجل حيلة اخرى لنفاق سلعة الالحاد فهذه الحيلة قد نبت عليها العشب ونسجت عليها العناكب وهذه الاوهام التي قلدت فيها معطلت الغربيين وسميتها علماً لترعب بها قلوب المؤمنين قد عرف امرها فلا يعبأ به عاقل بها .

( المعطل ) ذكر ايضاً حديث الاتصال والانفصال في مقدمة ترجمته لشرح ( بخنر ) وجعله من الوحي الذى اوحى اليه فاوجب ارتداده وكان قبله متمسكاً بالدين كما يزعم وانا اسوقه اليك بالفاظه فلعلك تجد فيه حلاً لاحجيته هذه

وتجيب عن ساير ما اورده فيه . قال بعد ما ذكر تردده في
الاديان واستمساكه بعلة العلل ما لفظه ( واذا بصوت كالهامس
في الاذن صوب الي هذا السؤال قائلا ما علة عللك واين
هي ولا شك انها قوه ولكن هل تعرف قوة بلا مادة
ولا شك انها خارج المادة ولكن كيف تفعل في المادة
وهي منفصله عنها وان كانت متصلة بها فكيف تكون
هي سواها . ثم سكت ولم يزد شيئاً .

( المؤمن ٢٣ — ) ان صدق صاحبك في دعوى استمساكه
بالدين قبل هذا الهمس فلاخير في اعتقاد يزول بمثل هذه
السفاسف التي لو وجه السؤال عنها الى احد اطفال الكتاب
لوجد عنده منها الجواب . ولا شيء اهون على الدين من
رزئه بمن هذا مبلغه من العلم ولا اقر لعينه من ان لا يكون
مثل هذا من اهله . . وليت هذا الهامس ولا اظنه غير الخناس
اورد على احد اطفال المؤمنين هذا الوساوس ليراه احذق
من صاحبك في الجواب واهدى منه الى طرق الصواب . .
فلو قال له من علة العلل لقال الله عز وجل — اين هو — مجرد
فلا يحويه مكان ولا يعتريه زمان وسؤال اين ومتي
واشكالهما انما يقع على الماديات وذاته المقدسة اجل منها
وارفع — لا شك انه قوة — لا شك انه ليس بقوة اذ القوة



عند كم ملازمة للمادة والمادة حادثة فالقوة مثلها فليس بقوة
ولا مادة بل هو تعالى خالق هذه وجاعل تلك — ولكن
هل تعرف قوة بلا مادة — عرفت ام لم اعرف فان هذا
السؤال ساقط بما عرفتك من مذهبنا ومتى ظفرت ولن
تظفر بمن يزعم انه سبحانه كهربائية او نحوها من القوى
فاسئله عن ذلك — لا شك انه خارج المادة .

نعم : ولكن لا بالمعنى الذي تعنيه وتفهمه اذ الدخول
والخروج كالاتصال والانفصال من صفات الماديات ولا
يوصف بها المجرد فهو ليس بخارج عنها كما انه ليس بداخل
فيها او كما قال امام ائمة المسلمين داخل في الاشياء لا بممازجة
خارج عن الاشياء لا بمباينة ( نهج البلاغة ) — ولكن
كيف تفعل في المادة الخ — لقد سقط هذا السؤال ايضاً
بما عرفتك من تجرد العلة الاولى عند عقلاء المؤمنين فلا محل
للترديد بين الاتصال والانفصال . واما فعله تعالى فليس
كفعل النجار بالخشب والصائغ بالذهب وانما فعله ايجاد
وابداع وافاضة واختراع . وجميع ما ذكره صاحبك هنا
وفي عدة مواقع من كتبه ومقالاته واكثر ما يشغب به
اصحابك ناشٍ من الغلط في فهم معتقد المؤمنين والخلط

بين صفات المجرد والمادى . ولو انهم كانوا ممن درسوا العلم
وزاولوا صناعة الاستدلال لاراحونا من هذا الاسهاب
المفضى الى الملال واكتفوا عن ذلك كله بالسؤال عن
الوجود المجرد وحينئذ كنا ننظر في حال السائل ومقدار
استعداده لفهم مسائل العلوم العالية فان الفناه كصاحبك
طالبناه بالدليل على انحصار الموجود في الماديات وبعد عجزه
اثبتنا وجوده بواضح البرهان وان رأيناه ممن له المام بالعلوم
العقلية ويتجاوز ولو قليلاً عن حد المادة قواه الدماغية
شرحنا له من نفايس مباحث الوجود ما يتضح به لديه
ان الوجود الغير المادي اظهر الوجود واكمله واوضح
الموجود واجمله .

ثم ما الذى حبس صاحبك الفيلسوف عن التنبه لسؤال
ما هى واين هى حتى بقى ردحاً من دهره وشطراً من عمره
على اعتقاد من ينبزهم بالسذج البسطاء حتى همس اليه هذا
الهامس ونبهه لهذا السؤال كأنه ليس اول خاطر يخطر في
قلوب الاطفال واول ما يقترحه ابسط العوام على علماء الدين .
وما ذلك الا لانهم يشاركون صاحبك في قصور عقولهم
عما لا يدرك بالحواس ولكنهم يخالفونه في ان لهم فطرة



سليمة تصدهم عن الريب في مقدس ذاته بل يحملهم عدم
سمو الفكر الى الخطأ في صفاته .

وهذا هو الاصل في عبادة الاصنام والباعث للانبياء صلى
الله عليهم اجمعين على ان يجدوا في بيان صفاته وتجرد ذاته
أكثر من جدهم في اثبات وجوده ثم لا تغفل عما نبهتك على
نظيره من ان همس هذا الهامس لا يتعين منه التعطيل بل
يتعين احد الامرين منه ومن التجسيم فهلا اختار صاحبك
اسلم الامرين وارتضى لنفسه اهون الخطتين .

(المعطل) وحيث جرى حديث المادة والقوة فاني انبهك
على ما لصاحبي فيهما من التنبه لدقائق فلسفية واعلاق مباحث
طبيعية جاد بها علينا يراعه الذى يسيل براعه في اول كتاب
الحقيقة ولم يقنع ببث تلك الفوائد بل جعلها بمنزله الصغرى
واستنتج منها النتيجة الكبرى .

( المؤمن )— ٢٤ وجدته لم يزد في ذلك الكتاب على ما
يعرف من امرهما صبيان الكتاب الا انه اقام الاحتمال مقام
الدليل واستنتج من ايات الصنع خداج التعطيل وانا اورد
كلامه اولا ثم انبهك على شطر من اغلاطه فيه وادع لك
استقصاء الشطر الاخر قال فيما بسطه بزعمه مما يعلم عن القوة

والمادة تمهيداً للكلام عن الوجود المعنوى والمادى مانصه : لاحاجة بنا الى ان نعرفك ان العلم قد توصل في الامور الطبيعية الى هذه النتيجة الكبرى وهى ان القوة والمادة لا تنفصلان البتة ولا اظنك تستطيع ان تعرفنا بمادة مجردة عن كل قوة اوحركة اوتطمع ان تبين لنا قوة اوحركة مجردة عن كل مادة ) اما عدم انفصال القوة ( بالمعنى الذى يعينه من الحركة ونحوها ) عن المادة فلا شك فيها لانها من الاعراض وقد ثبت في العلوم التى يبخس صاحبك حقها لجهله بها ان العرض لابدله من جوهر يقوم به فلا يعقل وجود حركة بلامتحرك كما لا يعقل وجود عدد بلا معدود او سطح بلا جسم وهذا اول ماوصل اليه العلم واول خطوة خطاها واوضح مقدمة بنى كثيراً من نظرياته عليها لا كما يزعمه صاحبك من انه النتيجة الكبرى التى توصل اليها العلم . واما وجود مادة خالية عن كل قوة . فان كنا لانستطيع ان نعرفه به فلا يستطيع هو ايضاً ان يبرهن على امتناعه وعدم استطاعتنا ليس دليلاً على الامتناع كما ان عدم استطاعتنا للتوليد الذاتى لم يوجب عنده الحكم بامتناعه . واقصى مايمكنه دعواه قوله هنا ( على انا لانعرف في عالم الطبيعة جوهراً فرداً بلا قوة ) وهذه دعوى هينه



لولا الشطح في قوله بعده ( ولا يستطيع العقل ان يتصور المادة بلا قوة فانا اذا تصورنا مادة اوليه مهما كانت فلا بد ان تكون دقائقها تحت فعل الجذب والدفع والا فانها تتلاشى من ذهننا ) نقول على تسليم ما بنى كلامه عليه ( ولعدم التسليم محل اخر ) ان اقصى مايثبت مما تشبث به الماديون تركب هذه الاجسام المشاهدة التى اختبروها من دقائق متجاذبة متدافعة لاوبرهان على انه لا يوجد في المادة مالا يكون كذلك فضلاً عن امتناع وجوده او امتناع تصور العقل له كما يقول . . وماذا يمنع من ان يوجد فوق النظام الشمسى بمسافة ليست بالقليله اجسام كثيرة صغيرة وكبيرة ليست مركبة من الدقائق اصلاً وهى كانت هكذا من الازل كما كانت اجزاء الاثير عند اصحابك ومن جائر التحكم تخصيص الازلالية بالاجزاء الصغار والحكم بتركب سواها منها الا ببرهان يدل عليه وايضاً مايمنع من وجود دقائق من الاثير خالية من الجذب والدفع وسائر القوى ولذلك بقيت متفرقة غير مركبة . او تركب بعضها مع بعض لا بالتجاذب بينها بل باسباب اخر كوقوع الضغط الخارجى الشديد على

عدة منها ونحوه . ولعل منها جمله من الاجرام الموجودة في الفضاء وبعض قطع السديم المشاهد في السماء الى غير ذلك من الاحتمالات التي لابد لمنعها كالقول بها من البرهان القاطع .

ولا اقول هذا جنوحاً الى هذا الرأى ولا تشييداً لدعائم هذا الاحتمال وانما اريد المطالبة بالبرهان على هذه النتيجة التي توصل اليها العلم كما يزعم والتنبيه على ما جرت عادة اصحابك عليه من اثبات الكليه بثبوت موجبة جزئية وهم مع ذلك يرمون به الاقدمين انظر كلام صاحبك في ( ص ٣٤٤ ) ثم قال وكذلك القول بقوة بلا مادة فارغ لا اساس له واطال في بيانه وليس فيه ما يهمنا الان نقده انما المهم ما قاله بعده وهذا لفظه (فما اذاً النتيجة الكبرى الفلسفية لهذه المعرفة البسيطة الطبيعية .. لاشك ان الذين يقولون بوجود قوة ابدعت العالم من لا شئ من العلوم لايستندون في قولهم هذا الى شئ الطبيعية والفلسفة العلميه التي يتبع في سيره وتتغير مع تغيير الافكار بتغييره لا ادرى من هؤلاء الذين يقولون بقوة ابدعت العالم اذا كانت القوة بالمعنى الذى يعينه هذا ويصطلح عليها اصحابه حتى تكون هذه النتيجة الكبرى



مرتبطة بتلك المقدمة المملة اذ القوة عندهم كما نقله هنا عن العلماء خاصة من خصائص المادة اوهى الحركة اوهى حالة من حالات المادة . وايا كان فاى مؤمن ينتحل ديناً من الاديان وينتمي الى ملة من الملل يجعل الذات الاحدية المقدسة من قبيل هذه الامور الحقيرة . وما المادة المحدودة المخلوقه بالنسبة الى المقام الارفع والمحل الاعلى حتى تكون حالاتها وخصائصها وحركتها . وان تخطى احدهم سنة الادب واساء التعبير فلاشك انه لايريد بها القوة بهذا المعنى حتى تكون عنده الذات الاحديه من قبيل الكهربائية والمغناطيسية ويكون بذلك اجهل من المعطلين وان اراده احد فهو ليس من المؤمنين بل هو من اصحابه المعطلين فانهم ربما ارادوا الستر على قبيح مذهبهم وحاولوا التخلص عن استهزاء العقلاء بهم فعبروا بمثل هذا التعبير خدعة واحتيالاً نظير قول ( سبينوزا ) انما الله والطبيعة شئ واحد او من حلفائهم اللاادريين كما يقول ( سبنسر ) ( ١ ) سائلا نفسه

---

(١) هذا ان كان ( سبنسر ) يرى هذا القوة المجهوله من قبيل قوى الطبيعه ولكن قد عرفت سابقا ان هذا لايظهر مما وقفنا عليه من كلامه . وكلامه هذا قريب جدا من قول المؤمنين بل لايخالفهم الا في سوء التعبير فقط .

ماهي القوة التى تحتم ببقائها . اهي تلك القوة التى تؤثر فى عضلاتنا والتى تشعر بها حواسنا . كلا . بل هى تلك القوة المطلقه المجهولة المستقره وراء الصور والمشاهد ونحن مع عدم امكاننا أن ندركها نتاكد انها ابديه لم تتغير ولن تتغير كل شئ زائل ولكنها علة العلل الباقيه الى الابد . وبالجمله من زعم ان المبدع سبحانه قوة من سنخ القوى التى للماده فهو ملحد .

( المعطل ) يربو في الجهل على سائر الماديين فليقل فيه ماشاء (والمؤمنون )وان لم يجعله من سنخ القوى الطبيعية فهذا الرد الذى اورده صاحبك يذهب ادراج الرياح ولا يمس ابداً منيع حمى الايمان . وانى وايم الحق لاعجب من رجل نشاء في بلاد الاسلام وربى بين ظهرانى اهل الايمان .

وهو يعيش عيشاً حلمياً من فضول معاشهم ويرتزق بجس عروقهم والنظر في قاروراتهم ثم يكون مبلغه من العلم بمعتقدهم زعمه انهم يزعمون الذى يعبدونه ويرفضون كل شئ دونه قوة كالكهربائية ثم بهذا المقدار من العلم ينبرى لمكافحة جميع الاديان ويصليهم بزعمه الحرب العوان ويكون اقصى جهده وغاية رده على معتقدهم ان الكهربائية



لم يكن لها وجود لولا هذه الاجزاء وان النور والمغناطيسية ليسا سوي تغيرات مادية ولفرط حذقه في صناعة المنطق يستنتج من ان الكهربائية لاتكون بغير اجزاء مكهربة بطلان القول بوجود خالق خلق الكهربائيه والاجزاء المكهربة معا . فابعدك الله من عصر تنشر فيه مثل هذه الاراء وتطبع فيه هذه الكتب ومع ذلك يدعى بعصر العلم والنور .

واما ما ذكره هنا ولا يزال يكرره من عدم استنادهم الى شئ من العلوم الطبيعية فقد درى كل من مارس العلم ان كل علم لا يتكفل الا اثبات مسائل موضوعة ولا يكلف بما يخرج عن حده وهذه العلوم التى ينعتها بما سمعت موضوعها الماديات واين هى والبحث عن المجردات فاذا لم تدل عليه فليس ذلك لخفاء في الحق بل لقصور في تلك العلوم عن ذلك المقام الارفع وعدم شمول موضوعاتها لبحث شريف مثله .

ولا ادري اى عاقل طعن على مسائل علم بعدم وجود الدليل عليها في علم آخر فطعن على مسئلة نحويه بعدم وجود دليل عليها في علم الطب وعلى الطب بعدم استناد

اهله الى الهندسة واذا فليحتسب فلسفة النشو حبيبته عند تحكمه البارد . اذ لا يستند القائلون بها الى شيء من علم النحو والموسيقى هذا على انك قد عرفت في احدى المفاوضات السابقة ان العلوم الطبيعية بما يبحث فيها من نواميسها المعلومة تدل باشرف معنى للدلالة على وجود الصانع الحكيم اعني دلالة المصنوع على الصانع والممكن على الواجب بل لا يرى طرف البصيرة على صفحاتها الكثيرة سوى سطر فيه هذه الكلمات اليسيرة ( الله الصانع الحكيم الحي الدائم القديم ) .

واما قوله : وانما يفعلون ذلك انقياداً لفلسفة موهومة الخ فلو وقع الى بعض اهلها ممن لا يلتزم بما التزمنا به في هذا الكتاب لمزق منه الاهاب واذاقه مرّ الجواب . اما انا فاجري على سنة الصفح ما امكن واجادل بالتي هي احسن واقول له ايها الدكتور ان الفلسفة التي قلت فيها ما قلت بل تقولت عليها ما شئت لا يحط من رفيع قدرها انكارك لها وطعنك فيها .

( بحر الرمل )

لا يضر البحر اضحى زاخراً     ان رمى فيه غلام بحجر



على غير نقص فيها سوى انك لا تعرفها والذنب في ذلك كما تقول في مقدمة كتابك لعلتك التي صحبتك في حداثتك واياك ايها الرجل وتلك الفلسفة فانها السيف الذي طبع بادمغة اليونانيين لا باكف القين وارهف حده بافكار حكماء المسلمين وقد عرفت مواقعه من رقاب اسلافك من الملحدين وهو وان طال عهده ما فل غراره ولم يتكهم حده بل تضاعف رونقه مذ عززته الشرايع الالهية وزاده مضاء ما اكتشف جديداً من الاسرار الطبيعية .

واراك عرفتنا عن الفلسفة التي اعتمدنا عليها في الاثبات ولم تعرفنا بالفلسفة التي اعتمدتم عليها في التعطيل . اهي تلك التي نعتها بانها عملية اذاً فعرفنا بالمبحث الذي فيه برهان التعطيل . فقد تصفح المؤمنون كتبها ورقة ورقة وتأملوا سطورها سطراً سطراً فما رأوا فيها الا ما يشيد اركان الدين ويزيدهم يقيناً على يقين . وان كانت تلك العلوم هي التي اوردت تلك موارد التعطيل . من الخفيف :

فهي كالورد فيه للناس طيب     ثم فيه لآخرين زكام

(عاد كلامه) وحجتهم الكبرى هي انه لابد لكل معلول من علة . وقد فاتهم انه في هذا الدور المتسلسل لابد لهم من

الوقوف عند نقطة يثبتون فيها الوجود بالمعجزة الا انهم عوضاً من ان يقفوا عند حد الابحاث الطبيعية المؤيدة بالاختبار ويثبتوه للمحسوس يطفرون به الى ماوراء الطبيعة ايها الدكتور ( ليس ذا بعشك فادرجي ) حاولت الاعتراض على قوم لاتعرف شيئاً من علومهم فاخطأت في فهم الواضح من كلامهم . اذ القوم لم يقولوا ان كل موجود لابد له من علة ليرد عليهم ما اوردت ويفوتهم وهم ارباب الافكار السامية والعقول الكاملة مالايفوت مثلك . بل قالوا كل معلول لابد له من علة وهذا بمنزلة قولهم لابد للممكن من الانتهاء الى الواجب . وهم لما روا على المادة آثار الامكان وشواهد الحدوث ودلائل الافتقار من التغيير والتركيب واحتياجها الى ماينزه الواجب من الاحتياج اليه كالمكان ونحوه عرفوا انها باجمعها معلولة ومن اوضح قضايا العقل ان كل معلول لابد له من علة وهذا البرهان مبسوط في محله بطرق شتى ولا يناسب موضوع الرسالة اطناب الكلام فيه وان كنت ممن يتمكن من فهمه فاطلبه من مظانه ولم ارد بالاشارة اليه الا بيان ماوقع لك من الغلط فى فهم مراد اهل العلم .



واما عدم اثباتهم ذلك للمحسوس وطفرتهم كما تقول الى ماوراء الطبيعة فلا تلمهم فيه ايها الدكتور ( فرب ملوم لاذنب له ) اذ القوم رزقوا من دقة النظر وحصافة الرأى وسعة العلم مالم يقدر لك ولاصحابك فرأوا عليها من سمت الحدوث وآثار الصنع ما الجأهم الى الاعتراف بخالقها الحكيم جلت صانعه وانت لو رزقت ما رزقوا وعرفت ما عرفوا لكنت شريكهم فيما لمتهم عليه ( من الرجز )

ولو يذوق عاذلى صبابتى … صبا معى لكنه ماذاقها

(عاد كلامه) فمن اين عرفوا ان المادة قد توجد مجردة عن المادة والحال ان المادة لاتنفصل عن قواها . اعاد هنا ذلك الغلط الذى فرغنا قبيل هذا من بيانه وجدد ذكر الفريه الواضحه التى رمى بها اهل الدين وسيعيده في هذا الفصل مرة ثالثة وقد تقدم فيما سبق من كلامه في غير هذه المفاوضة وتكراره له فيما لم نتعرض من كلامه اكثر ونحن من الآن فصاعدا لا نزيد في الجواب عنه على قولنا . انا لا نعرف في جميع فرق اهل الدين من يزعم ان الله تعالى قوة للمادة الا ان يكونوا قوما وجدهم الثقه هيكل على ساحل البحر

الذي وجد في قمره المونير. و كل من زعم ذلك فعليه اضعاف ما على الملحدين .

(عاد كلامه) ام كيف جاز لهم التصديق بوجود شي من لاشي و هل ضلال اشد من هذا الضلال على العقل فتكون العالم من العدم امر مستحيل لا يقبله العقل ولا يثبته الاختبار والعدم لفظة لا معنى لها . ان اراد من وجود شيء من لا شيء ومن تكون العالم من العدم ما يريده اهل العلم من قولهم اوجد العالم من العدم ونحوه ( اعني الابداع والاختراع ) فهذا ليس بالامر الذي لا يجوز تصديقه ولا بالمستحيل الذى لا يقبله العقل وليت هذا الدكتور عرفنا بالبرهان الذى يعتمد عليه في امتناع الابداع فانه من بديع الحكمة وطريف العلم الذى لم يتنبه له المعلم الاول ولم يعرفه المعلم الثانى وقصرت عنه افهام ساير الحكماء من اليونانيين والاسلاميين .

ولكن الظاهر بقرينة الكلام والمتكلم انه لا يريد هذا المعنى من قوله بل يريد به معنى عاميا اختلقه فهمه وعزاه الى اهل الحكمة والدين وهمه وهو صنع العالم من العدم كما يصنع السرير من الخشب والخاتم من الذهب والا



فما دعوى الاستحالة وضلال العقل في امر اتفقت العقول على امكانه ودان الحكماء واهل الاديان بوقوعه وما ذا يربط بما هو في صدده قوله والعدم لفظة لا معنى لها (على انه لفظة لا معنى لها ) فان كان هذا المعنى مراده من تكون العالم من العدم فليعذرنا من الجواب وليوجه الى من قال ما شاء من غليظ القول وممض العتاب .

(عاد كلامه ) ومن المقرر ان المادة دائمة الوجود لا تتغير وهذا يقتضي كونها قديمة . هذه الحجة ايضا ثمينة عنده جدا ولهذا كررها في هذا الفصل مرتين وقرنها فيه مع تلك وبسط فيها الكلام في مواضع شتى مما لم نتعرض لكلامه وناهيك بها حجة لو كانت صغراها ثابتة وكلية كبراها مسلمة ونتيجتها للمدعي مطابقة ولكن مع الاسف فقد ان الشرايط الثلاثة فيها .

(١) اذ لا برهان لهم على عدم اندثار المادة فضلا عن امتناعه بل اقصى دعواهم انهم لم يشاهدوا الا تغييرات صورها وانهم لم يتمكنوا الى الآن من اعدامها واين هذا من دعوى العدم او الامتناع فلعل لكل دقيقة من دقائق الاثير حدا محدودا واجلا مضروبا فيفنى منها كل يوم الوف ولا نشعر

بها لكثرتها وتكون النتيجة فناء العالم كله اذ افنى كلها او يوجد كل يوم اجزاء كما تفني فيه اجزاء اما مساوية للدقائق الفانية فيبقى مقدار الهيولي كما كان او اكثر فيضيق نطاق العالم او اقل فيفنى ايضاً لكن بأبطاء من الفرض الاول ومن المحتمل ايضا بقائها لو خليت وانفسها لكن مع امكان افنائها بطرق سوف يعرفنا به العلم في المستقبل وان ظن علينا بها الان (و لاتستبعد ذلك من العلم بعد ما يريك كل يوم من العجائب ) اوبطرق لا يمكننا معرفتها ولو بعد حين وهذه احتمالات لا بد من القطع بعدمها كالقول بأحدها من البرهان القاطع و لابد لمن يتشبث بهذه الحجة من اقامة الدليل على امتناعها وانى له ذلك واقصى ما يبلغه جهده قوله لانعلم ملاشاتها وهل ينتج لانعلم سوى لا نعلم وهذا الرجل يعرف ذلك بل يعترف به ويقول في اول مناظرة اصحاب الخلق والقدم ما لفظه ( وخالف الماديون سواهم فقالوا انها ازلية لانهم راوا ان المادة لا يستطاع خلقها و لاملاشاتها الى ان قال ( قالوا ونحن لانعلم غير ذلك ) وان اول كلامه هذا فأنه يقول فيها ايضا بعد عدة اسطر عن لسانهم ما لفظه ( فأذا كنا لانعلم خلقها و لا ملاشاتها



فكيف لنا ان نحكم بهما ) فنرى اقصى ما يبلغه عدم الاذعان بالملاشاة ودعوى عدم العلم به فكيف صار من المقرر ان المادة دائمة الوجود كما يدعيه هنا وكيف جاز له في شرعة الانصاف ان يورد قضيه مشكوكه ويجريها مجرى الاصول الموضوعه و لايكتفي فيها بنسبتها بل الى اصحابه يشرك فيها خصومه معهم فيقول في هذه المناظرة ما لفظه (وعليه فالفرق بين اصحاب الخلق والقدم في المادة انها مخلوقة من لا شيء عند الاولين وقديمة عند الاخرين و لا فرق بعد ذلك فالمادة عند الفريقين لا تتلاشى ) ولم اجد في كلامه مرجع الضمير في قوله وعليه هذا ولا تنس هنا مذهب (غوستاف لبون ) في تلاشى المادة وتجاربه فيه وجنوح هذا الرجل اليه في مقدمة ترجمته لشرح ( بختر ) وتصفيقه له وطربه عليه الا ان يقول اردت بها الاثير وقد خالفت الاصطلاح واسأت التعبير .

(٢) واما قوله وهذا يقتضي كونها قديمة فلا دليل عليه وليس ذلك من الاوليات التى تستغنى عن الدليل بنفسها كيف وهذا اكثر الفلاسفة ومنهم اشهر المحققين يقولون بحدوث النفس الانساني مع تركيب البدن ثم بقائها ابديا

بعده نعم ثبت في العلم الاعلى الذى ليس هذا من رجاله عكس هذه القضية وهو ان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واين هذا مما يرومه هذا واصحابه .

(٣) ثم هب ان هذه الحجة قد تمت وثبت بها قدم المادة بالمعنى الذى يريده بل لا يفهم للقدم معنى سواه اعنى القدم الزمانى وهو المسبوق بعدم نفسه فاين يقع مما يريده هذا من الجحود وهذا جمهور الحكماء والفلاسفة يؤمنون به تعالى اقوى ايمان ويعترفون بصدور العالم عنه وخلقه تعالى له اعظم اعتراف وهم مع ذلك يزعمون استحالة الحدوث الزمانى بمعنى وجود زمان لم يكن فيه العالم ولكن لا لهذه السفاسف العامية اذ لا تروج مثلها في اسواقهم بل لشبهة علمية غامضة معروفة وهى ان حدوث المعلول مع قدم العلة يستلزم خروج العلة عن كونها تامة وانفكاك المعلول عن العلة في بيان طويل ليس هنا محل نقله وهم لذلك يقولون بقدم العالم زمانا وبتأخره عن العلة الاولى رتبة شان كل معلول مع علته . واهل الشرايع الذين يقفون مع الاديان على ظواهرها ولا يجوزون التأويل فيها لا يوردون عليهم بان القدم الزمانى يستلزم منه التعطيل بل



يقولون بان الثابت المعلوم من الدين حدوث العالم زمانا لا رتبة فقط . ولعل الى هذه الشبهة العلمية تئول عبادته العامية وهى ( لو فرضنا وجود قوة مبدعة لما امكن وجودها باعتبار الزمان لا قبل الخلق ولا بعده . لا قبل الخلق لأن ذلك يقتضى بقائها مدة من الزمان بلا عمل وفي حال السكون امام المادة اللاصورة لها والساكنة ايضاً وهذا غير سديد ولا بعده لأن هذا ظاهر البطلان ) .

ندع انيرنا التكلم في اغلاط صورة هذا البرهان ونقول ايها الدكتور اى الفريقين من اهل الايمان تخاصم وعلى ايهما تعترض الفلاسفة وهم يقولون بقدم العالم زمانا كما تقول وهذه حجتهم قد مسختها وازالت عنها رونق العلم وحسن صبغته ام اهل الشرايع وهم يقطعونك بما نقلته عنهم في مناظرة اسباب الخلق والقدم من قولهم ( ولا يرد علينا بقدم المبدع وانه علة العلل لأنه عندنا فاعل مختار يفعل ما شاء متى شاء ) ولم تزد في جوابهم على قولك ( قلنا فبقى القضية ليست من باب العلم بل من باب الايمان ولو وقفتم عند هذا الحد لاسترحتم وارحتمونا ) .

ولا اريد بذلك انحصار جواب اهل الشرايع بما نقلت

عنهم بل اردت ان اذكرك انقطاعك عن جوابهم ليختصر
الجرى معك في ميدانٍ لست من فرسانه والآ فان للمؤمنين
عنها اجوبة قويه ووجوه حسنه يطلبها من شاء من مواضعها.
وتلك الاجوبة ان تمت فالعالم حادث زمانا ورتبة والحق
مع اهل الدين والآ فالعالم حادث رتبة فقط والحق
مع الفلاسفه المتألهين واياً كان فبين هذه الحجة وبين
ما تروم من التعطيل مراحل . ولكنها حيلة تعودتها
وطالما استعملتها تعمد الى المسائل التى تختلف فيها اهل
الدين فتأخذ حجج اهل الفريقين والزامهم لخصومهم فتجعلها
بعد ان تفسدها دليلا على الحادك . الست المستدل بشبهة
الجبرية في مقدمة تعريب شرح ( بختر ) وبشبهة المجسمة في
سابق كلامك وبشبهة الفلاسفة هنا وبامثالها في غيره . مع
المجبرة تارة وتارة مع المجسمة مع الثنوية يوماً ويوماً مع
الفلاسفة وليت شعرى والحديث شجون ادكتور انت ام
ابوقلمون .

***

ثم انك ايها الدكتور ذكرتنى الطعن وكنت ناسياً اذ
المؤمنون في راحة من هذه الشبهة بقولهم ان الله تعالى فاعل



مختار كما نقلته عنهم وفي استراحة من نزاعكم للوعد الذى
ماوفيت لهم به اذ نازعتهم فيه بلا فصل كما سبق ولكن
جوابها عندكم وكيف المخرج عنها على اصولكم اذا المادة
والقوة قديمتان ولا فاعل في الكون سواهما بل لا وجود
لغيرهما فما ذا كانتا فاعلتان قبل ان تتكون الشموس بل
قبل ان تتركب الجواهر الفردة من دقائق الاثير على مذهب
نشو المادة الذى صفقت له فى مقدمة كتابك هل كانت
ساكنه وعندك كما في ( ص ٢٨٤ ح ل ) ان السكون كالعدم
لا يعقل ..

وايضاً ما الذي حركها ولا وجود بزعمك لما يكون خارج
عنهما أتقول كما رأيت في مقالة اظنها لبعض اخوانك وقد
نشرتها احظى المجلات العربية عندك واعظمها حقاً عليك
تحركت لسبب غير معلوم وفيها نقض دعائم المادية والحكم
بحدوث القوة التى لا تفارق المادة بزعمك .

ثم ان هذا السبب المجهول ان كان مادياً عاد الاشكال
ووقع عنه السوآل وان كان غير مادى ففى الوجود غير
المادة وقواها وهو المتسلط عليها والفاعل فيها وهذا هو

الذي يقوله المؤمنون اذا فليحي (الدوالسم) * فقد مات مذهب (المونيسيم) * ورجع عنه المعطلون .

ثم ان هذا الرجل تنبه لهذا الاشكال وقنع نفسه بأنه مشترك الورود بين الالهيين والماديين ثم ذكر جوابا وتبرع على المؤمنين بأن شاركهم فيه فقال (على ان الاضطرار للخالقية اوسواها لايلزم منه استكمال الوجود دفعة واحدة لارتباط العلل والمعلولات بعضها ببعض وتحول بعضها الى بعض فالحياة يستحيل ان تظهر قبل ان يكون ماء والماء قبل ان تكون هيدروجين واكسجين وهما قبل اجتماع اجزاء المادة على كون يتألف منه ذلك فوجود الحياة متوقف على وجود الماء ولو لحظة قبلها ففي قياس اي عقل يصح وجودها ووجود ساير المركبات معاً) هذا الذي جعله دليلاً على مذهبه عاد وبالا عليه وطفق يحاول المحيص عنه الآن (ولات حين مناص) ويعلل نفسه بانه مشترك الورود بين المؤمنين والملحدين وقد سمعت اعترافه باستراحة المؤمنين عنه اذا جعلوه من باب الايمان فليقل ما شاء فما مثله من يلام على مثه . واما تبرعه على المؤمنين بتكنفه الجواب

* سبق تفسيرهما في صفحة ٦١ ج ل



عنهم فهم بفضل الله عليهم في غنى عنه وعن امثاله . وليظهر لك انه لايجديه فيما وقع فيه نفرض الكلام في اول مايصدر عن القديمتين اعني القوة والمادة بزعمه واول معلول لهما اعني مالا يتوقف وجوده على شي غيرهما كتركب الجواهر الفردة من دقائق الاثير مثلا ونقول ان كان قبل مسبوقا بالعدم اي حادثا زمانا فماذا كانت القديمتان فاعلتان قبله ولماذا بقيتا من الازل الى ذلك الزمان بلا عمل وفي حال السكون الذي يقول انه كالعدم لا يعقل وان كان ذلك ايضاً قديماً زماناً فالقدماء حينئذٍ ثلاثة وتسئل عن المعلول الذي بعده هل وجد مسبوقاً بالعدم اذاً فما كانت العلة القديمة فاعله قبله ولماذا انفك عنها وان كانت قديمةً فالقدماء اربعة وننقل الكلام في المعلول الواقع بعده في سلسلة العلل والمعلولات وهكذا . وانت تعلم ان ما ذكره في الجواب بمعزل عن هذا الاشكال ولا يجديه في الخلاص عن الشرك الذي وقع متخبطاً فيه ماذكره من استحالة وجود الحياة قبل الماء والماء قبل جزئيه لما عرفت من انه في اي زمان فرض وجود جزئي الماء يقع السوآل عن السبب الذي اوجب تأخير وجوده ولماذا لم يكن قبله وان اعتذر عنه بعدم

استكمال علة وقع السوأل عن العلة وعلتها وهكذا وان
اعتذر باشتراط مرور مقدار من الزمان فان ذلك المقدار
واضعاف اضعافه موجود قبل زمان وجوده في حقيبة
الازلية واعلم ان لما ذكره اصل مذكور في محله من العلم
الاعلى اعنى في مسئلة ارتباط الحوادث بالقديم تعالى لكنه
ببيان احسن من هذا البيان مبنياً على مقدمات لا يعرفها
هذا الرجل وعلى اصل الاثبات الذى لا يسلم به فكانه
سمع ذلك الجواب عن بعض اهل العلم فمسخ صورته على
عادته ووضعه في غير موضعه وليس المقام مقام البحث في
ذلك وانما يكفينا أن نقول ان هذا الجواب لا يجديه فيما
هو في صدد التخلص عنه اذ غايته امتناع وجود المركبات
وكلما يشترط في وجوده سبق وجود عليه من علة موجبة
قديمة وحيث ما اوجدت بحكم الوجدان فلابد من ان
تكون صادرة من فاعل مختار كما يعتقده اهل الاديان فهذا
بان يكون دليلاً لمذهبهم اولى بان يكون حجة عليهم

( تبرئة ارسطاطاليس مما قرنه به (بخنر) )

ومذ جرى حديث القدم الذاتى والزماني فلا بأس بالتنبيه
على غلط وقع ( بخنر ) وغيره من متفلسفة الغرب في فهم



كلام المعلم الاول لعدم ادراكهم الفرق بين معنى القدم
وهو القول بان المبدع تعالت قدرته لم يخلق المادة ولكنه
نظمها اوحركها .

قال (بخنر) في صدر المقالة السادسة ما لفظه. فارسطوطالس
قلما يعتد بالمادة وينفى عنها كل حركة ذاتية ويجعل الصورة
الضروريه للمادة خارجة عنها . ومضادة لها . ويقول
بضرورة وجود محرك اول . والفرق بينه وبين فلاسفة
النصرانية في ذلك ان الكائن الاول عنده غير خالق
للعالم اوصانع له لان المادة لها ذلك وانما هو محرك له انتهى .
وفي كلام غيره انه تعالى وجد المادة موجودة فنظمها وغير
حركاتها . ولا حاجة الى ان ابين لك شناعة هذا القول
ولا ان انبهك على انه مذهب يجل عنه اقل تلامذة ارسطو
وصغار المشتغلين بكتب الحكمة الابتدائية فكيف بمثل
المعلم الاول الذى بنى علمه على امكان المادة وحدوثها
وافتقارها واقام واضح البرهان على وجوب انتهائها الى
الواجب تعالى مبدع ذاتها ومفيض صورها وانما الشان فى
بيان ماجر هؤلاء الى هذا الغلط الواضح واوجب وقوعهم
فى هذا الخطاء الفاضح . وظنى ان القوم لما قصرت عقولهم

عن ادراك معنى الحدوث الذاتي وعثروا في كلام المعلم على ما يظهر منه القول بالقدم الزماني زعموا ان معناه نفي مخلوقيه المادة ولكي يظهر لك اصابة هذا الظن ويتضح لك مراده نذكر بعض كلامه في الجمع بين قولي استاذه افلاطن الالهي في كتاب (اسولوطيقوس) وفي كتابه المعروف (بطيماوس) قال مقصود افلاطن من قوله انه (اي العالم) مكون وقد صرفه الباري من لا نظام الى نظام ان وجوده متعلق بالصنعة اللازمة للمادة بالصورة وليس ولا واحد من هذين وجوده بذاته دون الايجاد لصاحبه فالمبدع لهما اذاً قد اوجدهما على التأجيد النظمي فهو اذا يفعله الا بداعي صارف العالم من لا نظام الى نظام اى من العدم الى الوجود . ولقد صرح بذلك في كتاب النواميس فقال : ان للعالم بدواً علياً وليس له بدو زماني اى له فاعل قد اخترعه لا في زمان . فان فاحصاً فحص عن سبب اختراعه اجيناه بانه مريد بذاته لافاضة جوده وقادر على ايجاد ما اراده . والتعبير عن الله سبحانه بمبدع العالم ونسبته احداثه اليه كثير في كلامه (١) و كلام

(١) قال في الميم العاشر من كتاب الربوبية لما ابتدعت الهوية الاولى من الواحد الحق الخ . وسئله بعض الدهريه وقال اذا كان المبدع لم يزل ولا شيء غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال لم غير جائزة عليه الخ .



استاده . ولا ادرى لماذا ترك (بختر) فنه الوحيد من مراقبة احوال القرود والمقايسة بين جنيني الكلب والدجاج وتكلف الكلام على فن ليس من ليله ولا سمره ولا هو من بزه ولا عطره . اما كان له في الحاديات (ديدرو) و (هولباخ) ما يشغله عن النظر في الحكم المأثورة عن ارباب الحكمة الالهية ويلهيه عن بيان الفرق بينها وبين النصرانية .

— تبرئة الصوفية مما رماهم به معرب شرح (بختر) —

وغلط (بختر) في فهم كلام (ارسطو) يقيم عذراً لمقلده ومعرب شرحه اذا غلط في مذهب الصوفية ونسبهم الى مذهب (البانتايسم) (١) وهم من ابعد الناس من هذا المذهب واشدهم مقتاً له . وهو وان تصرف في المذهبين باجتهادات باردة ليقرب احدهما الى الاخر ولكن لاشك ان مذهب البانتايسم كيف ما اعتبر مبنى على وجود المادة وتحصلها

(١) وهو اتحاد الخالق مع الطبيعه نظير قول « سبينوزا » المتقدم انما الله والطبيعه شيء واحد وقول « برنو » لا محل لازلى لغير الكون او ان ذلك الازلى او الخالق هو الكون نفسه وهذا المذهب فيما ارى قسم من الالحاد وقد تكلف فيه المعرب حتى جعله مذهباً فلسفياً ودينياً معاً .

بل وانكار الوجود لغيرها ثم دعوى اتحادها مع الذات المقدسة ينجو من الحلول والاتحاد ونحوهما مما يتبرء منه ائمة الصوفية ويصرحون بفساده في منظوم كلامهم ومنثوره. ومذهبهم على غموضه واختلاف التعبير عنه مبنى على نفى الوجود الحقيقى لغير الله تعالى وعد ماسواه وهما او خيالاً اواعدا ماتشكلت وتجددت باحاطة نور الوجود به اونحو ذلك من المعاني الدقيقة التى تجل عن الافهام العالية المدربة على درك امثالها من الغوامض فضلاً عن الافهام العاجزة عن سوى المحسوس فالمذهبان في وجود الماديات على طرفي السلب فكيف يجعلها واحدا. ومن الطريف انه بينا يتخبط في ظلمات التعطيل ويلفق اوهاما على نفى من استغنى بظهوره عن الدليل اذتحول مؤمنا بالله كافراً بسواه قائلا بوحدة الوجود قائلًا في مقدمة الطبعة الثانية (ص٢٩) اللهم الا ان يكون كما في قول محى الدين ابن العربى

فانظره في شجر وانظره في حجر * وانظره في كل شئ انه الله

وثبة من النقيض الى النقيض ومن القول بانكار الوجود لله تعالى الى قصر الوجود عليه وانكاره في سواه ومن الكفر الى اقصى درجات الايمان — ان صح — ومن لحس قصاع الماديين الى



التطفل على موائد العارفين هذه وابيك مجرد وثبة وطفرة بل هى معجزة فلماذا ينكرها وقداتي بها في هذه الكلمات الموجزة.

***

ثم قال المؤمن لصاحبه هل بقى شئ مما تتمسك به في قدم المادة اوفى مبدعها جلت عظمته.

(المعطل) نعم برهان ذكره صاحبى في كتاب الحقيقة (ص٢٨٣) ويظهر من كثرة شقوقه وطول ذيله انه على نمط براهين الفلاسفة الاولين ولكن مع الاسف لم افهمه على طول تأملى فيه وانا انقله لك بلفظه قال (ثم ان المادة كيفما اعتبرت اما قديمة واما حادثة وهى ليست قديمة على قولكم فلابدلها من محدث فاما ان تكون حادثة من شئ موجود اومن لاشئ موجود ولا يصح ان تكون حادثة من شئ موجود لان هذا الشئ الموجود اما ان يكون نفس المحدث اوشيئا اخر موجودا ايضاً فينتفى الحدوث. ولابد ان تكون فعلا من افعال المحدث والا لم يكن هو المحدث فاما ان تكون نفس الفعل اونتيجته والفعل ونتيجته موجودان في الفاعل والفاعل قديم فينتفى الحدوث كذلك. وان لم يكن الفعل

ونتيجته، وجودين في نفس الفاعل فيقتضى ان يكونا ليس منه وهما منه وهو خلف وان يكونا لاشئ وهو خلف ايضاً ثم انه يقتضى ان يكون الفعل واقعا على شئ هو لا شئ ومنفصل عن نفس الفعل والفعل منفصلا عن نفس الفاعل والا كان الشئ والفعل والفاعل واحدا وكيف يكون الشئ منفصلا مع هذا الارتباط وان لم يكن منفصلا فكيف يكون الشئ الحادث غير المحدث . فالعقل لايقدر ان يسلم بهذه المتناقضات)

(المؤمن) — ٢٥ ارادان يتفلسف صاحبك فجاء بالطامة الكبرى وبما يضحك عليه صغار المشتغلين بالعلم ولا اظن هذا الكلام المسهب دليلا واحدا بل اراه مجموع ما في عيبته من ادلة الالحاد وجميع ماتلقنه من الملحدين وقد مر ذلك في كلامه قطعاً وعرفت الجواب عن كل منها مفصلا ففى اوله يعيد غلطه في معنى الابداع ويخلط بين نحوى الوجود المسمى عند اهل العلم بالوجود الربطى والوجود الرابطى وبين نحوى الجعل البسيط والمركب على ماهو واضح لدى اهل العلم ونقول ببيان يسهل فهمه لمن لا انس له بالعلوم العالية فرق بين قولك كان زيد وكان زيد عالما اذ الاول



معناه وجوده في مقابل عدمه والثانى وجوده متصفا بصفة العلم ويسمى الاول عند النحاة بالتامة لاستغنائه عن الخبر والثانى بالناقصة لاحتياجه اليه . ومراد الالهيين بالايجاد والابداع للمادة انما هو الوجود بالمعنى الاول وهو لايحتاج الى شئ يقع عليه الفعل ولا الى مايوجد منه وهو بمعزل عن الترديدات التى ذكرها والاقسام التى سولتها له مخيلته وانما يحتاج الى ذلك في مثل قولهم خلق الانسان من النطفة وصاحبك لما حمل الابداع على المعنى الثانى اخذ يقسم ويردد ويأتي بالتوالي ويبطلها ولا يدري ان ذلك بمعزل عن مراد القوم ولا مساس له بكلامهم اصلا .

نعم : يبقى السؤال عن تصور الابداع وجعل الشئ موجوداً بعد ما كان معدوماً وهذا مما سمعت الكلام فيه وعرفت ان الابداع للجواهر وايجادها مختص بالخالق جلت آلائه اذ لا شريك له في خلقه ولا نظير له عندنا اذ لا نظير لقدرته وعرفت ان احسن تقريب له هو قياسه على افعالنا وحالاتنا فان احدنا يتكلم ويمشى ولا وجود لتكلمه ومشيه قبل فله وانما يوجدهما من العدم بارادته واستعمال الآلات المعدة لهما من بدنه ويعتريه الغضب والخوف ويحب ويبغض

كتابخانه موزه و مركز اسناد مجلس شوراى اسلامى
تأسيس ١٣٠٢ هجرى شمسى

ولم يكن لجميعها وجود قبله بل وجد بعد وجود اسبابه .

ونحن لا نحب التخطى عن سنة الآداب مع صاحبك في هذا الكتاب ولو كان المخاطب غيره لقلنا له ان اقرب الطرق الى افهامك هذه الغوامض ان يصفعك رجل ( وليتنى ذلك الرجل ) صفعة تذهب باحدى عينيك فاذا اشتكيت الالم قلنا هذا الالم ( او ادراكك له ) لم يكن له وجود من قبل وقد وجد الآن ولم يصنعه لك الضارب من المعكرونة او الفالوذج وانما اوجده وابتدعه فقد عرفت معنى الابداع والايجاد فقس عليه ايجاد الصانع تعالى للمادة . واذا عاتبت الضارب قلنا فقد عرفت انه الفاعل له والا لما خصصته بالعتاب ثم اجعله من اى قسم شئت من هذه الاقسام الباردة التى تخيلتها من نفس الفعل او نتيجته ووجودهما في الفاعل وعدمه واطلق عليه اى لفظ اردت من هذه الالفاظ التى لا تزال ترددها من الاتصال والانفصال والشئ واللاشئ ونحوها ونحن نجاريك ونقول بمثله في ايجاد المادة اذ لا فرق من هذه الجهة ( وان كانت فروق شتى من جهات ) الا ان مريد وجود الالم او وجود ادراكك له لم يتمكن من ذلك الا باسباب وآلات وموجد المادة هو القادر المطلق يوجدها



بارادته . ( سورة يس )

( انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون )

وبهذا يظهر لك ايضاً معنى الافناء الذى يقابل الابداع لأن صفة الابصار كانت حاصلة لعينك اعنى الظاهرة وقد فنيت الآن فيالها من صفعة مباركة اذهبت منك بعين واحدة وعرفتك من غوامض المسائل ثلاثة .

واما ما ذكره من حديث وجود الفعل ونتيجته في نفس الفاعل فاظنه على نمط ما مر آنفاً من انه شئ سمعه من اهل العلم فافسده على عادته ولا يهمنا البحث عن اصله .

ويكفى في جواب هذا الرجل ان نقول ان اردت بوجودهما الوجود العلمى لهما فهو حاصل قديم اذ علمه تعالى محيط بما يكون كاحاطته بما كان لا يعزب عن علمه شئ ولا يلزم منه قدم المادة بالوجود الخارجي فانك تتصور الدار التى تريد بناءها بعد بضع سنين وتجد صورتها في نفسك ولا وجود لها خارجاً . وان اردت وجودهما في نفس الفاعل خارجاً منعنا اللزوم ولا يلزم منه ان يكون الفعل ليس منه كما لم يلزم في مثال الدار المذكور . وبالجملة ان اراد وجودهما في نفس الفاعل بالوجود العلمى فهو مسلم ولا يلزم منه

قدم المادة خارجاً وان اراد الوجود الخارجى فهو ممنوع ولا يلزم من منعه ان يكون الفعل ليس له . وقوله بعد ذلك وان يكونا لا شئ وهما شئ فما لا ادرى علامَ عطفه وبمَ علق الخلف المذكور . فيه وقد عرفناك المراد فليهن عليك امره باى معنى اراد واما قوله ثم يقتضى ان يكون الفعل واقعاً على شئ هو لا شئ فالظاهر انه قد رجع فيه الى الغلط الاول في معنى الابداع وقد عرفت الكلام فيه وما ذكره بعد ذلك من امر الاتصال والانفصال واتحاد الشئ والفعل والفاعل ونحوهما فهو كلام خارج عن كلام اهل العلم وانا لم اعط فهم سواه فليعذرنى صاحبك عن الجواب مفصلاً والصفحة المتقدمة هى الجواب اجمالاً .

وكأنى بصاحبك وهو يتذمر بقلمه ولسانه والا فبضمير جنانه ويقول ان كثيراً مما ذكرت ليس من العلوم العلمية ولا من الفلسفة الاختبارية وما هو الا من علوم الكلام وما هى الا اوهام على اوهام .

واقول له خفض عليك ايها الدكتور فانك اول من خرج من ذلك المضيق خروج الضب عن نافقائه فاربى في غلوائه وطفق يستدل بما يشبه مسائل الحكمة العالية فالجأتنى



الى ان ابين لك شيئاً من واضحاتها وانبهك على مواضع غلطك فيها وانى مع ذلك تجنبت عويصات المسائل وذكرت لك باوضح بيان . ارجو ان لا يقصر ذهنك عن فهمه ان اعطيت التأمل فيه حقه .

ولو كنت في اهل بلادك لبذلت لك النصح ولم يمنعنى منه غلوك في الحادك وحتمت عليك بان تحذف من كتابك الاغلاط الواضحة والعثرات الفاضحة ( ولا تسئلنى عما كان يبقى منه بعد ذلك ) ولو عددت لك لطال التعداد واثار منك الغضب وظننت بى الظنون ( وقد يستفيد الظنة المتنصح ) ويكفى للتنبيه عليها قولك في مناظرة ارباب الخلق والقدم ( فرد بان الشئ لا يقدر ان يوجد نفسه ولابد له من موجد سواه ) ولهذا نحكم بخلق المادة لانها موجودة ولا يقدر ان توجد نفسها قالوا فمن اين علمتم ان الشئ لا يوجد نفسه او لا ترون انه يصح لنا ان ندفع قولكم بنفس اعتراضكم انتهى .

اما علمت ايها الدكتور ان قضية ايجاد الشئ نفسه من اوضح الممتنعات العقلية ويلزم منها لوازم بديهية الفساد . من تأثير المعدوم في الموجود . وتحصيل الحاصل . وكون

المعلول في رتبة علته . واجتماع النقيضين القدم والحدوث ونحوها من اللوازم الفاسدة ولا داعى الى ذكرها بعد كون فساد نفس المدعى من اوضح البديهيات ثم لا تعلم انك قد خالفت الفريقين واتيت بما لا ترضى الطائفتين فخالفت الموحدين بجعلك المادة خالقه لنفسها . والماديين بقولك انها مخلوقة لنفسها . وانى رأيتك تقول في كلامك ( ص ٣٠ ) ( ولا استغنى عن تلك الفلسفة .. النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية الهادية الى السبيل القويم المبنية على العلم الحقيقى . ولما كان به حاجة الى اقامة تلك العلوم التى هي اشبه بهذيان المصدعين الا وهى علوم الكلام على الاطلاق )

ارأيت ايها الدكتور كيف لم تغنك الفلسفة العلمية عن الفلسفة النظرية فوقعت في ما لا يقع اجهل العوام فيه اعرفت الآن وجه الاحتياج الى تلك العلوم واتضح عندك ان العلوم العملية وان كانت بالاطراء جديرة ولكن لا ينتفع الانسان بها اذا كان هذا مقداره من الفلسفة النظرية وهل لك ان تنظر بطرف الانصاف في هذا المقام لترى ان الشبيه بهذيان المصدعين كلامك هذا لا علوم الكلام .



ورأيت في بروغرام الاشتراكيين الذى كتبته لوطنك الاغر ان تجمع كل هذه الكتب وتوضع على ظهور حملتها ويشحن الجميع فى بالون يسير بهم الى القطب الشمالي الخ . ولئن يكونوا في تلك الاصقاع البارده خير لهم من مجاورة بلاد يتهكم مثلك بعلومهم . ولكن اما كان من الحزم ايها الدكتور ان تبقى عندك بعض كتبها الابتدائية وبعض من يفهمها ليصان كلامك عن هذا الغلط وامثاله ان شئت التفلسف . ثم انك ابنت عن جهلك بالدين حيث قلت اولا ترون انه يصح لنا ان ندفع قولكم بنفس اعتراضكم كانك تزعم ان المؤمنين يقولون ان البارى سبحانه اوجد نفسه ولا تدرى ان هذا مما يضحك منه اطفالهم ويستعيذ عوامهم أليس من جلل الخطب ايها الدكتور وعظم المصاب تصديك للرد على اهل الاديان قاطبة وهذا مقدار معرفتك بالدين واما مبلغك من العربية فانك لا تفرق بين معنى قولهم موجود بنفسه وبين ما افتريت عليهم من قولك اوجد نفسه .

وانى معتذر اليك يا صاحبي مما انتهت اليه المناظرة ولطالما طويت الضلوع من اسائة صاحبك الى العلوم والاديان

على مثل حز المدى وخز السنان الي ان جرى القلم بما سمعت ولم املك منه العنان فهل بقيت عندك في خلق المادة شبهة ادفعها اولقدمها حجة ادحضها .

المعطل لا ولا شك عندي الان في ان المادة مخلوقة .

المومن ٢٦ ولكن لى عما قرره اصحابك في امر المادة ضروب من الاشكال وانا موردها عليك فلعلنى اجد عندك فيها ما ليس عندى ولا يمنعنى الحادك عن الانتفاع بعلمك لانى بحمد الله مؤمن والحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها

***

المعطل سل فعلى الخبير قدسقطت .

المؤمن ٢٧ اولها ان الشائع على السنة اصحابك قدم المادة (والاثير) والقوة وانهما امران متلازمان يستحيل وجود احدهما بدون الاخر وقد تكرر ذلك فيما مر في كلام صاحبك وفيما لم نذكره من كلامه وكلام غيره اكثر. ولا اريد ان الزمك هنا بما ثبت في العلوم العالية من امتناع كون القديم معرضا للعوارض لان تلك العلوم يراها اصحابك صروح اوهام مبنية على وهم ويراها اصحابها اعلى مقاما واشرف قدرا من ان تنالها افهام اصحابك وايا كان فلا جدوى في



البحث فيها معك وانما اريد التوفيق بين قولهم هذا وبين ما يدعيه صاحبك من التوحيد في الطبيعة وينكره من ناموس التثنية فيها ويقول في مقدمة الطبقة الثانية من تعريب شرح (بختر) ما لفظه (كما انه لا يجوز بناء على ناموس تلازم المادة والقوة اعتبار هذين المظهرين اى المادة والقوة شيئين متمايزين في الجوهر يثبتان ناموس التثنية فى الطبيعة) ثم ذكر ما نشره في جريدة البصير ونصه الهيولى فرض لبسيط المادة والحركة حقيقة ثابتة فالحركة اصل الكل انتهى . اتراه يريد انكار المادة والاقتصار على الاثير والحركة .. اذا الا يكفى ذلك في ثبوت التثنية ضرورة ان الحركة غير المتحرك او تراه يريد انكار الاثير ايضا لتبقى الحركة وحدها اصل الكل واصرح منها قوله فيها (ص ٣٥) وسواء سميتا جوهر الكون الاصلى اثيرا او هيولى والقوى المتحولة عنه قوة اوحركة فالمعنى واحد وما هو الا اختلاف الفاظ فقط والمهم تحول هذا الجوهر وانحصاره في واحد هو القوة والحركة التى هي حقيقة ثابتة في العلم بخلاف الاثير او الهيولى التي هى فرض جلاء الكلام وتقريبه الى الفهم انتهى . فتراه يصرح بان

الهيولى والاثير فرض لجلاء الكلام وان الحقيقة الثابتة في العلم هى الحركة اذا فما يصنع ببداهة العقل وحكمها بان الحركة لا توجد بغير متحرك وهو نفسه ممن يدرك هذه البديهية ويقول في ( ص ١٧٩ ج ل ) ما لفظه لان المادة في ادق اجزائها اذا فرضت ساكنه لم تعقل وكذلك الحركة اذا فرضت بدون شيء متحرك لم يعقل او تلاشتا م. اوهذا لا يعقل ايضا قال ( ورتز ) ان القوة لا تكون وحدها بل يلزم ان تصدر من شيء وان تفعل على شيء وان تظهر بحركة وكيف يكون حركة بلاشى متحرك انتهى ( وثانيها ) ان في اول كلامه المتقدم نقله عن ( ص ٣٥ ) تحول الجوهر الاصلى الى القوى ويظهر ذلك من مواضع اخرى من كتابه فكأنه يقول في الاثير ما يقوله ( كوستاف لبون ) في الجوهر الفرد واذا فما معنى تحول المتحرك حركة اى الجوهر عرضا . وايضا بم تقوم هذه الحركة حينئذ والمتحرك متحول الى الحركة ولو ضممت ما ذكره فيه الى ما ذكره في ( ص ٢٧٩ ) تحت عنوان ان القوة والجوهر سيان وتتبعت سائر كلامه في القوة والمادة لرئيت العجائب ومن طريفها استدلاله على اتحاد الحركة والجوهر الفرد ( وهى



دعوى عجيبة ) بان المادة في ادق اجزائها اذا فرضت ساكنة لم يعقل ولا يتعقل ان الملازمة بين شيئين لا يجعلهما شيئاً واحداً ( وثالثها ) ان دقائق المادة . اما ان تكون محصورة معدودة اى متناهية . اوغير متناهية . وعلى الاول يقع السؤال عن السبب الموجب لخصوص ذلك العدد من غير زيادة ولا نقيصة عنه ثم عما ورائها ان كان الفضاء متناهيا ايضا فهل تبعث اذا الكرات البلورية من اجداثها بعدما اماتها العلم ويعاد علينا الحديث القديم الذي كنا نعده من المعضلات من انه لا خلاء ولا ملاء فوق محدد الجهات وان كان غير متناه لزم ان يملأ غير المتناهى بالمتناهي ولاقضيه احرى منها بالفساد . ولا حاجة الى اطالة الكلام على سائر ما يلزم هذا الفرض بعدما كان الظاهر من صاحبك هذا وغيره القول بعدم انتهاء المادة كالفضاء بل والاجرام السماوية ايضاً كما يقوله ( بخنر ) ( ص ٢٢٢ ) ويتجه عليه اعتراضات كثيره اقتصر منها اشفاقا عليك من الملالة على اعتراضين :

اولهما ان وجوب تناهى الاجسام وامتناع اللانهاية فيها مما اقيم عليه البراهين الواضحة التى تجعله من القطعيات ولا تدع فيه للشك مجالا ولا لقائل مقالا ولا يناسب موضوع

الرسالة نقلها وهي معلومة لدى اهلها ويكفى لذى الطبع السليم هنا ان من ضروره العقل معدودية العدد الموجود في الخارج فلا يمكن ان يوجد عدد لا نهاية له خارجاً وان كان العدد لا نهاية له ذهناً فيستحيل وجود معدودات غير متناهية و كل عدد موجود خارجاً لابد ان يكون له حاشيتان واجزاء كالنصف والثلث ولابد من قبوله الزيادة والنقصان و كل ذلك دليل الانتهاء فلايعقل اللانهاية لدقائق الاثير او الجواهر الفرد .

( وثانيهما ) ان مذهب اصحابك في تكوين الكون مبنى على اثبات المركز العام للاجزاء لتتحرك نحوه الاجزاء حركات مختلفة وتنشأ منها العناصر الاولية . ثم تتكون السيارات والاقمار على ما هو مقرر في الرأى القديم . ومن الواضح انه لا يتصور المركز العام لغير المتناهى وقد نقل صاحب الراهن والواهن في الفصل الاول من التكوين اعترافهم بذلك وهذا لفظه .

نعم : اذا اعتبرنا ان لا نهاية للمادة في امتدادها فالعوالم لا يمكن ان تكون قد نشأت من تلك المادة نشوءاً ذاتياً . ولكن الذهن لا يمكنه تصور امتداد المادة الى ما لا نهاية



له . فلابد اذاً من القول بنهاية للمادة الخ .

( ورابعها ) ان هذه الدقائق الازلية متماثلة على الرأى المادى كما يقوله صاحبك بل يقول اصحابك ومن المعلوم ان المتماثلات لا تحصل منها الا متماثلات فكيف اعطت هذه المختلفات وقد اجاب عنه صاحبك في كتاب الحقيقة فقال : ولعل المعترض لا يعد الاختلاف اختلافاً حتى يكون في الطبع فيقول ان اختلاف الكم والكيف لا يحصل عنه اختلاف الطبع وهذا وهم فان اسماء العقود كالعشرة بقطع النظر عن الشيء المدلول عليه بها هى غير الواحد المؤلفة منه والتى تنحل اليه والمثلث بهذا الاعتبار نفسه هو غير النقطة المؤلفة منها والتى ينحل اليها . ثم ان مزيج عنصرين كالنيتروجين والاكسجين مثلاً هو غير مركبهما وفرق بينهما الا في نسب جواهرهما وفي ترتيب بعضها بالنسبة الى بعض لا بادخال شيء جديد او تغيير في طبايعها الخاصة قال ( ورتز ) ( ان التركيب ليس ناشئاً عن تداخل جواهر المادة بعضها ببعض بل من ترتيبها بعضها حول بعض) ولا يخفى كذلك ان العناصر الجوهرية التى تركب المواد الحية هى الاكسجين والنيتروجين والهيدروجين

والكربون ونسبها في المواد المذكورة لا تختلف الا في الكم والوضع ومع ذلك فما اكثرها وما اعظم اختلافها انتهى .

ولقد ابدع صاحبك غاية الابداع فاتى في كلامه بثلاثة اغلاط ( في الجواب والتمثيل والمثال ) اما غلطه في الجواب فلان الاختلاف في الكم والكيف وساير ماذكره من النسبة والترتيب لا يعطي المختلفات بل ولا معنى لاكثرها الا مع اختلاف الاجزاء التي تتركب منه والمفروض تماثل الاجزاء الاصلية التي تركب منها الكون .

فالاختلاف في الكم لا يحصل منه الا اختلاف الوزن والحجم مثلا مقدار ان في احدهما الف عن دقائق الماء وفي الاخر الفان لافرق بينهما الا ان الثاني اكثر وزنا واعظم مساحة من الاول ولو زدت عليها ماشئت او نقصت منهما ما اردت لا يحصل اختلاف في الطبع ولا في الشكل والصورة وكذلك الاختلاف في الكيف لا يتحقق في المركب من المتماثلات الا بان يعرض عليها ما يميزها عن التماثل . واما الاختلاف في النسبة والترتيب والوضع فلا معنى له الا مع اختلاف الاجزاء فيكون من الهيدروجين مثلا في احد



المركبين عشرة وفي الاخر خمسة ومن الاكسجين في ذلك ثلاثة وفي هذا اربعة لتختلف النسب ويتعدد الوضع والترتيب واما مع التماثل فلا تغاير حتى تتحقق النسبة او يختلف الترتيب والوضع وهل تجد في المثال المتقدم فرقا في صورة الماء اذا اخذت قطرة من الماء عن يمينه ووضعتها في شماله . فاتضح ان ما ذكره بمعزل عن مفروض المعترض وخروج عنه الى ما لا المام به اصلا وانه لا حجة له فيما استشهد به من كلام ( وزنز ) وقد تنبه لهذا الامر الواضح فقال بعد استشهاده بالعناصر التي تتركب منها الاجزاء الحيه ما لفظه . ولا يرد علينا بان الكيمياء الاليه هي غير الكيمياء الغير الاليه فالاحياء ليس لها كيمياء خاصه ولا يقول المعترض ان هذه المركبات ليست من هذا الباب لانها مركبه من عناصر مختلفة . ولكنه لم يزد في الجواب على قوله لان هذا القول في غاية الغرابه . ولا شئ اغرب مما فعله حيث عد الاعتراض الواضح غريبا من غير ان يبين لغرابته وجها اولعدم وروده سببا ثم طواه على غرته ورجع الى ما في محفظة ذاكرته من الالفاظ التي يهيم بها ويلهيه

حفظها عن فهمها وطفق يزيد امثلة على تلك الامثلة قائلا ان الخشب والصمغ والنشا لايختلف تركيبها الا في الوضع والكحول والحامض الخليك الا في الكم ومستفهما عما يقول المعترض في المواد (اليوليمر فيه) اى التى تختلف هيأتها ولا تختلف ما هيتها ولا تركيبها وفي المواد . (الا لوتروبيه) اى التى تختلف صفاتها ولا تختلف ذواتها ونحو ذلك مما لا يأتى نقله بفايدة سوى ملل القراء . ولا يزيد المعترض في جواب جمع ما لفقه على قوله ان من الواضح لدى من له اقل نصيب من العلم ان الاشياء المتماثلة من جميع الجهات لايعقل ان تتغير صورها ولا آثارها ولا صفاتها الا ان يعرضها ما يغيرها ويخرجها عن التماثل التام الى بعض واما غلطه في التمثيل فلان الكلام في الموجودات الخارجيه المتأصله لا في الامور الاعتباريه فالعشرة في الحقيقه ليست الا نفس تلك الاحاد المركبه منها ولا يغايرها الا بصرف الاعتبار واين هذا التغاير من التغايرات الخارجية الثابتة وان لم يكن في الكون معتبر اصلا .

واما غلطه في المثال ففى قوله ان المثلث غير المنقط المؤلف



منها الخ. فكأن هذا الدكتور يزعم ان المثلث مركب من النقاط وانه ينحل اليها وانى لا اعلم في العلوم التعليمية غلطًا ولا خطأً اوضح وافضح من هذا الزعم وقد بنيت مسائل تلك العلوم على ان النقطه طرف الخط وان الخط يمكن ان يفرض عليه نقاط غير متناهية والخط طرف السطح ويمكن ان يفرض عليه خطوط كذلك . ولو بنى على هذا الزعم الفاسد لا تنقض من امهات الاشكال الهندسية ما لا يمكننى الان احصائها . ويكفي من لا معرفة له بتلك العلوم ان النقطة لا امتداد لها اصلا اى لا طول لها ولا عرض ولا عمق فلو اجتمعت الوف مما ليس لها تلك الابعاد لا يحدث ما لها تلك كما ان الخط طول بلا عرض وضم ما ليس له عرض الى مثله لا يحدث عرضًا . ولعل الدكتور لا يعرف للنقطة معنى سوى المعنى العامى اعنى ما توضع فوق النون وتحت الباء من حروف الهجاء ومع ذلك فهل السطح مركب فعلا من النقاط بهذا المعنى ( المعطل ) لا اراهم الا وقد حاولو انكار الخالق فوقعوا في شرك المحال وهذا جزاء من تعدى الحق وماذا بعد الحق الا الضلال واذا كانوا عاجزين عن اول خطوة في العلم اعنى الامكان فكيف

لهم اذا طولبوا بالبرهان . وانا الان لم يبق لي ريب في فساد ما ذكره صاحبي في انكار ابداع المادة وفي الجحود لمبدعها . ولكن اقول لعل عند غيره من اصحابي ادلة اخرى يستندون اليها ولم يطلع صاحبي عليها .

المؤمن (٢٩) ان صاحبك لم يأل جهدا في جمع الشبهات من كتب ملاحدة الغرب ومقالاتهم وقد رتب من متفرقاتها مجموعته وملأ من عيوبها عيبته . بل تجاوز عنها الى كلمات اللاادريين والمتحيرين في كيفية فعله وحقيقة ذاته فصاغ منها بعد تحريفها شبهاً على نفي وجوده (١) وهو وان كان صدى لتلك الاصوات وفنوغرافا لا ينطق الا بما اودعوا فيه من الكلمات ولكن له على هذا الباطل حق لا ينكر ويد لا تجحد لانه عمد الى كنانة الالحاد فنثلها ثم انتخب منها اخفاها فسادا واشدها خلابا ولو اطلعت على ما حذف منه لانصفته واعترفت له بما عرفتك به ويكفيك ان ( هولباخ ) شيخ الماديين في القرن الثامن عشر ذكر في

(١) كشبهة الاتصال والانفصال وكيفية فعله بالمادة المتقدمة في بعض المفاوضات السابقة فانه قد اخذها من ( دلا مرت ) من كتاب له الى ( فريد ريك ) الكبير بعد ما حذف منه التصريح بوجود الله تعالى ونقله عن التحير الى الجحود .



كتاب نظام الطبيعة من الادلة على الالحاد ما لم يخف فساده حتى على ( بخنر ) فقال ان ادلته ضعيفة ومملة وهو بنفسه يستدل بما حاصله لو كان الله موجود الكتب بالخط الجلي على السماء باني موجود . وانا الضمين بان لا يعثر احد على ابرد من هذا الاقتراح ولا يسمع باسمج من هذا الاعتراض ولا ادري لمن يكتب هذا السطر ويخط أ لذوي البصائر ام لغيرهم ومن لم تنفعه تلك الايات الباهرات لم ينتفع باية واحدة . ثم ان من عادة القوم الاغراب في التعليل والتكلف في بيان الاسباب كما عرفت نموذجا منها فيما سبق . ومن اصولهم ان وجود السبب الطبيعي كاف لاحداث الامور المنظمه من غير جاعل قاصد لها . فاي فرق اذا بين تلك الايات وبين هذا المقترح وما هو الا عدة حروف منظمه ومن يتكلف تلك التكلفات الباردة في سبب حدوث الاعضاء الحيوانيه الظاهريه منها والاناتوميه ( التشريحية ) أيعجز عن مثلها في كلمات يسيرة ولعمر الحق ان ورقة على شجرة ادل على الاثبات من الف سطر كما اقترحه ( بخنر ) .

( المعطل ) جزيت خيراً من صاحب اخرجني من ظلمة الالحاد الى نور الايمان وغسل من درن الشبهات ما منحت

به من سلامة الوجدان واني احمدك لما اوليتني من الجميل واشكرك على ما هديتني اليه من سواء السبيل .

المؤمن (٣٠) لا يستحق الحمد سوى الله سبحانه ولا ينبغي الشكر الا له هو الذى نظر اليك بعين عنايته فهداك الى معرفته ويجب علينا ان نتأدب مع الله بادابه ونقول معا ما علمنا في كتابه (الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لو لا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

(سورة الاعراف)

(المقالة الثانية في الدفاع عن الاديان)

(المهتدى) (١) لا بدلى بعد الاعتراف بالصانع من الانقياد للاديان الالهيه . والاذعان بالشرايع السماويه لعلمي بانه سبحانه . لم يخلق العالم عبثاً ولم يترك الانسان سدىً بل بعث رسلا يبلغون عنه اوامره ونواهيه ويبينون لهم ما يسخطه وما يرضيه ويدن للناس شرايع تصدهم عن طرق الفساد ويرشدهم الى ما فيه صلاح المعاش والمعاد . ولكن اصحابى قبل اليوم . يرمونها بكل شنيعة ويعدلون عنها الى شريعة يعزونها الى الطبيعة . فهل لك ان تشفع ما لك من الاحسان . بالجواب عن مفترياتهم على الاديان . وعما



لفقوه في الحط عن رفيع مقامها والنفي لجزيل فوائدها . فقد قال معرب شرح (بخنر) (ص ١٥) ما لفظه ولقائل ما الفائدة في معرفة الانسان نفسه انه حيوان ومن نفى الديانات وهل يمكن صلاح الكون بدونها فكون الانسان يمكن قوام شانه وصلاح حاله بدون الديانات فيها لا يجب ان يكون شك فيه .

(المؤمن) اما الفايدة في معرفة نفسه انه حيوان فللكلام عليها محل اخر . واما قوله فكون الانسان الخ فبعد الاعتراف بحسن صياغة الفاظه والنكتة في قوله لا يجب ان يكون بدلا عن يجب ان لا يكون نقول ان الاولى . ان ندع النظر في معناه الى اصحابه الاجتماعيين من المعطلين ليروا رأيهم فيه . لانه بمعزل عن المقصد الاهم الذى شرعت لاجله الاديان وبعثت له الرسل .

والرجل لا يعرف معنى لقوام شأن الانسان وصلاحه سوى ان يأكل ويشرب وينكح وهو في راحة وامن . ولا يتجاوز همته همة البهائم وقصاراها ان يصنع حاجياته بيده كما يبنى الطاير عشه ويحفر الضب حجره . واجدر به ان يكون هذا غاية جهده وحمادى شرفه ان كان كما يزعم سايل

البهائم وابن عم القرده. ولا يعرف من قوام شأنه وصلاحه ما يعرفه اهل الدين من معرفة الله سبحانه والتلذذ بمناجاته والفوز بقربه وحبه والسعادة الدائمة في اخرته وغيرها من المقاصد العاليه. التي خلق لاجلها الانسان وشرعت لها الاديان. فهب انه بدون الدين يمكن صلاح الكون بهذا المعنى الدنى الذى تعرفه البهايم ولا يتجاوزه عقل هذا الفيلسوف فما على الاديان منها بعد ما اعلنت باشرف مقاصدها واذنت بان صلاح الاجتماع وان كان في عهدتها ولكنه ليس من اشرف غاياتها ولو فرض امكان صلاح الكون بدونها لا يحط . ذلك من ساير فوايدها ولا يستغني بها فى ساير مقاصدها على انه سوف يتضح لك انه ممتنع الحصول بغير صحيح الدين وجازم الاعتقاد وانه لاشيء اضر لجسم الاجتماع من السمين الزعاقين اللادينيه والالحاد .

***

ثم ان هذا الرجل قد ملأ كتابه بالاعتراف بان هذه الشرايع وضعت لاصلاح الاجتماع واكثر من من تسمية اصحابها عليهم السلام بالفلاسفة العظام . وقال في مقالة (الدين والحق) ان الشرايع اجتماعية . اودينية غرضها واحد نبيل



وهو صلاح حال الانسان وواضعوها من انبل المصلحين غاية . ولا يزال يمدح الشريعة الاسلاميه خاتمتها وفذلكتها ويصفها في خاتمة الحقيقة (ص ٥٠) بانها الشريعة الوحيدة الاجتماعية العمليا المستوفاة التى ترمي الى اغراض دنيويه حقيقية ويقول فيها ايضاً ما لفظه شريعة ( محمد ) صلى الله عليه وسلم نظام اجتماعى عملي مادى قانونى حقيقى . الى غير ذلك مما في كتابه ومقالاته من مدح الشرايع عامةً وخاتمتها خاصة .

فمن سائل هذا الرجل عن معنى ما يدعيه من الفايدة في نفى الديانات بعد الاعتراف بانها قوانين اجتماعيه موضوعة لصلاح البشر وهو ممن جن جنونه باصلاح الاجتماع فلماذا يعدل في اصلاحه عن شريعة القرآن التى مدحها بما سمعت . وهو كما ستعرف لا يعيبها بشيء بل ينعى على اهلها تارة ما ادخلوا فيها من الاوهام وتارة عدم تصرفهم فيها وجمودهم على ظواهرها مع ان صاحبها صلى الله عليه واله وضع لهم مخرجا من ذلك الجمود كما قال في (ص ٣٥٣) غير ان الشارع الحكيم نفسه وضع لهم مخرجا من ذلك الجمود بايات النسخ نفسها التى اتاها في قرآنه في حياته لعلهم

يتدبرون .

فلما ذا يعدل عن هذه الشريعة الاجتماعية الممدوحة التى لامغمز فيها ولا مطعن عليها في نفسها ويحملها ذنب اهلها . كما يقول من ادخال الاوهام فيها والجمود عليها وكان الاجدر به ان ينتحلها ويقوم فيها مقام مصلح يحارب الاوهام الدخلية فيها ويعلم اهلها التصرفات اللازمة في احكامها لا ان يقوم متعصبا عليها وعلى سائر اخواتها ويختار عليها الشريعة الاشتراكيه التى يتبرء منها حتى ملاحدته (كغوستاف لبون) ويعاديه حتى فلاسفته (كسبنسر) كما ستعرف انشاء الله .

***

اما قوله . بل لا يصلح حال الامة الا كلما ضعفت فيها شوكة الديانة ولا يقوى شأن الديانة الا كلما انحط شأن الامة فاني لا احيلك في تكذيبه الى استقصاء العصور المتوغلة في القدم ولا اكلفك ان تطوى لذلك من ربوات الاجيال الوفا بل اقف بك على هذه الامة الاسرائيلية فقد علمت ما كانت عليها قبل الديانة الموسوية على صاحبها وساير انبياء الله السلام . من الخمول والذلة والعبودية للقبطيين وما ال اليه امرها بعد التدين بها حتى دانت لها الامم وفتحت من البلاد ما



تعلم .

وان طالت عليك الشقة واستكثرت بضع الاف سنة فاني اقف بك على عهد غير بعيد . هذه الامة الشريفة المباركة العربيه الم تكن تسكن بلاداً قاحلة وتحل محالا ما حلةً وهي على شظف من العيش وانحطاط في درجات سلم العلوم والصنايع ارقى كمالاتها ابيات من الشعر واقصى متاعها بيوت من الشعر . تحكم عليها الفرس في حدود عراقها . وتتحكم عليها الروم في متاخم شامها فارتقت بعد ان من الله عليها بالاسلام اقصى ذري المجد والفخر وتلا لها القران سور الملك والفتح والنصر فاجتاحت في اقل من نصف قرن ممالك الروم وازالت قديم شاهنشاهية الفرس وحكمت على مملكة مصر وتوالت لها بعد ذلك من الفتوحات العظيمه ما تخبرك صفحات التاريخ .

نشدتك والانصاف هل كان العامل في ارتقائهم غير الدين الحنيف وعظمته في انفسهم ورسوخه في افئدتهم وتصديقهم بوعيده ووعده ووقوفهم طوع نهيه وامره وهل كان ينجع غير الدين في اجتماع كلمتهم او ينفع غيره في تثقيف طباعهم علاج تفرق عصبيتهم واستيلاء

الاوهام الجاهلية عليهم .

ولله قول مهيار

(مابرحت مظلمة دنياكم) (حتى اضاء كوكب في هاشم)
(بنتم به وكنتم من قبله) (سريموت في ضلوع كاتم)
(فصارهل من ملك مسالم) (يقول هل من ملك مقاوم)

واما معارفها بعد الاسلام فحدث عنها ولا حرج شاركت في الحكمة اليونان وتفردت عنها بحكم الايمان . وفاقت من سبقها في حسن الصنعة وبديع الاختراع ولم تدع لمن بعدها الا حسن الاتباع .

وقد كان ارتقاء هذه الامة ومعظم فتوحها واصلح احوالها في زمن الخلفاء من اصحاب نبيها حيث الديانة في ابان قوتها واقوى ازمان شوكتها على رغم هذا الزاعم بانه لا يصلح حال الامة الا كلما ضعفت فيها شوكة الديانة .

هذا وفي الزمن الحاضر غنى لك عن الغابر هذه الامم الراقية في القارتين (اوربا) و(اميركا) ولا يلزمني ان اطيل لك البيان بسرد شواهد ارتقائها لا ترى امة منها الا وهي متمسكة باديانها مطيعة لقسوسها ورهبانها تحترم ايام احادها وتحفظ مراسم اعيادها تبذل انفسهم في سبيل



الدين ونفائس اموالها على الدعاة والمبشرين . وسيخول هذا الرجل امتياز التقدم المطلق والاقدمية من بين امم اوروبا لامة الانكليز . ويقول (انها اندفعت متقدمة من بين امم اوربا حتى بلغت مبلغا جعلها في مقدمة العالم ولا تزال فيه حتى اليوم على رغم صعوبة مركزها الجغرافي) ثم يعلل ذلك باعتناقها مذهب البروتستت لانه اقل تقييدا للعقل وذلك موقف آخر للكلام معه وسيقف عليه ويكفينا هنا ان نقول ان مذهب (لوثر) مهما بلغ في الاصلاح وبالغ في نبذ الاوهام فلا شك انه يعلم بوجود مبدع حكيم قد خلق المادة وسن نواميس الطبيعة وقد ارسل الرسل . وانزل الكتب السماوية وشرع الطقوس الدينيه الى غير ذلك من الامور الجوهرية للاديان التى باقلها ترغم انوف المعطلة من اصحابه وما كان صاحبك يناظرنا في ترجيح دين على دين ولا في تقديم مذهب على مذهب وانما كان ينازعنا في الدين المطلق مقابل اللادين الصرف ولا شك ان الانكليز من اشد الامم تعصبا لدينها واولعها بتقوية شوكتها في بلادها وهي كما اندفعت متقدمة على غيرها من الامم الاوروباويه في دنياها كذلك اندفعت متقدمة

عليهم في التعصب لدينها ولمذهبها وهي لا تنقاد لملكها بل لا تعرفة ملكا الا بعد ان يلبسه القسيس التاج في الكنيسه ويحلف لها بالدفاع عن دينها والنشر لمذهبها على ما هو معلوم من امر حفلة التتويج .

وما ذاك الا لان التقدم في الدنيا والتمسك بالدين لا يجريان الا ( واذناهما اذن وصدراهما صدر ) ولكن الرجل ينظر الى الاديان بطرف البغض والعدوان فيريه الامر معكوساً ويرده الى عقله مقلوبا فيزعم ان سبب تقدم الانكليز قلة تقيد مذهبها للعقل . كان هذا ام لم يكن . اين يقع ذلك مما يريده من ثلب الاديان قاطبة والحث على حرية الفكر المطلقه وكيف اجاز رأيه العازب ان يستدل على منافات اصل الدين للتقدم بارتقاء اشد الغربيين تمسكا به واسرعهم الى اطاعة اربابه .

وكان عليه ان يرينا على وجه البسيطه امة ملحدة هي ارقي من الانكليز ليصح له دعوى ان ارتقائها لالحادها لكن بربك هل تعرف بين خافقيها امة ملحدة راقية بل منحطة ان كانت ممن تستحق اسم الانسانية . وهل عهدك بمنتحلي الالحاد الا شذذاً متفرقين في البلاد يوجد في كل



شعب منهم عدد اصابع الكف هم فيه بمنزلة القذى في العين والشجي في الحلق والسرطان في الجسم والشعب بعد ذلك الممدود حجر عثرة في طريق ارتقائه وناقع سم لجسم اجتماعه . اللهم الا ان يصح ( ولا يصح ) من عدم وجود الديانه في همجة الزنوج ومتوحشي افريقا والقبائل المنحطة . كالبابوان والهوتنتوت فان كان هذا الرجل يري الارتقاء ما عليه تلك الوحوش الانسية ويرى معنى المدينه تلك الهمجيه فلا قدس الله الارتقاء ولا بارك في المدينة .

( المهتدى ٢ ) وقد قال بعد ذلك

( ولا يسع احدا انكار ما للدين من الوقع العظيم في تقدم الامم وتأخرهم وتعصبهم وتباغظهم وتباعدهم وتنافرهم وتحاملهم بعضهم على بعض ) .

( المؤمن ) اول كلامه حق ولكن لا بالمعنى الذي يعنيه . بل بمعنى ان الدين هو العامل الاعظم في تقدم الامم وتأخرهم فكل امة دانت بدين الهي واعطته حقه من التمسك به فانه يتقدم على غيرها كما تقدمت الامة العربيه بعد ظهور الاسلام . وكل امة لم يتمسك بدين اصلا او تمسكت به ولم

يعطه حقه من العمل به فانه ينحط اقبح انحطاط .واعذرني من ذكر المثال . ولكن هذا الرجل لا يريد هذا المعنى الصحيح الذى يعطيه ظاهر كلامه وانما يريد به معنى فاسداً ولعله الذى فرغنا الان من نقضه وهو دعوى الوقع العظيم للدين فى تأخر الامم . وعليه فلفظ تقدم الامم في كلامه كلمة حق جرى على لسانه بغير اختياره . واما باقي كلامه فمن اوضح الافتراء واشنع الكذب ولا ارى ان ابين كذبه بسرد الايات الواردة في القرآن الكريم بل وساير الكتب المقدسة الصريحة في الامر بالتحابب والموادة والنهى عن البغى والتباغض وبنقل الاثار المرويه عن اصحاب الاديان الالهيه . ولا ان افصل لك القول ببيان المخرج عما يعطى ظاهره شيئاً مما ذكره وان كنت لا اضن عليك بجمله فيما بعد .

بل ارى ان ابدء بذكر اعترافه بكذبه وتصريحه ببرائة ساحة الاديان الالهيه مما اتهمها به فاقول . ان هذا الرجل قد صرح في موارد كثيره ببرائة الاديان مما وصمها به الان وحمل اثم ما ذكره علمائها وزعمائها . وهاك طرفاً من كلامه منقولاً بالفاظه الفظة على ما فيه من الجفاء والغلظه.



قال في مقالة عنوانها ( ضحايا الجهل او الانسانية المظلومه) ما لفظه (قامت النصرانية في القرون الوسطى بفظائع تقشعر منها الابدان حاشا للانجيل ان يكون الآمر بها وما قام بها الا اولئك الذين هزأوا بالدين ليسحقوا به الانسان بالاتفاق مع الحكام الظلام .

ولو كانت النصرانية تأمر بهذه الفظائع لما رأيناها في الممالك التى ارتقت بالعلم شديدة العطف على الانسان . الا التى لايزال الجهل مخيما فيها والتى لايزال اليهود يذبحون فيها على مذبح الجهل ذبح الاغنام مما يجعل الذنب كل الذنب على اولئك الرؤساء العظام .

الاسلام دين اجتماعى ينهى عن كل شر لا يقاتل الا الذين يقاتلونه ولا يعتدى على الانسان .ويأمر بالذود عن المستامنين الامنين فى ظله وحاشا ان تأمر بغير ذلك شريعة القرآن .فالقرآن برئ من الفظائع التى ارتكبت وترتكب كل يوم باسم الدين فيا مقلنسى الجهل ومعممى الضلال اين رأيتم في اديانكم ما يسمح لكم ان تزرعوا في رؤس اتباعكم الجاهلين التفريق بين الناس الى حد التباغض والتقاتل )

ثم طلب عفو الانبياء الكرام مما جناه العلماء باسم الدين
على الانسانية وختم المقالة باية نزلت عليه من سماء الالحاد
عليها رونق الفكر وديباجة التعطيل وزعم انها قول
الانبياء في هؤلاء العلماء ونصها ان لهم عينين ولكنهم
لا يبصرون واذنين ولكنهم لا يسمعون صم بكم عمي فهم
لا يرجعون .

فقد ثبت باعترافه في هذه المقالة ( وغيرها كمقالة القرآن
والعمران ) براءة الاديان والكتب الالهية مما عابها به جميع
ما نعاه عليها من فعل العلماء هؤلاء الذين لم يألُ جهداً في
سبهم وشتمهم ولهم معه موقف آخر ينصفون او ينتصفون
منه . واذاً فما ذنب الدين وما عليه اذا اساء علماؤه كما
يزعم وهل من العدل ان يأخذه بجرم غيره وبحملة اتباعه
ويجعل الفايدة في نفيه وان كان الرجل يرى لما له من
استقلال الفكر جواز اخذ المتبوع بذنب التابع فان جمعاً
من اتباع معشوقته بل معبودته اعني فلسفة النشوء والارتقاء
مثل (شو ) واصحابه يذهبون الى وجوب اراقة دماء المرضى
والضعفاء وابادة القبائل المنحطة من البشر وهذا اخوه
الاكبر في الالحاد قد طبع امس كتابه مقدمة السيرمان وفيه



من الحث على تلك القساوة البربرية ما لا تجده في كتب
اشد المتعصبين من علماء الاديان . ولا شك ان هؤلاء لو
تمكنوا ( لا امكنهم الله ) لنالوا من جنس البشر في يوم
واحد ما لم ينله اهل الدين في طوال السنين فهل من العدل
ان لا يأخذ فلسفته بذنوب هؤلاء ويؤخذ الدين بما يراه
من خطأ العلماء . وايضاً لا يزال اصحابه الفوضويون
والاشتراكيون ( وانت تعلم ما يعتقدون ويفعلون ) وفي
مقدمتهم هذا الدكتور يلقون التنافر والتباغض بين الناس
ويحرضون الفقراء على الاغنياء بل وساير طبقات الناس
على الملوك . والامراء .

ولما سئل قاتل ملكة ( استريا ) عن سبب جنايته لم
يزد على قوله . لانها غنية وانا عدو الاغنياء ولا ادري لما
ذا يخص اهل الدين بالتقريع والعتاب ولا يذم افعال
هؤلاء بل يسمي جنايتهم بالقتل الاجتماعي (ص ١٤٧) ج ني
ويزين كتابه بترجمة كتاب فوضوي ( ص ١٤٩) ج ني
ويعتذر بمقالة مسهبة للفوضوي قاتل الرئيس ماكنلي ويمدح
الثورة الفرنساوية فيما ستسمعه من كلامه . ثم انه لا ينبغي
لهذا الدكتور ان يكون سطحي النظر بهذه الدرجة

فيبغض مجرد التباغض وينفر من مطلق التنافر ويهرب كالاسود من روية النجيع الاحمر (١) بل ينبغي له ان يحد النظر ولو قليلا ليرى ان التباغض ونحوه انما يقبح اذا لم يكن لمصلحة داعية اليه ولم تعترضه جهة محسنة له. ولربما انقلب المذموم لذلك محموداً والقبيح حسناً وهب انه لم يسمع بالقضية المقررة في العلم من ان الحسن والقبح يختلفان بالوجوه والاعتبار بيدانه ليس من فنه ولكن أليس هو القائل بنفسه في مقالة (حوادث وافكار) ان الجيد والردى لا يوجدان مجردين في الوجود الكلي بل هما نسبيان .

اولا يرى انه بنفسه ربما رأى الصلاح في ان يتباعد من بعض اهله او يوقع التباغض والتنافر بين من يريد صلاحه وبين من ليس من شكله . او لا يرى ان الانسان ربما اوجع ولده ضرباً واوسعه شتماً وسباً وهو لا يفعل ذلك الا شفقاً وحباً لان في ذلك تقويماً لاوده واصلاحاً لادبه .

ثم انه طبيب (فيما يزعم) اولا يرى نفسه يأمر الصحيح بالتباعد عن المريض حذراً من العدوى . ومن اعظم

(١) تعريب لمثل فارسي



مبانية في علم الاجتماع تبعاً (لسبنسر) اخذ نظامه من نظام الجسم الحي اي الافراد واذا كان وهو طبيب الافراد يقطع العضو الفاسد ويكوي الجلد ويجرح الجسد لصلاح ساير البدن فماذا على طبيب الاجتماع وهم (باعترافه) الانبياء الكرام او كما يسميهم بالفلاسفة العظام اذا راوا صلاح النوع في ابعاد بعض او قتل بعض . وهو بنفسه يجوز الاعدام اذا تعذر الاصلاح في مقالة (القضاء على القضاء)

***

وما الاجتماع الا احد مقاصد الدين بل احدى مقدمات ساير مقاصده السامية ولكن الرجل حيث جن جنونه بالاجتماع فلا يحلم الا به بل يصم الا عن حديثه نرى ان نقصر الكلام عليه ونجرى على مصطلحه وان كان مخالفاً للاداب ونقول ان الديانات شرايع اجتماعية شريفة وضعت لصلاح الاجتماع كما سمعت اعترافه بذلك ولا يقف بها على هذا الحد بل يعظمها تعظيماً لا يفوقه فيه باحث ديني مهما كان متحمساً في ايمانه على ما يدعيه في المقالة الثامنة . فاذا كانت الشرايع الاجتماعية التي يتوقف عليها صلاح الانسان ولا يتم بغيرها العمران لا تتم الا باعدام قوم

لا ينقادون لها بل يشتتون نظامها ويسعون في اعدامها فهل من بد للمصلح الاجتماعي سوى قطعهم عن الهيئة الاجتماعية قطع الطبيب للعضو الفاسد او يأمر بالتباعد عنه امر الطبيب بمباعدة الصحيح عن المجذوم او يظهر التباغض له والتهاون به ليضطر الى الانقياد للنظام ويفهم بعده فائدة الاجتماع فيعود عضواً عاملاً له ينفعه وينتفع به .

وزد على ذلك ان مايريقه هذا المصلح في سبيل الاجتماع ولاجل هذه الغاية المقدسة اقل بكثير مما تريقه التعصبات الجاهلية والعادات الذميمة والخرافات القديمة والاوهام الفاسدة والمطامع الشخصية بأقصى مراتب الهمجية والبربرية من مثل المثلة والاحراق .

فما القتل في سبيل النظام الا تقليلاً للقتل ولا الحرب الا ابطالاً للحروب وتخفيفاً من ويلاتها .

وخذ اليك مثالاً هذه الامة الشريفة العربية وقس بين حاليها قبل الاسلام وبعده اما كانت قبله يقتل بعضها بعضاً . وينهب فريق فريقاً لا ملك يجمعهم ولا دين يوزعهم وما جزيرتها الا كابانة وقعت فيها النار فعمها الحريق لا



يلمح الطرف ارضاً منها تشب فيها الحرب ولا يثار فيها قتامها بل يرى اينما رقي يرى الوية تخفق ونفوساً تزهق وارماحاً تشقق . ودماءً تراق . واغلالاً تجمع الايدي مع الاعناق . ومافي تلك الحروب حرب تقام لمصلحة الاجتماع ولا لبث النظام ولا لنشر السلم العام . بل تشب لثارات قديمة وتعصبات ذميمة واسباب لايجوز العقل السليم لها خدش الكف فضلاً عن قتل النفس فهل حرب ( داحس والغبراء ) العظيمة الا لسبق فرس فرساً وحرب البسوس المشهورة الا لناقة رتعت في حمى . ويطول بنا القول ان اردنا سرد اسباب تلك الوقايع والمشاهد وفي كتب السير والتواريخ ما يغني عن نقل الشواهد . فسلها عن يومي النسار والجفار وعن وقعتي الفجار . وعن غيرها من الوقايع وما وقع فيها من الفضائع ثم استخبرها عن النفوس كم قتلت ولماذا قتلت وما كانت ثمرات تلك الحروب وماذا استفاد الاجتماع منها .

هذا عدا ما كانت ترتكبه كل يوم من قتل النفوس لمجرد الطمع في شاة اوجزور وما زالت على ما عرفت حتى بعث نبي الاسلام عليه واله السلام واتاهم باحسن قانون

واتم نظام ودعاهم الى السلم العام واعلن لهم غرضه المقدس من نبذ عبادة الاوثان ورفض الاوهام التي لا ينفعهم في المعاش ويضرهم في المعاد ومن تركهم قتل النفوس ونهب الاموال وانه لا يريد أن يطلبهم ثاراً ولا يسلبهم ملكاً ولا يدعي عليهم ملكاً بل يريد ان يستتب الامن في بلادهم وتتم الاخوة بين افرادهم ويتساوى في الحقوق العمومية شريفهم مع وضيعهم ولا يتحامل قويهم على ضعيفهم وبقي (بابي وامي) هو على هذه الدعوة المقدسة اكثر ايام رسالته يدعوهم اليها بالحكمة والموعظة الحسنة ويسمعهم ويريهم الايات البينة فما اجاب دعوته الا اناس قليلين اذا عدوا لا اذا شدوا فلما رأى ان ما يرومه من مصلحة الاجتماع لا يتم الا بان تعم شريعة الاصلاح ولا يكون ذلك الا بتجريد السلاح بدء به بعد ما ابلغ في الدعوة واعلن بان من قبل هذا النظام بل ومن اظهر قبوله فهو آمن . فحارب حروبه المشهورة وغزى تلك الغزوات المعروفة حتى ساد النظام وانتشر دين الاسلام وبطلت تلك الحروب الجاهلية والطلب بالثارات القديمة .

وهذا الرجل يعرف ذلك ويعترف بمعذورية الاديان كما



في مقالة ( القرآن والعمران ) وان فرض عليه التعصب الاعمى والبغض للدين ان ينسى ذلك او يتناساه ويقول ما سمعت ثم يتبعه بقوله ( واذا نظرنا الى التاريخ رأينا على صفحاته من الدم سطوراً لو جمعت لكانت بحوراً وما سببها الا العدوات التي اثارتها الديانات ) نعم ايها الدكتور ترى على صفحات التاريخ دماء كثيرة ولكنا عرفناك الوجه فيها ونقول هنا اجمالاً ان تلك الدماء لا تخلو من احد اقسام ثلاثة . اما اريقت للدين . او اراقها الدين . او اراقتها السياسة بحجة الدين . اما الاول فتلك الدماء الطاهرة قد اراقها اصحابها فيه بتمام الرغبة وكمال الشوق وقد بنى لهم القتل شرفاً باذخاً ومجداً راسخاً في الدارين لا تعفى اثارها اعاصير الملوان والقتل في سبيل الحق كان غاية سؤلهم واقصى مأمولهم فلا تكن اشفق عليهم من انفسهم ولا تحل بينهم وبين مأمولهم راجع كتب التاريخ . تجد شواهد لا تحصى على ما ادعيناه من اقوالهم وافعالهم . والقتل في سبيل اصلاح الاجتماع من اعظم ما تمدحه وتحث عليه والاديان عندك شرايع اصلاحية واما ما اراقه الدين

فخفض عليك ايها الدكتور ولا يهولنك امره ·

تلك الدماء معايارب في عنقي    ومثلها مثلها امين امينا

وما يجيب مشرط الحجام ومبضعك ايها الطبيب عن دماء المصابين تجيب سيوف اهل الحق عما اراقته من دماء المفسدين ·

واما ما اراقته السياسة والاغراض بحجة الدين فانها على السياسة والاغراض بحجة الدين وليس الدين بالسبب الوحيد الذى تتشبث به السياسة والطريقة المنحصرة لتحصيل الاغراض بل لولاه لاراقتها اصحابها بحجة الوطنية والعصبية وغيرهما مما اثارت اكثر الحروب في قديم الزمان وتثيرها الى الآن تلك الاغراض الفاسدة حتى بين ابناء ملة واحدة ·

ومع ذلك قد حقن الدين من الدماء اضعاف ما يراق منها بحجته وذلك بالغائه تلك الاسباب وتحريمه البغى والعدوان وتعظيمه حرمة النفوس وجعله الشرايع الرادعة والاحكام الوازعة وفي المثال المتقدم من حالتى العرب قبل الاسلام وبعده غني للمطلع المنصف ·



( عاد كلامه ) ولو لم يكن في الديانات سوي تقييد حرية الفكر لكفى ان تكون علة شقاء الانسان في دنياه · ان اراد ان الديانات تقيد حرية الفكر في امور يسعد في دنياه بالتفكر فيها فانا لا نعلم في صحيح الاديان ما يمنع شيئاً منها بل نرى بالضد الحث عليها وهذا الرجل ضيق الفكر قاصر نظره في اسباب السعادة على امور معدودة وهي على ما يظهر من تتبع كلماته ثلاثة العلوم الطبيعية والصنايع ثم الاجتماع · اما الاولين فلا اعرف ديناً الهياً يمنع من معرفة خصائص المادة ونواميس الجاذبية العامة ويردع عن معرفة اسباب الموجودات وعللها وعن تشريح الاعضاء وبيان منافعها وعن معرفة قطر الارض وعدد طبقاتها الى غيرها من العلوم التي يطريها هذا الرجل · بل عهدى بالاديان وهى تأمر بالتفكر فيها وتحث على معرفتها اذ بزيادة العلم بها تزداد المعرفة بخالق موضوعاتها وواضع نواميسها وعهدي بمعظم اسرارها ودقائق مسائلها مكتشفة بسعى علمائها كما مر في غير هذا الموضع ولا تجد للملحدين اكتشافاً فيها الا المونير الذى وجده الثقة ( هيكل ) وما كان من بابه واين ذلك من نواميس الجاذبية العامة التى

وجدها اللاهوتى الفاضل نيوتن ودوران الدم الذى اكتشفه (هارفي) و. و. و. وكذلك الصنائع التى ملأت عين هذا الرجل فاى دين يمنع من صنع الدارجة والقطار والبواخر التى تمخر لجج البحار ويحظر على التلفون والتلغراف ويرى من المحرم صناعة الفونغراف. واقصى ما يتصوره هذا الرجل من سعادة الانسان وارتقائه ان طار ريط وتكلم مركونى وابدع اديصون فليطر ريط ومعه الجواز من جميع الاديان حتى يبلغ اعلى طبقات الهواء وليتكلم مركونى بلا واسطة هواء او ماء وليبدع اديصون ما شاء وليستولوا كما يقول على الارض والهواء والسماء فما على الاديان منها فلا الحنيفية بنيت اصولها على امتناع الطيران ولا النصرانية .

واعظم ما ينعاه هذا واصحابه على الدين اضطهاد بعض اهله (لغاليله) لقوله بحركة الارض وذلك امر لم نشاهده لنعلم هل للسياسة والاغراض الشخصية فيها يد ام لا وهب ان بعض اهل الدين اخطأ فهمه بعض النصوص الدينية فماذا على ساير علمائه وما ذنب الدين نفسه . ولقد قام احد اعاظم علمائه قبل ان ينتشر رأى (غاليله) بمدة طويلة وقاوم الآراء القديمة فقال بحركة النجوم في افلاكها تحرك السماء في الماء



مستنداً الى آية دينية هي قوله تعالى (كلٌ في فلكٍ يسبحون) سورة (يس) .

فهل لهذا الفيلسوف ان يدفع تلك السيئة بهذه الحسنة وبامثالها مما لا يناسب المقام احصائها وان شاء اتحفناه بها مؤيدة بظواهر الكتاب وصريح صحيح السنة .

فلتكن حرية الافكار في كشف نواميس الطبيعة واختراع الصنائع المفيدة آمنة من تقييد الدين لها فليكتشف من شاء ما شاء وليخترع ما اراد ولها عند الدين واتباعه المؤمنين من الاطراء والحث اضعاف ما لها عند الملحدين لأن انتفاع المؤمنين بها اعظم والنعمة عليهم بها اتم اذ يشاركون الملحدين في الانتفاع به في امور دنياهم ويتفردون عنهم باعظم المنافع في آخرتهم اذ به ينكشف لهم عظمة الخالق وبديع حكمته وعظيم عنايته بخليقته ..

***

ولقد سبق في مواضعه من هذا الكتاب ان الدين لا ينازع هذه العلوم في شئ اذ الموضوع الذى يبحث عنه غير موضوعها فلا ثمرة له في تقيد الافكار عنها بعد ما علم المطلعون ان الدين ليس بكتاب هندسة يعلم ان كل زاويتين

من المثلث اكثر من قائمتين فيخشى برهان ( اقليدس ) ولا بكتاب طبيعى يعلم بامتناع اصعاد الماء فيرده لولب ( ارشميدس ) وهو لا يبحث قط عن المخل والقبان والميزان ليقيد فكر الميكانيكي فيها حذراً من ان يخالفه في شيء بل موضوعه اعلى من جميع ذلك وارفع . وتلك العلوم على شرفها احقر من ان يتمكن من البحث في ذلك ولا ان تضع فيه شيئاً سوى ان تخدمه بتوضيح اسرار الآثار فتتقدم بسببه العقول في معرفة الفاعل المختار نعم : ربما جمع اختلاف الجهات وتعدد الحيثيات بينهما في موارد قليلة فقام العلم بوظيفته من خدمته فزاد الدين قوةً الى قوته .. وتعرف قريباً انشاء الله ان جعل الدين مخالفاً للعلم كرميه بتقييد الافكار فيه من الحيل القديمة لهؤلاء الملحدين وسيأتيك نبأه بعد حين .. واما الاجتماع فقد عرفت اعترافه بان الاديان بانفسها شرايع اجتماعية .. وهي تخول كل احد التفكر في تدبير امر المعاش بل تحثه عليه وتفسح له مجال النظر فيما هو صلاح نفسه وعشيرته وقومه بل العالم اجمع اللهم الآ اذا بلغت حرية الفكر الى ما بلغت اليه افكار قوم من ملاحدته من وجوب قتل المرضى والضعفاء وتجويز



البولندرية والزناء ( ولا تنس ان اردت التوسع في المثال ما في كتاب هذا الرجل من مبادى الاشتراكية والفوضوية ) اذ الدين يقيد الافكار فيها اعظم تقييد ويمنع منها اشد منع وهذا عند عقلاء فن الاجتماع من اعظم حسناته وان عده هذا واصحابه من سيئاته . وهذا وحده كافٍ لأن يعد السبب في سعادة الانسان في دنياه وان زعمه هذا كافياً لشقائه فيها .. وان اراد بحرية الفكر فيما تعلم به الاديان من امر المعاد والحساب والثواب والعقاب ( واين مثله عن مثلها ) فتلك امور دينية طريقها الدين ولا مدخل للفكر فيها الا تبعاً له ولا تتعلق بالدنيا اصلا حتى يكون تقييد الفكر فيها باعثاً لشقاء الانسان في دنياه .

( المهتدى ـ ٣ ) وقد قال بعد ذلك . فلو تأملنا حالة الانسان السابح في بحر الاوهام لتصورنا رجلاً مرتعداً واجف القلب متعوذاً بالرقى هائماً آناء الليل واطراف النهار لائذاً بذلك البناء الذى شاده (١) .. منقباً في الارض متخوفاً من كل شيءٍ غير منقب في الامر متردداً في كل شيءٍ ولسان حاله سواء اقام بمكان او سار على طريق لا

(١) محل كلمة كرهت نقلها .

ينفك ينشد :

اعيذ نفسي واعيذ صحبي الخ .

اذ يرى نفسه محاطاً بالارواح تراه من حيث لا يراها وتفعل فيه من حيث لا ينالها بيده رزقه وحياته وسعادته وشقائه فكيف يستطيع ان يكون على ثقة من امره وشغله الشاغل ان يتقرب اليها واجفاً حائراً لا يعرف كيف يرضيها اذ لا يعرف ما يغضبها .

( المؤمن ) لا ادرى من هذا الانسان التعيس الذى وصف حالته بما سمعت اما المتدين فحاشاه من الاعتقاد بارواح تحيط به وبيدها رزقه وحياته وسعادته وشقائه وما ذلك الاعتقاد عنده الا الشرك الصراح والكفر البواح وانما يعتقد باله واحد في يده جميع ما ذكر وهو ببركة الانبياء عليهم السلام يعرف كيف يرضيه اذ يعرف ببركتهم ما يغضبه فيتجنبه فيقدم على كل امر فيه صلاحه رابط الجاش ثابت القلب متكلاً على خالقه وهو على ثقة من لطفه وعنايته غير مكترث لتوكله عليه تعالى بما يخشى منه الملحد اذ لابد للملحد من الخوف من نكبات الطبيعة العمياء التي لا تعرف الشفقة والرحمة والخشية من جائر



حكم الاتفاق والصدفه واما المؤمن فاقل ما يعلمه ايمانه ان جميع ما في الكون منقاد لامره وهو المتصرف فيه بمشيئته وهو ارأف به واشفق عليه من ابيه وامه يكفيه المهمات ويدفع عنه الافات فهو بايمانه على ثقة في امره يسعى وهو على يقين بالنجاح على كلا التقديرين مترقب احدى الحسنيين اما النجح في مسعاه واما الظفر بما هو اكثر نفعا واقل ضررا فى اخرته او دنياه ولا يسوئه حبط عمله ولا ولاخيبة بعض امله لعلمه بان ذلك من تقدير حكيم عارف بالعواقب لم يمنعه من مطلوبه الا لمفسدة فيه اولانه ادخر له ما هو انفع منه وهو كالطفل الذي يمنعه ابوه عن شيء يشتهيه وهو يعلم انه لايفعل ذلك الا لمصلحة عائدة اليه .

وان كان الرجل لايعرف ماوصفناه من امر اهل الدين فما عليه ان يسئل من شاء من اهل اي دين اراد ليخبره عن معتقده باضعاف ماوصفناه .

وما اجدر ان تكون هذه الاوصاف لكفاره وهراطقته فما ذا يكون حالة احدهم اذا وقف في مقابلة قوي الطبيعة القاسيه اذا نظر الى الارض اخافته براكينها وزلازلها اوالى

السماء ارهبته صواعقها . ولا يعتقد بقاهر لها قادر عليها يستدفعه شرها ولاشك انه يقف كما قال مرتعداً واجف القلب ولكنه لايرى ملاذاً حتى التعاويذ والرقى ولاملاذا حتى البناء الذي وصفه فاعجب وبلغ فيه اقصى دركات سوء الادب ولايجد مايعلل به نفسه حتى ابيات من الشعر اذيرى نفسه محاطا بنكبات الطبيعة ترميه من حيث تراها ومن حيث لايراها وتفعل فيه من حيث لاينالها يرى رزقه وحياته وسعادته وشقاوءه بيد عمياء صماء لارضى لها فياتي بما يرضيها ولاغضب فيتجنب ماتبغضه.

ثم ان لهذا الرجل في مقالة حوادث وافكار كلام مسهب يدخل في هذا الباب ولعجبه به وظنه انه ثمرة الغراب اقتطع بعضا منها وجعله فى هذه المقدمة قبيل العبارة التى ننقلها الان وننقضها وجميعه على طوله الممل تهكم واستهزاء بالناس يعتقدون كواكب السماء الهة قاهرة وارواحا ساحرة ويستدعون ارواح الاشجار وقوات الجبال ولايقطعون سنبلة قمح ولايتناولون قبضه ارز الابعد الاستغفار والتكفير الى غير ذلك مما ملاء به مقالته من خرافات الوثنيين والمشركين التى لم تنزل الشرايع الالهية الالنقضها



ودحضها وقد بدد الدين واتباعه شمل تلك الاوهام بالحكم والبراهين العلميه لابما يفعله هذا بالتهكمات العاميه . ولو شاء هؤلاء لوجدوا في الحاده من مواضع التهكم والاستهزاء اضعاف مايجده هذا في شركهم ونحن لاندخل معهم في هذا النزاع اذ القوم اخوان وفي مغلوبيه كل منهما غلبة الاديان بل نقول (كسير وعوير) وكل غير خير ولكن لايشك المنصف البصير في ان المشرك وان كان شريك الملحد في شقائه في اخوته ولكنه اسعد منه كثيرا في دنياه . فشتان بين من يري شقائه وسعادته بيد مباد شاعره ترضى وتسخط وتحب وتبغض وبين من يري زمامه فى يد قوى صامته تفعل بالاضطرار لاارادة لها ولا اختيار .

ويتضح لك ذلك اذا تصورت ملحدا اومشركا وقعا في سفح بركان هائج ولم يمكنهما الهرب وانسدت عليهما طرق الحيله .

فلا شك ان الملحد ينقطع منه الامل ويموت قبل ان تصيبه قواذف البركان بالخوف والوجل بخلاف المشرك فان امل النجاة لايفارقه الى اخر نفس من الحياة ولايزال

والملحد في حشرجة الموت يخاطب الالهه ويرضيهم بما
يزعم رضائهم فيه وهو واثق بما اعتاده من شفقتهم عليه
فان اتفق له النجاة خرج سالما وهو طليق اعتقاده وترك
الملحد ضحية الحاده والا فقد لفظ مهجته ولاقى منيته في
حال الا من والامل وماحم نازل (والموت حتم في رقاب
العباد) ولايفارقه امل هذه الحياة الا ويستقبله امل بحياة
اخرى لاتقاس بهذه حياة دائمة مستجمعة لصنوف الملاذ
خالية من جميع الكدورات ان كان ممن يقول بالمعاد ولا
يشارك في انكاره اهل الالحاد.

وانت اعزك الله اذا تدبردت اشباه هذا المثال وتاملت في
انه لابد للانسان في حياته من مقاساة الاهوال وانه مهما
كان سعيدا في دنياه فانه لابد له من ان تتوارد عليه
صنوف الهموم وتتراكم على قلبه غيوم الغموم ويكابد
مالا قبل له بها من الشدايد وترميه قوس الدهر بصوائب
المصائب ولا يجد في الاسباب مايتشبث به ولا يرى
ركنا ياوى اليه • فلابد اذا لمن لايعرف في الكون سوى
طبيعة عمياء وقوى صامتة ان يبيت خافق الفؤاد قلق
ان اصابته النائبة لم يجد عنها عزاء ولم يلف عما فقده عوضا



وان اخطأته فقد قاسى من الهم والخوف مالا يقصر عنها
بل يربو عليها واين هذا ممن يبيت معتقداً بان له خالقا
قادرا هو اشفق عليه من نفسه ويثق بانه يكفيه شر غده
كما كفاه شر امسه ولا بد ان يبيت ثلج الفؤاد قرير العين
وهو يرى قول خالقه تعالى (ان مع العسر يسرا) اويسمع
قول نبيه صلى الله عليه وسلم (لا يغلب عسر يسرين)

فتراه عند ملاقات كتائب الاهوال ثابت القلب يدفع في
صدره كل خطب هائل مترنما بقول القائل (كامل)

(ولرب نازلة يضيق بها الفتى) (ذرعا وعند الله منها المخرج)

وبقول الاخر (بسيط)

(دع المقادير تجرى في اعنتها) (ولا تبيتن الا خالى البال)
(مابين نومه عين وانتباهتها) (يغير الله من حال الى حال)

وبقول الاخر (طويل)

(وصيرنى يأسى من الناس واثقا)
(بحسن صنيع الله من حيث لا ادرى)

وان وقع عليه ما كان يحذره فان له بما وعده به على حسن
الصبر وبما يطمئن به من الاجر احسن عزاء وسلوة هذا على
اعتقاده بان فيما اصابه مصالح له وان كان يجهلها وفيما

حرم من النفع مفاسد وان كان لايعرفها ويرى نفسه كالطفل الذى يسلمه ابوه الى مشرط الحجام ويسقيه زعاف الدواء ويمنعه الشهى من الغذاء وزد عليه انه لو كان مرتقيا في مدارج الايمان تهون عليه المصائب لان فيها رضا مولاه ويقول هون على ما نزل بى انه بعين الله . ولو اردنا ايراد الحكايات الشاهدة على ما ادعيناه وسرد القضايا المتواترة لامتد الكلام ولم يقف عند غاية ولو كان احد هؤلاء في ريب مما ذكرناه فليسئل من شاء من اهل اى دين اراد عن سوانح عمره وعن حاله عند تقلبات دهره فانه يخبره بقضايا معجبه ويظهر عنده حينئذ بانالم نشوه وجه الحقيقة الراهنه بالغلو والمبالغه ثم ليقابل بين مايشاهده منهم وبين مايشاهده من ملاحدته ليعلم صدق ما كنت اعتقده قديما ولا ازال ازداد اعتقادا به على طول التجارب والاختبار من ان انكد اهل الايمان حظاً اسعد في دنياه من الملحد وان كان في مقدمة من سالمته الايام وكان ممن ينزل الشارع الخامس ويعد من الاربعمائه (١) والتسلى بالايمان

(١) لقب يعرف به اغنياء اميركا لان عددهم اربعمائه اوما يقرب منه وهم ينزلون الشارع الخامس من شوارع نيويرك



مما يعرفه من اصحابه اناس لم تذهب قواهم العقلية بالكلية بل ابقى الالحاد منها بقية.

قال (جوستاف ليون) من شهد في اخر القرن الماضى هدم الكنائس وطرد القسوس واعدامهم والاضطهاد العام الذى كان واقعا على اهل الكثلكه كان يظن ان السلطه الدينية قد بادت ولم يبق لها اثر لكن لم يمض بضع سنوات حتى قام الناس يشيدون معابدهم فاضطرت الدولة الى اعادة الدين الذى طمست بالامس.

***

وقد اتضح ذلك حتى عند ملاحدة الثائرين واعترفوا بخطائهم كما قال (فوركروا) احد رجال الثوره ان ماهو مشاهد في كل مكان من اقامه الصلوة يوم الاحد والتردد على الكنائس يدل على ان مجموع الفرانساويين يطلب الرجوع الى عاداته الاولى ولم يعد في الامكان مقاومة هذا الميل في الامة لان السواد الاعظم في حاجة الى الدين والى العبادة والى القسوس ومن خطأ بعض فلاسفة العصر الحاضر - وهو خطأ قد وقعت انا فيه ايضا - القول بامكان ايجاد تعليم عام يكفي لازالة الدين غيرنا لفظه لقبحه

ووجه الخطأ ان في الدين سلوانًا للقسم الاكبر من المساكين ومن اجل ذلك يجب ان تترك للامة قسوسها ومعابدها وعباداتها.

ويحضرني غيره من كلمات ومقالات لا ارى ان اطيل المقام بنقلها بعد ان هذا الرجل بنفسه يعترف به في مقالة ما اطوعه وما اطمعه التى نشرتها مجلة سركيس وهذا لفظه ثم قفلت راجعا الى بيتى فرأيت البواب جاثيا يصلى ويداه الى وجهه وكفاه مبسوطتان وهو يحدق اليها ويتمتم كانه يقرأ عليهما وردا واثر الاجتهاد باد عليه فقلت قسمة ضيزى ثم نظرت الى ما به من الاعتقاد الراسخ فقلت ولكنها تعزية كبرى ما كان عليك ايها الفيلسوف لو قلدت بواب دارك في الاعتقاد فيكون تعزية لك فيما ابتليت به من الروماتزم الحاد فتهون به المه المبرح بالطمع في الاجر والشفاء بدلا من ان تصعد لتهذى وتصارع في السماء.

المهتدى (٤) وقال بعد ذلك ما لفظه وقد كانت التعاليم الدينيه بادئ بدء خشنه وغير موافقه للهيئه الاجتماعيه ثم راى الانسان انه محتاج في قوام امره الى مساعدة امثاله له فوفق هذه التعاليم لاحوال معاشه بحسب الزمان والمكان



(المؤمن لا ادرى من اين عرف التعاليم الدينية التى كانت بادى بدء وفي اي كتاب اطلع عليها فعرف خشونتها وهل هذا الامر صورته مخيلته واوحت اليه وسوسته فاوردها كما يورد اهل العلم الاصول الموضوعة والمبادى المسلمة. ثم على اى المذهبين في خلق الانسان بنى حكمه هذا هل على الابداع فاول الشرايع شريعة ادم عليه وعلى المصطفين من ولده السلام، ونحن معاشر ولده لا نعرف شيئاً من شريعته الاما يقودنا اليه البرهان كحرمة الظلم والبغى والعدوان او ملتقطه احيانا من الاخبار الواردة فى كتب الاديان ولا نعرف حالة الهيئة الاجتماعية في زمانه لنعرف انها كانت موافقة لها او مخالفة ام على مذهب التسلسل ويعنى زمان ابن جاوى ومقاربه. واجدر بالقرود المنتصبة ان تكون شرايعها خشنة. ولكن هل كانت لها شرايع دينية. وان كانت فالخشونة انسب الهيئة الاجتماعية اللائقة بتلك الحيوانات المنتصبة. وان كان الرجل لا يتوغل في التقدم الى ذلك العهد بل يحيلنا الى القديمة من هذه الشرايع الدينية المعلوم بعض احكامها فاول شريعة تعرف شطراً صالحاً من تعاليمها هى

الموسويه . ولا ادرى اي خشونة رأى فيها بالنسبة الى زمانها وعابها بها . فيا لها من شريعة اعتقت الامة الاسرائيليه من اسر القبطيين في مصر ووطد لها الملك في الشام ولم تزل متكفلة بمصالحها دافعة عن كيانها ما دامت منقادة لها مطيعة لانبيائها .

وايضاً الديانة المسيحيه تطابقها في كثير من الاحكام بل يقال انها قسم منها ولم يات الانجيل لان ينسخ التوراة بل ليكلمها والنصرانيه هى الشريعة التى يعترف هذا بحسنها في عدة مواضع كمقالة (القران والعمران) وغيرها .

ثم ما معنى قوله ثم رأى الانسان الخ فهل يريد به النسخ المعروف بين المسلمين اعنى انتهاء وقت الحكم الاول وقيام غيره مقامه وبعباره اوضح تغير الحكم بتغير الزمان واختلافه باختلاف المصالح . فهذا مما لا ينبغي ان يعيبه الرجل . ان كان ذكره زاريا به على الاديان بل ينبغي له ان يصفق له براحتيه لانه لا يزال يعيب الاديان الالهية بالجمود وعدم تغيرها بتغير الازمان ويجعل الاختلاف من احسن مزايا شريعته البشرية ويجعل ذلك الفرق الوحيد بين تعاليم الدين الفلاسفه هؤلاء الذين لا نعرفهم ولا نحب ان يعرفنا الله



بهم . ثم انه ليس في نسخ الحكم دليل على خشونة الحكم الاول (ان كان ذكره دليلا على ما ادعاه من خشونة التعاليم الدينية القديمة) لتغير الهيئة الاجتماعيه ومناسباتها فرب حكم تراه اليوم خشنا وقد كان انعم وانسب ما يكون الى الهيئة الاجتماعيه السابقه .

وهذا اوضح من ان يسهب في ذكر شواهده ويطال في بيانه لاسيما لهذا الرجل الذى جعل لزوم تغير الاحكام بتغير المقتضيات اساس طعنه على الاديان .

وان اراد بكلامه ان احكام الانبياء كانت خشنة في انفسها ولكن اتباع الانبياء غيروها الى ما يوافق الاجتماع فنحن ندع الان مطالبة هذا البارع في معرفة احكام الشرايع بتلك الاحكام المغيره ونقول انه طالما رمى اتباع الاديان ولا سيما المسلمين منهم بالجمود وعابهم به وزعم ان الشارع الحكيم وضع لهم مخرجا من ذلك الجمود بايات النسخ الخ . الحقيقة (ص ٣٥٣)

فالحمد لله على امرين برائة علماء الاديان من الجمود الذى نعاه عليهم اولا واعترافه بان الشرايع بعد تلك التغيرات موافقة للهيئة الاجتماعيه .

( المهتدى ٥ ) وقد قال بعد ذلك والديانات البالغة في التهذيب وضعت تعاليمها على قواعد ادبية . وابلغ قاعدة في الدين ان يعمل الانسان مع غيره ما يحب ان يعمله غيره معه . وهذه القاعدة منسوبة الى ( كنفوشيوس ) قبل المسيح بنحو ثلاثماة سنة لا تختص ( بكنفوشيوس ) وحده بل هي اقدم منه جدا الخ .

—المؤمن—

( ولو اني بليت بهاشمي ) * ( خؤولته بنو عبد المدان )
( لهان على ما القى ولكن ) * ( تعالوا وانظروا بمن ابتلاني )

لو بليت بمن يعرف قواعد المناظره ويجرى عند ايراد الحجج على محجة العلم الواضحه . ولكن من عذيرى ممن صبحته البله في حداثته فمنعته عن التخرج فيما عدى الطب كما يقول ويزعم . واين الطب من موازين الاحتجاج . فصار غاية شأوه في العلم ان يورد جملا لا يعرف السبب في ايرادها فيدع مناظره متحيرا في قبولها او رفضها بعيشك الا اخبرتني عما دعاه الى ادعاء وضع الديانات تعاليمها على قواعد ادبية . اتراه يريد ان يعيبها بذلك فاي عيب يا تراه في ذلك او مدحها وما هو الا ناصب لها وملح في ذمها . ثم ان مما



يعز معه الصبر ويخرج له عنان اليراع من كف الحلم قوله وابلغ قاعدة الخ . كان الرجل سبر الشرايع واحدة بعد واحدة واستقرى قواعدها قاعدة فقاعدة فعرف ان هذه ابلغ قواعدها جميعا .

وايضا لم يسمح بغضه للاديان وعداوته لها بان يدع هذه القاعدة الجزئيه مختصة بها فقدمها على المسيح عليه السلام بثلاثماة سنة ثم رقاها عن ذلك الى ان كاد ان يلصقها بزمان ابن جاوى . وما درى لا درى ان في الاديان قواعد واحكام تتحير في حسنها عقول الفلاسفة العظام وما هذه القاعده الا شذرة من عقد ودرة من سمط ومهما تقهقر بها في طبقات الزمان لا يمكنه ان يقدمها على اول الاديان

***

( المهتدى ٦ ) وقد قال بعد ذلك وهي من هذه الجهة متفقة مع تعاليم الفلاسفة اذ تعلم وجوب عمل الخير واجتناب الشر والفرق بينهما ان تعاليم الفلاسفة تطاق للعقل حرية الفكر لكي يتصرف في الاشياء بحسب الزمان والمكان فلا تعلمهم بخير مطاق او شر مطاق . ومن المصطلح عليه انه خير او شر عند قوم ليس كذلك عند قوم اخرين

وبالضد من ذلك الديانات . فانها تقيد العقل اذ تعلم بخير مطلق وشر مطلق . ومن الغريب ان هـذا الاطـلاق لا يوافق الا اياها فيضهد الانسان بعضه بعضا ويقتل بعضه بعضا ويرتكب افضح القبائح واقبح الفضائع . وهو على يقين من انه يفعل الخير لان شريعته تريه ان الايقـاع بمن ليس من شاكلته ضروري وخير مطلق للموجود عموما .

( المؤمن ) ما اكثر ما يذم الاديان بتقييدهـا الفكر لتعليمها بالخير والشر المطلقين . وما دهاه الا جهله بحقائق الدين وشغفه بلفظ الاطلاق وبغضه للفظ التقييد ولو تعلم واضحات الدين اولا ثم عطف النظر الى حقيقة هـذين اللفظين لعلم ان الشرايع الالهية وضعت على اتم ما يمكن من الصلاح وعلى اوضح ما يحكم به صريح العقل ولدرى ان في مدح مطلق الاطلاق تقييدا للفكر وفي ذم مطلق التقييد جمودا عن التصرف اذ من الامور ما هو خير مطلق في نفسه لا يختلف باختلاف الزمان والمكان كالعـدل والاحسان ومنه ما هو شر كذلك كالظلم والعدوان ومنها ما تختلف باخلافهما وبغيرهما من ظروف الاحوال والشرايع الالهيه وضعت تعاليمها المقدسه على الحقائق غير مكترثة



بسخط هذا الدكتور ولا جامدة معه على لفظ الاطـلاق والتقييد فاطلقت الحكم بحرمة الزناء والسرقه ونحوهما مما لا يختص قبحه وفساده بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان فالسرقة مذمومة في هذا الزمان كما كانت قبله ويكون بعده بملايين السنين والزناء ( وان سمى بالحب الحر ) قبيح من عرض الصفر الى عرض التسعين ... وجعلت احكامها فيما يختلف الاعصار والامصار على عناوين تـلازم الصلاح على اختلاف الاحوال وتتقلب مع مقتضيات الامكنة والازمنه تدور معهـا كيفما دارت وتختلـف معها كيـف اختلفت . فتراها تنتهي عن تناول السموم بـل وجميـع ما تضر بالابدان وتختلف في ذلك البلدان فرب نبات يكون في بلد سما ناقعا فينهي عنه وفي غيره ترياقا نافعا فيأمر به . وينهى عن التصرف في مال اليتيم الا مع الصـلاح فرب تصرف فيه يأمر به الشرع في بلد ويمنع عنه في غيره ويجوزه في زمان ويحظره في اخر . ومن هذا القبيل اكثر عنـاوين المعاملات والسياسات التي يتوقف عليها المعاش وينظم بها عقد الاجتماع . ولا يقتصر الشارع الحكيم في احكامه على ملاحظة اختلاف الازمنة والامكنه بل ربما لاحـظ فيهـا

العادات والطبقات. ويلاحظ مع ذلك فيه الطوارى والمزاحمات فيبيح كثيرا من محظوراته في الضرورات ويرفع الحكم المستلزم للضرر والعسر والحرج ويوجب الامر المحرم اذازاحمه الاهم الى غير ذلك مما اشتملت عليه الشريعة المقدسة من الدقائق اللطيفة والنكات الشريفه التى تدهش العقول وتحير الافكار وتلجأ المنصف اللبيب الى الاعتراف بانها فوق طاقة الانسان بل لو لم تكن لصاحبها حجة سوى اتقان احكام شريعته لكان فيه الكفاية لاثبات نبوته وجميع ما ذكرنا واضح لدى من عرف ضروريات الفقه وواضحات الاحكام. وانى لا الوم هذا الرجل على جهله بها لانها مسائل ليس هو من اهلها .

( لا يعرف الشوق الا من يكابده )

( ولا الصبابة الا من يعانيها )

وانما الومه على تسرعه في الطعن ورميه الدين بالجمود ومعرفته به ما عرفت وليته ذكر لنا بدلا من هذا الصخب واللغط مثالا واحداً لما خالف جمود حكم الدين فيه مصلحة الاجتماع لنعرفه المخرج عنه ويعرف لاينا الفلج فيه . واما قوله لان شريعته تريه ان الايقاع بمن ليس من



مشاكلته ضروري وخير مطلق للوجود عموما . فانه هو ذلك الافتراء الذى سبق الكلام في براءة الدين عنه وسمعت اعترافه بها وسياتيك قريبا بقية الكلام فيها .

( المهتدى ٧ ) وقد قال بعد ذلك . فضلاً عن ان الديانات لالقاء مقاليدها في ايدى الرؤساء تصبح آلة لتنفيذ اغراضهم فتكثر الشرور والفتن في العالم واى شاهد اعظم من حشد الجنود واثارة الحروب وسفك الدماء والحريق بالنار والتعذيب بانواع العذاب التى يزلزل لك التاريخ صفوفها ويسمعك ضوضائها ويرسم لك مناقعها ويريك لهيبها ويملأ الاذان بصراخها وانينها وغير ذلك من الاضطهادات التى تفتت قلب الحجر الصلد فضلاً عن قلب الانسان والنصرانيه التى تفتخر بتعاليمها الادبيه لاتقدر الا ان تحمر خجلا مما اثارته من الفتن في القرون الوسطى وفي غيرها وارتكبته من القتل اعتداء وظلماً وجنته من التعذيب والحريق بالنار قصاصا لاناس ابرياء لاذنب لهم الا انهم جاؤا قبل وقتهم او بهم مرض وها هي ( جان دارك ) واقفة في عرصات باريس شاهدة على شناعته تلك الصور البربريه وقساوة تلك

القلوب الوحشيه .

(المؤمن) انى اجدمجالا واسعاً في ما ادعاه من القاء مقاليد الديانات في ايدى الرؤساء ولكننى ادع شرحه لاسباب لا اظنك تجهلها واقتصر على قولى انه ان صح ما قال فليست الديانات اول حق استعملته الاغراض الباطله وقضت اوطارها به وان كان مجرد ذلك كافياً عنده للذم فهذه فلسفة النشو معشوقته قد اخذها (شو) واصحابه حجة على اراقة الدماء كما عرفناك سابقاً .

وهذه العلوم الطبيعيه التى لازال يطريها ويحث عليها قد اصبحت آلة لاغراض الرؤساء والجبابره . اليست الاكتشافات الكيماويه والميكانيكيه ومعرفة غرائب نواميس الطبيعة هى التى علمت الناس صنع المدافع الرشاشه والالغام والتوربيدات والديناميتات فاخذتها مطامع الدول الاروبيه آلة لاغراضها ووسيلة الى اتلاف الاموال وازهاق الانفس يخربون بها البلدان ويشيكون بها ابدان نوع الانسان . وان اسطولا يصرف عليه مليوناً من الجنيهات يتلفه توربيد واحد في لحظه وتتلف الاسلحة الجديده في حرب ساعة ما لم تكن تتلف في حرب سنة .



هذا عدى ما يستعمله المفسدون من رعاع الناس منها ويستخدمون تلك العلوم لقبائح اغراضهم .

قرئت في احدى المجلات الراقيه واظنها الهلال المصرى ما حاصله . ان احد المشتغلين بالكيميا التي مرارا اوراق التهديد في غرفة سيدة من المتمولات وفيها انه قد اعد غازات سامه ليلقيها في غرفتها ويقتلها بها ان لم تدفع له مبلغا خطيرا قد عينه فلم تجد السيدة بدا من ارائة الاوراق للبوليس فالقي القبض عليه ووجد عنده قنينة فيها تلك الغازات . فهل يذم تلك العلوم لانها اصبحت آلة لتنفيذ الاغراض الفاسده بعد ما ملاء كتابه بمدحها ويهدم ما شاد لها من علالى المدح وهى بزعمه المعول الوحيد الذى يزعزع اركان تلك العلوم (الفلسفة النظريه والفقه بزعمه) (ص ١٠ ح ل) وهل يعقها وهى ام العلوم الحقيقة ويقتضى ان تكون ام العلوم البشر (ص ٨ ج ١٠) ثم لا ادرى متى حدثت لهذا الرجل هذه الشفقه التامه على الانسان وهذا الورع والمقت للحروب كافه أليس الشاغب على قيصر روسيا في مشروع نزع السلاح والقائل في اقسى مقالة تحت ابرد عنوان (كشكول طبيب) ما لفظه (لان مثل هذا القول ينقض ناموساً طبيعياً لا يستطاع نقضه

ولو شرع فيه قيصر يحكم على الملائين من البشر لانه ناموس يحكم على ما هو اعظم واوسع من حكمه يحكم على الطبيعة من جماد ونبات وحيوان الا وهو ناموس تنازع البقاء ويخطى من يظن ان اعداد السلاح والتاهب للنزال والكفاح مضر بالهيئة الاجتماعيه موقف لنجاحها بل هو بالضد من ذلك موجب لارتقائها فناموس تنازع البقاء في الطبيعة هو قاعدة ناموس النشو والارتقاء وكلما قل التنازع وقفت حركة الارتقاء بل دار دولابها الى التقهقر الخ (١)

نشدك والانصاف كيف يذم الديانات لاثاراتها الحروب من يعتقد ان معشوقه الوحيد اعنى ارتقاء الانسان ثمرة الحروب وان في قلتها وقوف حركة الارتقاء بل دوران دولابها الي التقهقر أليس اللائق بمثله ان يمدحها بذلك ابلغ مدح ويثني عليها احسن الثناء فقد جرت كما يحب على ناموس الطبيعة واحمت وطيس التنازع لحصول ترقيات الانسان السريعه والاولى به ان يعيبها بالضد . ان سمحت نفسه

(١) بلغني جديداً ان هذا الرجل نشر مقالة نقضتها جريدة (ابابيل) وموضوعها تصويب البلقانيين في حربهم الاخيره مع الدولة العليه تلك الحرب الوحشيه التى ارتكبوا فيها من ضروب القساوة وفنون المظالم مالم يعهد مثلها في تاريخ احط المتوحشين .



ان يسميه عيبا بما مهدت من سبل السلم وحرمت من سفك الدماء وبسطت بالايمان بساط الامن وبلغت من ذلك بقوة الدين ما لم يبلغه قيصر بجنوده التى تعد بالملايين.. وهب انه بعدت عليه الشقه بين المقدمة وانشاء المقالة فنسى في احداهما ما ذكره في الاخرى فكيف تلتمس له العذر في التناقض بين كلامه هنا وبين ما بعده ببضعة اسطر من مدح الثورة اللوثريه ونتيجتها الثورة الفرنساويه التى دفعت بزعمه العالم فى ميدان التقدم اجيالاً فقد اعوزتني الحيل في الاعتذار عنه وسدت على المذاهب فيه الا ان اقول ان عدم جواز التناقض كان من الاوهام التى زعزعها معول العلوم الطبيعية والتقيد بعدم التهافت في الكلام كان عقالا لعقول البشر فانشطها منه استقلال فكر هذا الفيلسوف .

واما ما ذكره من الحروب التى اثارتها النصرانية في في القرون الوسطى فقد كان كلامه في مطلق الديانات وما ذا على سائر الاديان ان اذنبت النصرانية بزعمه وانا ادع الكلام هنا لا زهدا في الدفاع عنها والانتصار لها في مقابلة هذا الكافر العدو للاديان عامه بل لان معلوماتي

فيها قليلة ولا يحضرنى الان المصادر التى استطلع منها
حقيقة الاسباب الباعثه عليها . ولعل احد البارعين من
علمائها وكتابها يشرح تلك الاسباب ويرد على وجه هذا
الملحد ما فتحه لعيب الاديان من هذا الباب فانى لا اشك
في ان تلك الحروب لم تكن دينية محضه بل كانت
للسياسه والمطامع الشخصية فيها يد خفية او جلية .

ثم لا يعزب عنك اعترافه ببرائة النصرانية عن تلك
الفضائع في مقالة ضحايا الجهل التى تقدم نقل شطر منها وفيها
قوله ( قامت النصرانية فى العصور الوسطى بفظائع تقشعر
لها الابدان حاشا للانجيل ان يكون الامر بها وما قام بها
الا اولئك الذين هزوءا بالدين ليسحقوا به الانسان
بالاتفاق مع الحكام الظلام وما دين النصرانية سوى
الانجيل فاذا كان يحاشيه منها فلماذا لا تقدر الا ان تحمر
خجلا وما على تعاليمها الادبية مما ارتكبه الذين هزوءا به
ليسحقوا الانسان .

***

وما بال هذا الرجل يحملق عينيه الى ما يقع باسم الدين
من الحروب والاضطهاد ويغمض الطرف عن الثورة



الالحادية الفرنساويه تلك الثورة التى اتلفت عشرة ملايين
من النفوس فيما يقال تلك الثورة التى ترتعد فرائص
الانسانيه من فظائعها وتشيب نواصيها من سماع وقائعها
تلك الثورة التى لا يرضى التاريخ الا بشت وقائعها مع
وقائع اقسى البرابره جنانا واقل الزنوج شفقة وحنانا . تلك
الثورة التى مزجت القساوة بالجنون لا الجنون العادى بل
الذى وصفه ( تاين ) فقال . لقد اقروا وشرعوا ما كانوا
يجزعون له اشد الجزع . ولم يكتفوا في ذلك بالحماقيات
والجنونيات بل شرعوا الاثام وقتل الابرياء واعدام
الاصدقاء . وانضم حزب الشمال الى حزب اليمين وقرر له
بالاجتماع وسط التصفيق الشديد ارسال ( دانتون ) الى
المخيلة . وكان ريشه الطبيعى وموجد الثورة وقائد زمامها .
ومال اليمين الي الشمال فقرر له بالاجماع وسط التصفيق
الشديد افظع الاوامر التى اصدرتها الحكومة الثوريه وبين
صفات الاعجاب والنشوه تدفق الميل والانعطاف نحو
( كولوت ديربوا ) و ( كوطون ) و ( دوبسبيير ) فجدد
المتعاقدون انتخاب اعضاء الحكومة الثوريه وابقائها
على منصة الحكم وهى الحكومة القاتلة التى كان يبغضها

السهل لجرمه اويمقتها الجبل لانها كانت تحصده اصطلاح السهل
والجبل واتفق القليل مع الكثير ورضى الجميع بمساعدة
قاتليهم على اعدامهم ثم في يوم (٢٢) من الشهر تقدمت رقاب
تلك الحكومة للتقطيع وبعد ذلك بقليل تقدمت اليه ايضاً
تلك الرقاب عقب خطاب (دوبسبيير). وشواهد جنون
الثائرين كثيرة وحسب العاقل منها انها ثورة اقيمت لنقض
الدين ولو لا الخشية على قلبك ان يذوب وعلى كبدك ان
يتفتت لامرتك بمراجعة تاريخ تلك الثورة لتصدق من
توحش الانسان ما لم تكن تتصور وتؤمن بمعجزة العلم
الطبيعي التي يدعيها الدكتور في مقدمة الطبعة الثانيه (ص ٩)
وان خشيت الملل فاقتصر من وقائعها على جماعة شهر (ستمبر)
ولا ادعك امام قضية لعلك لا يحضرك من الكتب ما فيه
تفصيلها بل اتلو عليك اخر امرها منقولا عن (مسيوتاين)
قال لما فرغوا من قتل الالف والمائتين او الالف والخمسمائة
العدو للامة لاحظ بعضهم ان السجون تضم اناساً لا فائدة
منهم وان الاولى اعدامهم فتسارعت الجماعة الى الموافقة
على هذا الرأى وكان في السجون الاخر اناساً من الشحاذين
والهمل والاولاد فرأت الجماعة انه لابد من وجود اعداء



للامة بينهم كامرأة رجل قد قتل نفساً بالسم . اذ قال بعضهم
لابد انها متغيظة من وجودها في السجن ولو تمكنت لو
ضعت النار في باريس . ولابد ان تكون قد قالت ذلك . بل
قالته . اذاً حق عليها الاعدام . سرى هذا القول في النفوس
كالحجة الناصعة وهرولت الجماعة فقتلت كل من في السجون
وبينهم نحو خمسين غلاماً بين الثانية عشر والثامنة عشر
وقالوا في قتلهم انهم اذا عاشوا لا يبعد ان يصيروا اعداء للامة
فالواجب التخلص من شرهم .

فيامن عد الثورة السلمية من معجزات العلم الطبيعي اهذه
من تلك الثورات السلميه ويامن عاب معجزات العلم الالهى
بانها مصبوغة بالدم الايكفى لصبغ معجزة العلم الطبيعي
دماء عشرين مليونا من الامة الفرانسويه ولا تقف معجزة
العلم المجرد عن الدين على هذه بل له بعد ذلك معجزات
وغب هذه الاية ايات الى ان تدفع الانسان الى هوة من
التمدن الهمجى هوة لا يعرف قرارها ولا يزول عن الانسانية
عارها وشنارها تمدنا يعيد للانسان دوره الاول بل ينزل
به الى تمدن اجدادهم الاول ووشيكا يتبسم صباحه عن يوم

عبوس . لابل لاح بهذه الثورة صبحه الحالك منذره بتلك المهالك وما هذه الفوضوية والاشتراكيه واشباههما الا طلائع تلك الهمجيه التى تختم به المدنية الغربيه .. والخوف من اختتام ادوار مدنية الغرب ورجوعها الى الفوضى بهذه الافكار امر يعرفه الاجتماعيون حتى ملاحدتهم ولكنهم يقولون كما قال ( غوستاف لبون ) اين السبيل الى منع ما هو كائن . واما وايم الحق ان السبيل للاحب والطريق لواضح . وهو الانقياد للدين الصحيح الخالي من الاوهام ونشر تعاليمه المقدسه بين الانام من العلم والقبض عليهما بيد من حديد فبهما لا بغيرهما يستتب النظام ويفوز الاجتماع بالسلم العام و ( جوستاف لبون ) يعلم ذلك ولكنه يقول ان الوقت قد فات وفاته ان هذا وقته وزمانه واوانه وابانه اذ تقدم العلوم وتنور الافكار قد مهد السبيل الى سهولة معرفة الصانع وفهم الحكم المودعة في الصحيح من الشرايع وابانت الاختبارات والتجارب عما في اللادينية من المفاسد وفي هذه الثورة اعدل شاهد بالرغم على من زعم غير ذلك . وقد علل ( جوستاف لبون ) زعمه فوات الوقت بقوله ان نفوس الجماعات لم تعد ترغب في الارباب التى رغبوا هم عنها



بالامس وكان لهم نصيب في تحطيمها . كانه ليس صاحب الكلام المتقدم قريبا المتضمن لقوله . لم يمض بضع سنوات حتى قام الناس يشيدون معابدهم والناقل اعتراف ملاحدة الثائرين بخطائهم في الاستغناء عن الدين وقولهم ان مجموع الفرانسويين يطلبون الرجوع الى عاداته الاولى الخ .

ولا القائل في موضع اخر من كتابه ما لفظه : قامت حرب عنيفه بين الثورة الفرانسويه والدين المسيحي وكانت الجماعات في ظواهر الامر من جانب الاولى واستعمل الثوار من وسائل القهر والاضطهاد ما استعمله الاندلسيون والثورة هي التى دارت عليها الدائره .

ثم اخذ ( جوستاف ) المذكور في الاعتذار عن العلم لافلاسفه في تهذيب النفوس فقال .

ما فلس العلم ولا ذنب له في فوضى الافكار التى انتشرت في هذا الزمان ولا في سلطة الجماعات التى تنمو وسط تلك الفوضى . انما العلم وعدنا كشف الحقيقة او على الاقل بيان النسب التى تربط الامور بعضها ببعض مما نقدر على ادراكه لكنه ما وعدنا السلام ولا السعادة ابدا .

ونقول له نعم : ان العلم بالمعني الذى تريده وتعرفه . لم

يعدكم بالسلام والسعادة بل قداوعدكم بالفوضى والشقاء ابدا . ولكن العلم الصحيح وهو الذى يتبع الدين ولا يخالفه ويواليه ويحالفه اذا انضم الى الدين ضمنا نشر السلام واوجبا السعادة الابديه وذمتي بما اقول رهينة ..

وهذه جمل من كلام ( غوستاف لبون ) جاء الكلام عنها عرضا واستطرادا فلم نوف حقها اعتراضا وانتقادا وللمتامل فيما اوردناه في تضاعيف هذه المناظرة مايغنيه عن الاسهاب في انتقادها .

( رجع )

واما مانعاه على اهل الدين من احراق ( جان دارك ) فقد قال احد علماء النصرانيه انها من قتيلات السياسة لا الديانة لان ( جان دارك ) كانت من اكبر اعداء الانكليز فقتلوها لما وقعت في ايديهم . فعلى هذا الرجل ان يثبت عليهم الجناية اولا ثم ينعاها عليهم . ومن حملها رؤساء الدين فانما يقول انهم احرقوها لغرض نفساني لا لداع ديني . وذلك ان رئيسهم وهو ( كوشون ) أسقف بوثي كان قد وقع نزاع بينه وبين ( شارل ) ملك فرانسا فانحاز الى ( هنرى ) ملك انكلتره فاتخذ هذه القضية انتقاما من ( شارل ) . فالذنب



فيها للاغراض لا الديانة . ومتى كنا نبرئ جميع رؤساء الاديان من الجنايات وندعى فيهم العصمه ولا ادرى اين كان هذا المغنى على ليلاه في صورة النياحه على ( جان دارك ) عن المرئة المقتولة في كارثه ستمبر المتقدم ذكرها فلما ذا لا ينوح على امرأة حبست بذنب غيرها ولم يكفها فقد زوجها ويتم اولادها وضيق حبسها ونكد عيشها حتى تناوشتها سيوف الالحاد من غير ذنب لها سوى سلسلة اوهام باقل منها تقييد الطبيب الانسان ويزج المبتلى بها في مطمورة المارستان . وماقولك في رجل قتل هرة بتهمة انها لابد من انها تحب انتياش اللحم من المائدة وان وقعت الشمعة التى عليها واحرقت الدار ولاشك انها لو تمكنت فعلت بل ارادت فحق عليها الاعدام .

ولو كان هذا الاسف واللهف على ( جان دارك ) [1] رقة على الانسانية ومقتا للظلم لا عداوة للاديان لاشرك معها هذه المرئة التعيسة وسائر من قضت عليه تلك الثورة

( ١ ) فتاة فرانسوية من اشهر النساء بالبسالة والاقدام ترأست على عشرة آلاف جندى وحاربت الانكليز ودفعتهم عن حصار اورليان الى ان ظفروا بها فاحرقوها في شارع دون ( سنة ١٤٣٠ ) وعمرها ١٩ سنة

ولبكى على ما قاسوه من العذاب كما يبكى على مضطهدى الدين ولعمد اليهم بالتقريع والملام فيما ارتكبوه من الآثام والتعذيب لدى القتل . قرروا ان يمشى المتهمون بين صفين من القتالين وامروا هؤلاء ان لا يضربوهم الا بظاهر السيوف حتى يطول امد العذاب . وكان فريق يأتى بالمتهمين عراة كما ولدتهم الامهات ثم يمزقون اجسامهم مدى نصف ساعة كاملة فاذا تمت للجميع مشاهدة هذا المنظر اجهزوا على المعذبين فبقروا بطونهم الى غير ذلك مما .

واما قوله في الهامش — ان من مفارقات علماء الدين انهم اليوم طوبوا ( جان دارك ) هذه وعدوها في مصاف القديسات وكانوا قد احرقوها — فانه نبأ يجب التبين فيه ثم التأمل فيما دعاهم الى تقديسها . ولعل احد المطلعين يكفينى مؤنة البحث فانى بالاعجاب من ملاحة لفظ طوبوا لفى شغل عن ذلك .

( المهتدى — ٨ ) وعندى انه لولا الثورة الدينية التى اثارها مذهب ( لوثر ) لا يعلم الى اى دركة كان الانسان قد انحط في اوروبا فهذا المذهب اقل تقييداً للعقل من المذاهب الاخرى ولو بحثنا عن اسباب الثورة الفرنساوية التى دفعت



العالم في ميدان التقدم اجيالاً لوجب علينا ان نقول ان ثورة ( لوثر ) هى التى مهدت لها السبيل بما نبهت لها من الخواطر وسهلت للعقل من التفكير والبحث في المبادى الفلسفية واجالة النظر في احوال الكون والتملص من ربقة التعاليم القديمة . والبرهان الماضي والدليل القاطع هو ان الامة التى اعتنقت هذا المذهب وهى امة الانكليز اندفعت متقدمة بين امم اوروبا حتى بلغت مبلغاً جعلها في مقدمة العالم ولا تزال فيه حتى اليوم على صعوبة مركزها الجغرافي خلافاً لباقى امم اوروبا فانها لبثت متأخرة على نسبة المذاهب التى لها من ذلك وربما لا تبقى انكلتره في المستقبل كما هى اليوم لرسوخ قدم هذا المذهب فيها فيسبقها بعض الامم التى ربما لا تلبث زماناً طويلاً حتى نتجاوزه كثيراً .

المؤمن — انى لا ادع منازعته في عد الثورة ( اللوثريه ) سبباً للثورة الفرانساوية على سهولة المناقشة فيه — لخروجه عن موضوع المناظرة واقول ان كلامنا معه لم يكن الا في تقييد العقل كما يصطلح عليه بوجود الصانع تعالى وبالدين في الجملة . ومهما بلغ مذهب (لوثر) في تقليل تقييد العقل فلا شك انه بهذين المبدئين المقدسين بل وباضعافهما مما تشترك

فيه الاديان الالهية فالاستدلال على مانعية الدين من الارتقاء بارتقاء اشد الامم الاوروبية تمسكاً بالدين واعظمها تعصباً له غلط واضح سبق التنبيه عليه في بعض المفاوضات السابقة ويحق لاهل الدين ان يقلبوا الدليل عليه ويقولوا ان الدين لو كان مانعاً عن الارتقاء لما اندفعت هذه الامة متقدمة مع رسوخ قدم هذا المذهب فيها كما يقول . وانما كان عليه ان ينشد عن امة ارقى من الانكليز وهى لاتتدين بدين اصلاً ليكون وجها لاجتهاده في سبب ارتقائها ولا تظنن ان الدكتور غفل عن ذلك ولكنه قلب كتب احوال الامم ورقةً ورقةً وتأملها سطراً سطراً واستخبر المطلعين عليها رجلاً رجلاً فلم يجد المسكين امة ملحدة ارقى من الانكليز بل ولا امة راقية بل ولا منحطة مما يستحق لفظ الامة فالتجأ الى الامة البريطانية فزعم عليها ان مذهبها اقل المذاهب تقييداً واستنبط منه انه هو السبب في ارتقائها ثم استنتج من ذلك انها لو لم تكن عقولها مقيدة بقيد دينى اصلا لكانت هى ارقى مما عليها الان اذاً ثبت ان الدين مانع من الارتقاء . ولا ادرى ماذا اقول لمن ملأ فمه لفظ العلم والاختبار وحشو عيبته عيب العلماء بالاجتهاد



ثم يكون اقصى جهده هذه الاجتهادات الباردة ويأتى الى معرض العلم بهذه السلعة الكاسدة ثم اقول ان الدين باعترافه لاعلاقة له بالعمران بل اذا عمل بها — كما ينبغى لم يصدعن الارتقاء . قال في المقالة الثامنة عن مقالاته مالفظه — ان الدين في نظرى لاعلاقة له رأساً بالعمران من حيث تأثيره في ارتقائه ووقوفه وتقهقره اوهو تأثيره واحد فيه لان كل الاديان اصولها واحدة في كل الامم وتصبوا الى غاية واحدة اجتماعية وهى اصلاح امور الانسان فى معايشه ولا يؤثر فيه الانزعات رجاله في احكامه الفرعية فاذا عملوا بموجب الدين وحكموا العقل في تطبيق هذه الاحكام على مصلحة العمران بحسب روح كل زمان لم يصده ذلك عن الارتقاء .

***

ولا ادرى كيف جعل سبب تقدم الانكليز اعتناقها مذهب (لوثر) والدين لاعلاقة له بالعمران كما في هذه المقالة وهو للاخره كما يقوله في مقالة (٥٧) وترك ماهو السبب الوحيد في ارتقائها وهو فوزها بالحياة الاستقلاليه وكونها

ابعد الامم من العيشة الاتكالية اعني الاشتراكية . شريعة
هذا الرجل . كما فصل ذلك الباحث المدقق ( ادمون ديمولان )
في الفصل الثاني من كتابه سر تقدم الانكليز السكسونيين
ذلك كتاب المشهور الذى استقرى فيه مؤلفه جميع الاسباب
التى اوجبت تقدم هذه الامه ولم يغادر فيه شيئا مما اوجب
تقدمها من الاخلاق والعادات والتربية سوي اعتناقها مذهب
( لوثر ) فقد تركها لهذا الدكتور ليكون من خصائصه .

واذا كان لابد لهذا الرجل من عد اللوثريه سببا لارتقاء
الانكليز فليعلم انه على الضد مما يروم قد صارت سببا
لارتقائها وفوزها بالاستقلال التام لمابثت فيهم من روح الدين
والزمتهم بسياساته وحلتهم باخلاقه و كانت عري الدين فيهم
غير مستحكمة ونواميسها لديهم غير مرعيه .

قال احد كتابهم المشهورين في ترجمة ( لوثر ) مابعضه .
ان ( وليم تنيدال ) لما تمذهب بمذهب ( لوثر ) وترجم
الانجيل وضمنه من اقوال ( لوثر ) كان لانتشاره بين
سكان بريطانيا من التغيير الاخلاقي مالم يسبق له مثيل في
تاريخ البشر . وكان من اثره انه بدل اراء الجمهور فيما يتعلق
بمسائل الحياة واحوال الانسان وبعث في جسم كل طبقة



من طبقات الامة روحا جديده اخلاقيه واخري دينية . الى
ان قال في بيورتيانية نوكس . وهى قسم من البرنستانية
رئيسه نوكس المذكور . مالفظه واعتقادى ان كل ماجاء
بعد ذلك من اداب اسكوتلانده وافكارها وصناعاتها اثر
من اثار تلك النهضة . بل ان من اثارها ونتائجها اولئك
الرجال الذين هم فخر الامة الاسكوتلانديه ( جيمس وات )
و ( راقيد هيوم ) و ( والترسكوت ) و ( روبرت بارنز )
واني لااجد نوكس ومذهبه ينفثان قوتهما وبرهما في قلب
كل واحد من اولئك الابطال وارى انها ما كانت تكون
قط لولا البيورتانية . ولقد قامت تلك الثورة الدينية
الاسكوتالنديه بالخير العميم على جميع انحاء الدولة
البريطانيه وذلك انها شبت جمرة في كنيسه ادنبرج فصارت
حريقا في كل جوانب بريطانيه وبعد الحرب خمسين عاما
زف الله تعالى الى البلاد عروس الحرية الخ .

***

ولا بدان يكون الامر على مايظهر من هذا الكاتب
لما عرفه العقلاء من عظيم اثر الدين في الاخلاق وجميل ما ثره
في اصلاح الاجتماع ولكن هذا الرجل كما نبهناك عليه سابقا

ينظر الى الاديان بعين البغضاء فتريه الحقايق معكوسة
والصور مقلوبه .

***

ولقد بلغ ولعه باللوثرية وعجبه بما استنبط منها ان جعل
تقدم الامم الاروبيه وتاخرها بالنسبة الى مذاهبهم ونسى
ان اللوثرية يدين بها أمم غير الانكليز وهم احط منها
بكثير وان كثيرا ممن يعتنق هذا المذهب تحت سيطرة
غيرها من المذاهب التى تقيد العقل كثيرا . باصطلاحه .
كالارثودكسيه والكاثلوكيه . ثم لا ادرى ماذا تكون
النتيجة لفك العقل من هذا القيد اصلا كما يرومه ويتمناه
اليست فرانسا زحزحت هذا القيد قليلا فضربت الهمجية
في بلادها اطنابها وصبغتها بدماء رجالها . ولولا تدارك
العقلاء لهذا الخطر بجلبهم الفلسفة الدينية اليها من بلاد المانيا
وسعي الملكة العاقلة (جوزفين) باعادة السلطة الروحيه
اليها لقضت فلسفة هو لباخ وديدرو على مدنية فرانسا والحقت
تلك الامة بامتى التسمان والبابوان وان اردت ان تعرف
اثر فك قيد الدين في الامم السابقه فعليك بما كتبه الفيلسوف
السيد (جمال الدين) الهمدانى الايرانى المعروف بالافغانى .



ونحن لانعرف في الامم كما عرفت امة غير متمسكة
بدينها فاى امة نرى يهددبهم الانكليز لرسوخ قدم المذهب
فيها وينبأ بانهم يسبقونها ويتجاوزونها كثيرا .
وظنى انه يريد بهم الالمان وهذا اما اغترار منه بوعد
(بخنر) وقوله على الفلسفة الماديه . ان في القرن التاسع
عشر فالسابق المانيا . اولما سمع من شيوع مذهب
الاشتراكيين فيها وان بلادها عش هذا المذهب وبيضته
التي تفلقت عنه ومنها انتشر في سائر ارجاء المسكونه حتى
قال احد نوابها . لقد حط جيش مذهب الاشتراكيين رحاله
في البلاد الالمانيه وتربى عندنا التربية الفلسفية والعمليه
وما قول (بخنر) الا كهانة من كهانات الالحاد وفوقها .
(فراسة عبد مؤمن لا كهانة . ومن هو شق عندها وسطيح)
واما كثرة الاشتراكيين فيها فلا يغرن هذا الرجل ولا
يقرن بها عينا لان الاشتراكيه لا تلازم الالحاد وليس جميع
اهلها بملحدين او كما يسميهم ماديين بل كثير منهم الانجيليون
كما صرحوا به في مقاصدهم قائلين مالفظه . ان حزب الفعلة
الاشتراكيين المسيحى مؤسس على الاعتقاد الدينى والولاء
للملك الخ . ومنهم الكاتلوكيون وهم كثيرون تالفت

فتنهم على اثر كتاب نشره ( قس ميانس ) وسماه مسئلة الفعلة والنصرانيه .

واما تنبيه عن مستقبل انكلتره فلا ينبغي ان يتشأم منه الانكليز بل ينبغي ان يتفالوا به لانه مجرب الكذب وهو يعرف ذلك ويعترف به ويقول عن نفسه في مقالة له نشرت في البصير سنه ١٩٠٨ مالفظه ( فانبأت منذ ربع قرن ان اروبا لاينقضى عليها القرن التاسع عشر حتى لايبقى فيه ملك يلبس البرفير والارجوان ويحمل الصولجان ويسوق بها حمر الانسان . وها نحن في العقد الاول من القرن العشرين والملوك كالالهة على عروش مجدهم الى ان قال بعد نبوة اخرى له كاذبة ايضا مالفظه . فكلما قلت قولا كذبتني الحوادث حتى صرت اتمنى ان تفتح لى ابواب الجحيم لاكون على يقين من الفوز بجنات النعيم . ولئن كذبت الحوادث نبوته فقريبا تصدق المنية امنيته .

( المهتدى — ٩ ) ثم قال بعد ذلك والمحافظون على الاحوال المقررة هم اصحاب الروحانيات ومن توكأ على عصاهم من اصحاب السلطة فيدعون ان الكون لايعمر الا بما هو مقرر في سياساتهم ودياناتهم وشرائعهم وعاداتهم ولغاتهم وساير



ادابهم مما الفوه ويستغربون كل قول كان على ضد ذلك . على ان كل عصر يتغير عما تقدمه والعالم يتقدم ولا يتاخر ثم هم يتغيرون مع كل عصر ويؤيدون ماقرره هذا العصر وهم لايزالون يكررون مايقولون كانهم لايدرون انهم يتغيرون . فما كان غير جائز عندهم في الامس صار امرا واجبا عندهم اليوم لانهم تعودوه ولاشك ان مايقال اليوم همسا سيصير غدا يعلم في المدارس . فمعارضتهم لكل مستجد ليست الاعقبات يصعبون بها السلوك في طريق التقدم واضطهادهم لمضاديهم لايكسبهم سوى جنايات يضيفونها الى مالهم من الجنايات ويقسى حكم الخلف عليهم .

المؤمن — اول هذا الفصل من كلامه كذب صريح وتهمة واضحة واوسطه تكرار لغلط تقدم جوابه في احدى المفاوضات المتقدمه واخره نبوة عن المستقبل وهى كساير نبواته المجربه . اذ عرفت ان احدا من اهل الديانات لايدعى توقف تعمير الكون . بالمعنى الذى يفهمه من هذا اللفظ على شرايعها ومن ادعاه منهم فانما يريد به معنى يدق عن ذهنه ويبعد شوطا بعيدا عن فهمه . وقد مرّ هذا فيما سبق في كلامه ولكنه الان زاد عليه الكذب عليهم بان الكون

لايعمر الابلغاتهم وعاداتهم . ولاادرى اجدّ هذا منه ام مزاح ام ربما كتب وقد لعبت به نشوة الراح وكيف ينسب العاقل الى اصحاب الروحانيات واهل الديانات انهم يرون تعمير الكون بلغة خاصة وعادة مالوفه ..

واما ماذكره من تغيير كل عصر عما تقدمه فقد مر الجواب عنه في احدى المفاوضات السابقه . وان كانوا كما يقول . وهم لايزالون يكررون . فانه بنفسه يحذوحذوهم فلا يزال يكرر مايقول فقد مر هذا الاعتراض الوحيد وذكره هنا وبعده بما يقرب من ورقة وفي مواضع اخرى من مقدمة الطبعة الثانيه وفيما لااحصيه من مقالاته .

واما قوله يؤيدون ماقرره هذا العصر . وقوله ما كان عندهم غير جائز بالامس صار امراً واجباً عندهم اليوم . وقوله فمعارضتهم لكل مستجد الخ فجميعها الفاظ فارغة اوشتائم عاميه ولو ذكر لنا امثلة مما ذكر لنظرنا فيها وعرفناه الجواب عنها . واما الجنايات التي اشار اليها وهدد اصحابها بقساوة حكم الخلف عليهم فما كان منها صادرة عن محض الدين الصحيح فتلك الجنايات في ذوق عقلاء الخلف احلى من جني النحل وجني النخل . ولا شك انهم



يشكرون اقامتهم للعقبات في طريق هذا التقدم السرطانى الذى يتمناه هذا واصحابه واما جهال الخلف فلا يئبنوا به بهم كما لم يئبنوا به بسلفهم ..

(المهتدى ـ ١٠) وقد قال بعد ذلك . ولايتوهمن القارى ان مرادنا بذلك قلب الموضوع وعكس المطبوع قهراً وظلماً اى استعمال القسوة لنفى الديانات على حد استعمالها لتأييدها كلا . ثم كلا وانما القصد ان الحكومات لاتكره الناس على الايمان ولا تخمد الانفاس عن ابدا مافي الصدور بل تدع كلاً وشأنه وتتحاشى الضغط على العقول ولا تعارض الافكار المضادة فلا يمضى زمن حتى تشرق انوار الحقيقة ويهتدى الناس بنبراسها في ظلمات هذا الكون .

انما المرء مثلما السيف يصدا عقله ساكناً بلا اعمال
يصدأ السيف بالجباء ولو كا ن شديد الصقال حد النصال

المؤمن — هذا الفصل من كلامه — كالفصل الذى قبله — خال عن شبهة علميه يلزمنا دفعها وبيان موقع الغلط منها . ولذا نختصر الكلام عليه كما فعلنا بالفصل السابق ونقول

لاأدري لماذا كلف نفسه دفع التوهم المذكور في اول كلامه أتراه قد ظن ان اهل الديانات في وجل من تهديداته وفي فرق من دولته التي يتمناه للاحدته فحاول ان يذهب الروع عنهم شفقة عليهم . وما درى ان اهل الدين على علم بان المستقبل كالحال لايزال الوية الدين على الخافقين خافقة كقلوب الهراطقة والزنادقة . وان كان فيهم من يخشى من امة الالحاد قهراً وظلماً فلا افرج الله روعه ولا اسكن جاشه .

ثم انه ليس باول ملحد تمنى رفع الضغط على الدول فادركه الاجل قبل درك الامل فان ( هولباخ ) طلب الى الحكومات ان لايقيد حرية الفكر وزعم زعم هذا في كلامه . ولكن الحكومات بما منحها الله من الكياسة وعلمها من حسن السياسة اشفق على الامة من ان تدع جراثيم الفساد تنتشر في آرائها فتقضي على اجتماعها . واذا كانت تضع الحجر الصحي خوفاً على حياة الافراد فكيف لاتضعه خوفاً على حياة اجتماعها وقد علمت بانه لا شئ اضر على سياسة البلاد من انكار الصانع والمعاد .

وللدين على السياسة اعظم الحقوق فكيف يكافئه رجالها



بالعقوق . وقد علموا ان الدين يبلغ بنفوذه وتمكنه في في القلوب مالا تبلغه الحكومات بجنودها واعوانها كما ستعرف تفصيله في المقالة الاتيه .

واما البيتان المختوم بهما هذا الفصل فلعمر الفضل انهما ملحونان باردان وهما وان كانا من الخفيف لكنهما اثقل على القلب من تعاقل الجاهل وعلى السمع من كلام العاذل . ولو تحرى صدق المقال لقال :

انما العقل مرهف ومضاه ... بصقال الايمان والتوحيد

واذا ماصدى الجحود علاه ... ليس الا كزبرة من حديد

( او قال )

انما العقل ناظر يبصر الانسان منه طرق الهدى والسداد

بضياء الايمان يبصر ماشا . ويعمى في ظلمة الالحاد

(المهتدي — ١١) وقد ذكر في هذه المقدمة كلاماً طويلاً في اصل الديانات وزعم فيه تحول بعضها عن بعض فهل لك تسمعه بالفاظه وتسمعني الجواب عنه .

المؤمن — امابالفاظه فلاولا كرامة للكلام يتضمن الوقيعة في النبيين وسوء الادب في التعبير عنهم صلى الله عليهم اجمعين . عجباً لهذا الرجل يزعم انه زعيم الاصلاح ومهذب

نوع الانسان . ثم يملكه ناموس الاتافيسيم الرجوع الى الجد فيتخلق باقبح اخلاق الحيوان ويسيء الادب الى قوم يراهم فلاسفة عظاماً وان عميت عينه من ان تراهم انبياء كراماً . فياعجبا من مناقضته لنفسه واختلاف كلامي يومه وامسه فبينا هو معجب بصاحب الشريعة المحمديه صلى الله عليه وسلم وبصاحب الانجيل ويحث العمرانيين على ان يقيموا لهما آثاراً مدنيه تنطق بمآثرهما الاجتماعية ـ مقالة حول مقالتي ـ اذ طفق يتكلم فيهما وفي سائر الانبياء بما تختار الاذان الصم على سماعه ويكتب ماتود الاعين العمي قبل قرائته . فعلى مهل ايها الرجل الى كم تعرض وتمرض وتفصح وتصفح وتجد وتمزح لعلك قد زعمت ان لا قلم الا الذي يليق دواتك ولا لسان الا الذي حشيت به فمك رويدك قد اخطأت الحفرة وما اصبت الثغرة ولئن اسكتني عنك شرطي معك فمن اهل الدين من لا يلتزم بهذا الشرط الذي لا يلزم بل يرى ان دفع الشر (١) بالشر احزم فيقول اشتدى (٢) ذيم

المهتدى — (١٢) اصبت ومع ذلك فانه الفاظ كثيرة

---

(١) تمام شطره ولكن دفع الشر بالشر احزم

(٢) تمام شطره هذا اوان الحرب فاشتدى ذيم



تحتها معان قليلة حقيرة وهو كما فى المثل : حشف وسوء كيل وما ذكره في عدة صفحات تسعة اسطر عديدة وحاصله ان الانسان كان اول امره شديد الجهل بالاشياء المحيطة به وبخصائصها وكان يرى ان هذه الاشياء ذات تاثير ظاهر فيه خاف على نفسه منها لئلا تكون مظهراً قوة عاقلة فبعثه الخوف على ان يتذلل لها ثم تطرق الى ان جعل هذه القوة روحا ثم الروح الها ثم تصور الهه كنفسه يغضب لما يغضبه ويرضى لما يرضيه فنحر له الهدايا وقرب القرابين ثم تاصل فيه هذا الميل بحكم الوراثة وانتقل هذا الاعتقاد الى نسله ولاشبهة ان هذا الامر اوما هو مثله اصل كل نحلة ودين اذ يستحيل وجود الانسان الهمجى بدون احلام تنمو فتملأ مخيلته اوهاما تتعاظم فتصير ارواحا تكثر فتملأ كل ما يحيط به فالانسان في اول الامر لم ير شيئا في السموات والارض الا وظنه مقر ارواح فتهيبها وللتقرب اليها عبدها فعبدها في الشجر والحيوان والحجر والكواكب حتى الانسان واقام لها الاصنام المنحوتة وجعلها محط اماله حتى تبين له انها لا تقوى على مهمه فلفظها ولا شك ان هذه

العبادة المعروفة بالفتشيه (١) اول عبادات الانسان وهى كثيرة الانتشار بين الاقوام المتوحشين ثم بعد عباد الفتيش جاء عبدة الكواكب ولاريب ان الانسان لم يرفع نظره الى فوق الا بعد ان تمرغ في عبادة موجودات الارض كافة حينئذ رفع نظره الى السماء وقد سئم مما فى ارضه واذ الكواكب اللامعة والشموس الساطعة استوقفته حينا من الدهر وقد رضى بها الهة له حتى ارتاب بها فهجرها كغيرها وهكذا كانت الالهة كثيرة جدا بقدر موجودات العالم ثم اخذ يختصرها كلما زاد تعرفا حتى حجبها عن الابصار وحصرها في واحد .

المؤمن — من سنة العلم وحكمة الباحث على المناظر ان لا يبنى الدليل الا على ما يعترف به الخصم او يتحمل عبأ الاثبات ويلجأ خصمه الى الاعتراف به وهذا الرجل بنى جميع خيالاته هذه على اصل تنكره الاديان اشد انكار وتبعد عن معتقدهم غاية البعد ثم لم يذكر مع هذا التطويل شاهداً على صدق مدعاه بل اجراها مجرى الاصول

(١) لفظ برتوغالى الاصل وضعه البرتوغاليون الذين نزلوا غربي افريقا اذ رأوا هلها يحملون تعاويذ يقدسونها ويدفعون الاذى بها واسم التعويذة في لغتهم (فيتيشو) ثم اطلق على عبدة الانصاب والتماثيل



الموضوعة والعلوم المتعارفة . اما الاول فلان الاديان الالهية متفقة على ان الانسان الاول كان من اكمل الناس واعلمهم دينا التوحيد الخالص المنزه عن الشرك وكان ذلك دين جميع بنى نوع الانسان مدة ثم ظهرت عبادة الاوثان لاسباب مذكورة في كتب الاديان ولم يعم جميع البشر بل كان كما هو الآن ولم يخل زمان من اناس دينهم التوحيد يتبعون النبيين ويتبرؤن من الوثنيين ولم يذكر الرجل شاهداً على همجية الانسان الاول بهذه المرتبة اولاً ولا على ان العبادة الفتيشية هى العبادة الاولى ثانيا بل جميع ما ذكره خيالات مبتنيه على اصل التحول في الانسان الذى تنكره ضرورة الاديان فاذا تمت فهى احتمالات وتخريجات على اصل التحول — ولكنها باردة متناقضة كما ستعرف — واهل الاديان بمعزل عنها وفي راحة منها ومذهب اهل الاديان مذهب لا تنافيه المكتشفات العلمية — وقد مر بيانه — ويناسبه شرف الانسانية وهو يستند الى النقل المتواتر عن الانبياء الذين يسميهم بالفلاسفة العظام ومذهبه خال عن كل مستند علمي عقلى او نقلى اذ الذى اكتشفه (اوجين) من بقايا ابن جاوى . لم تكن الا جمجمة واسنان

وعظم فخذ ولم يكن معه كتاب يشتمل على اصول الفتيشية ولا يوجد كتاب صنف قبل زمن التاريخ وذكرت فيه هذه الديانة خاصة اذاً فاى مذهبين اولى بالقبول واجدر بالاتباع ثم نحن نجاريه في ميدان هذا الخيال الواسع ونقطع معه من ربوات الاجيال البعد الشاسع حتى نقف على الانسان الهمجى الذى فرضه ثم ننظر في اوهامه نظر تمحيص وانتقاد لا مكابرة وعناد ونقول لا ننازعه في خوف الانسان المفروض من الاشياء المحيطة به ولا امتلاء مخيلته من الاوهام ولكن الانسب بهمجية وانحطاط معارفه ان يكون خوفه من تلك الاشياء من ذواتها حيث يرى الجبال اجساماً عظيمة والرياح ذوات قوة شديدة وكثيراً من الحيوانات ذوات اشكال هائلة واجساد عظيمة ونحو ذلك فيخافها كما يخاف ابن آوى من ظله لا انها مظاهر قوى عاقلة وارواح قاهرة وقصارى ما يمكن ان يبلغ علمه في العقل والنفس ان يزعم الرياح والاشجار والاحجار ونحوها اشخاصاً حية ويزعم هبوب الريح حركة ارادية كحركة الحيوان واطعامه الشجر من ثمره جوداً منه وكرماً كما اذا اطعمه الانسان . ويكون اذاً خطأه في عدم الفرق بين الجماد والنبات



والحيوان . واذا كان هذا الدكتور المتنور وعامة من يقلدهم في آرائهم ارباب الفلسفة المدنية لا يفرقون بين الحى والميت ولا بين الجماد والحيوان فتارة يقولون ان الجماد من ذوى الحياة واخرى يسلبون صفة الحياة عن الحى ويرون ارادة الانسان عملاً مادياً يوجد مثله — ولو باخفض منه رتبة — في الجماد فبالاولى ان يخفى ذلك على الانسان الهمجى ولا تستبعد منه ان يزعم هبوب الريح حملة عدو عليه والرعد صوت وحش مفترس يريد الفتك به . واين الانسان الذى فرضه وتصور قوة فوق الطبيعة تخرق نواميسها وتحكم عليها . وهذا امر لا يدركه عقل هذا الدكتور في عصر العلم والنور ويقول بعد تلك الآيات والبراهين التى اتى بها الانبياء والحكماء — اين هو وما هو — وينشأ المقالات في رد من يقول ان في الوجود عالم آخر فكيف بالانسان المتوسط في المعارف بين القرد المنتصب وبين انسان اليوم . وكذلك الطقوس الدينية واحكامها فان كثيراً منها كالصوم ونحوه امور لا تدرك مصالحها الا العقول السامية بعد ان تتثقف بالعلوم العالية فاين قوله — ويغضب لما يغضبه ويرضى

لما يرضيه — ولو تأمل هذا الرجل ثم انصف لعلم ان ذلك الاعتقاد اصل للتعطيل لا الدين وان تعطيله متحول عنه بل هو صورة مكبرة منه . وذلك لاشتراكهما في قصور الادراك عما فوق الطبيعة وقصر الوجود عليها والقول بانه منها واليها فما يقوله اخوانه اليوم عين معتقد آبائهم السابقين. واما معتقد اهل الدين فهو مباين لذلك بالطبع فلا يعقل ان يكون متحولا منه .

واما ما ذكره من افعال المتوحشين واتخاذهم شجرة اوحيوانا يعتبره متسلطا عليه آلخ . فما القوم الا اخوانه كما عرفت فليقل فيهم ماشاء وليتهكم عليهم بما يريد . ولكن الانصاف انهم وان شاركوه في قصور عقولهم عن الاعتراف بمبدأ اعلى من الطبيعة ولكنهم اصح وجدانا واسلم فطرة منه لانهم عرفوا ان هذا الكون العظيم بما فيه من المركبات المنظمه ومافي كل منها من الحكمة الفائقه لاتكون نتيجة قوي صامته ومسببة عن مجرد الاتفاق والصدفه ولكنهم لقصور عقولهم عن الوجود المجرد نسبوه الى مايقع تحت حواسهم فاتخذ كل منهم ماقاده اليه هواه وحسبه اعظم مما سواه وايضا لما كانوا اقرب الى الفطره التي فطر الله الناس عليها ومجبولين على ان في الوجود



متسلطا يقدر على ان يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الاذي والشر استعاذوا بالاشجار والاحجار بدلا عن الفاعل المختار ولم يلقوا مقاده كهذا الرجل للقوى الصامته .

***

ولعلك زعمت اني قد اسهبت واطلت وغفلت من انه اهم المباحث فمللت وان احببت ان تسلي النفس وتريح الخاطر فدع عنك المراسح التي تقيمها الملل المتمدنه . واقصد هذا المرسح العلمي الذي اقامه هذا الدكتور وانظر الى تمثيله لرواية التناقض وابداعه فيها . فقد جعل اولا عبادة الانسان الاول لجميع ماراه في الارض والسماء وصرح بانه عبد الكواكب مع الشجر والحيوان ثم مالبث حتى حكم بان عبدة الكواكب جاؤا بعد الفتيش ونفى الريب عن ان الانسان لم يرفع النظر الى فوق الابعد ان تمرغ في عبادة موجودات الارض كافه . ولولا ان الحسد يقبح بالانسان لحق لكل فيلسوف ان يحسد هذا الرجل على سرعة قطعه ونفيه الريب عن كل مايخطر في خلده . ولا ادري ماذا ثبط الانسان العابد للحجر والشجر ان يعبد معهما النيرين الشمس والقمر وهما ابهى واملأ لعينه من اكثر موجودات الارض التي يقول انه عبدها كافة .

وكنت احب لا امل القراء الكرام باكثر مما تقدم من هذا الكلام الغث والخيالات الرثه ولكن ابى القلم الا ان يسطر لعجب الناظرين قوله . وانه ليستحيل غير ذلك لان جميع معارف الانسان اكتسابيه صادرة عن الحواس . وحكمه بها على قدر تعرفه بها ولما كان الاوائل اقل اختبارا من الا واخر كانوا بالضرورة اقل علما منهم بل كان معظم علمهم جهلا وجل افكارهم وهما .

ثم استنتج منه قوله ولذلك لا يليق بنا ان نتمسك بما كان في الاعصر الخالية من الاوهام تمسك الاعمى بقائده . ولا ان نطرح ما تبديه لنا الاكتشافات والحوادث من الحقائق لمجرد كونه مخالفاً لما انطبع في عقولنا ورسخ في اذهاننا .

اما انا فقد كل منى الفكر واعيتني الحيل فيما يربط قوله ان جميع معارف الانسان اكتسابية الخ . بما ادعاه من استحالة ان يكون غير ما ذكره وهو ان منشأ الاديان اوهام الانسان الاول ولا ادرى كيف يكون ذلك رداً على اهل الدين الا ان يكون الدكتور يرى بطلان جميع علوم الاقدمين فيدخل في جملته الاديان اذاً فالاربعه ليست بزوج وليس نصفها اثنان .



( المهتدى — ١٣ ) وقد قال بعد ذلك والديانات تتشابه من حيث الوحى او ما هو بمعناه فانك لا ترى ديانة اضمحلت او انحطت او لا تزال قائمة الا ومستندها الوحى وقاعدتها الايمان . وتتشابه من حيث ان كل واحدة منها تدعى الصحة لنفسها وتنفيها عن غيرها وتعلم اضطهاد ما سواها اما صريحاً واما ضمناً بحسب حال الامة الداينة بها من التمدن والتوحش . فان كانت دعوى الديانات صحيحة فالحقيقة لا تتجزء ولابد ان تكون في واحدة منها فقط فاى هي وما هى ( كل يعظم دينه ) ياليت شعرى ماالصحيح ... وتتشابه ايضاً من حيث انها تعلم البعث وخلود النفس ( الى ان قال ) وتتشابه في الفروض والثواب والعقاب . وقد جعل بعضهم جنتهم لذات جسمانية وبعضهم روحانية وفي الاعداد من حيث استعمال الاثنين والثلاثة والسبعة والعشرة وغير ذلك كثير فكل ما هو موجود في الديانات اليوم كان في العقايد التى كانت من قبل فالتثنية والثالوث والسماء الثالثة والسبع الطباق والوصايا العشر الا منقولات متحولات عما قبلها (١)

---

(١) اسقطنا من هذا الفصل نبذة فيها الاعتراض على مسئلتى العدل والمعاد لعذر تعرفه قريباً انشاء الله تعالى .

المؤمن — لاشك في تشابه الاديان الالهية وان بينهـا من الشباهات المهمة وجوه غير ما ذكرها ولو عرفها لاغنته عن عدالاعدادالاربعه" والسماء الثالثة" ونحوها من الامور النير الجوهريه" . وكيف لا تتشابه بل وكيف لا تتحد معزاها وجميعها عن مصدر واحد واخبارها اخبار اناس معصومين عن رب العالمين . أحسب الـدين كفلسفته تبتني احكامها على بارد التعليل وناقص الاستقراء فتباين بتباين الاهواء بل الاديان الوثنيه" فيهـا بعض المشابهه" مع اديان التوحيد . وما ذلك الا لانها اخذت ضغثا من الحق فمزجته باضعافه من الباطل واقتبست من مشكوة الوحى انواراً واضافت اليها ما سولت لها انفسها من ظلمات البدع. وايم الحق لا ادري ما الذي رأي في تشـابه الاديان فنعاه عليها وعابها به ولا الذى يرد على اهلها منه . واجدر بهذه المشابهه" ان تكون دليلاً على صحتها وقد مر" بيان ذلك اجمالاً في بعض مفاوضات المقاله" السابقه . ولما كان الرجل لايتدين بدين لينقض عليه بديانته لابد لنا من النقض بعلومه الاختباريه" وفلسفته ونقول احتجاجاً لا اعتقـاداً ان علوم الهيئه" والكيميا والطبيعه" بالمعنى الاخص باطله" جميعاً



لانها تتشابه في اثبات الجاذبيه العامه ونواميس النور والحراره ووجود الجواهر الفرده وكذلك علوم الطب والتشـريح ومنافع الاعضاء لانها تتشابه في اثبات الشرائين والاورده وأعضاء التغذيه ونحو ذلك من سـخف القول ومجـونه. واطرف من ذلك قوله وتشابه من حيث ان كل واحدة منها تدعي الصحه" لنفسها الخ . وهو بزعمه طبيب ويرى اختلاف الاطباء فيما لا تحصى من المسائل وكل واحـد منهم يدعي الصحة لنفسه فلماذا لا يقول.

( كل يعظم طبه ياليت شعرى ما الصحيح )

ومنتحل لفلسفة التحول وهو يرى الاختلافات الـتي بين (لامرك) و(والس) و(دروين) وكل يناضل عن رأيه ويدفع راى صاحبه فلماذا لا يطعن فيها جميعاً قائلا الحقيقة لا تتجزء الخ ومنشدا .

(كل يعظم رأيه ياليت شعرى ما الصحيح)

ويحملني حسن الظن على ان اقول انه كتب هذه المقـدمة عند ماهاج به الداء فهي كمقالة شميل في السماء كيف وهو القائل في مقالة الاشتراكيه ما لفظه . وهي وان كانت متفقة في الغاية الان فيها اختلافا كثيرا في الاراء شأن كل فئة في

دعوة مثل هذه كثيرة العقبات واى مذهب من المذاهب الكبرى علمياً كان او فلسفياً اودينياً لا تكثر فيها المسائل الخلافية من دون ان تمس جوهره بشئ فهلا اعتذر عن الدين بما من الاشتراكيين واما قوله - اى هى وماهى - فسوأل مجيد لو كان السائل غيره وما ثمرته في معرفة المختلف فيه وهو يجهل المتفق عليه (الهزج)

(اذا لم تعرف الحمد فلم تسئل عن سبح)

فان عرف ذلك ولن يعرفه حتى يشيب الغراب فليعد السوأل لنعرفه الجواب . واما قوله متحولات عما قبلها ففيه الاشارة الى اجراء فلسفة التحول في الاديان وبذلك صرح في الهامش واظن انه يجود على الاديان بالنشوء ويظن عليها بالارتقاء والا لم يقل فكل ماهو موجود في الديانات اليوم كانت في العقائد التي كانت من قبل ولا بقى لاديان اليوم مزايا تدل على ارتقائها عما كانت قبلها . واراك في غنى عن رد اجراء التحول في الاديان الالهية بما عرفتك قريبا من ان هذه الاديان مباينة بالطبع عن خرافات المتوحشين وان مبناها التوحيد ومصدرها واحد وتعليماتها الجوهريه واحدة ولم يقع الاختلاف فيها الا في اقتصار بعض المتدينين



بالدين السابق عليه ورفضهم للاحق او لبدع ظهر فيها او سوء تفاهم وقع لبعض اهلها عنها ونحو ذلك مما لا يختص بالاديان . ونحن قد سقيناه بكاس سقانا بها وعرفناه بان الحاده متحول عنها لا الدين كما ان فلسفة التحول وهى معشوقته متحولة عن طوتة المتوحشين .

(المهتدى - ١٤) وفي مقدمتي كتابه سوى ما ذكرت اعتراضات اخرى على الدين وتعريضات به .

(المؤمن) بل فيهما البحث عن موضوعات كثيرة لا جامع بينها الا التطرف ومنازعة العقلاء كافةً في اديانهم وعلومهم وسياساتهم وعاداتهم وقد قال احد المطلعين ان المقدمة الاولى (والله اعلم بالثانية) جميع معانيها مأخوذ من خطاب م . بريه الذى القاه في المحفل العلمى في (رمسس) واستوعب اربع ساعات من الزمان (١)

***

ولا ادرى ما الذى جعله ذلك الخطيب موضوع خطبته

---

(١) واظنها تلك الخطبة التي بشر فيها السيدات الحاضرات بانهن من نسل الحيوانات .

واتخذه محور كلامه حتى جاءت خطبته من اوسع (الانسكلوبيذيات) موضوعاً واكثرها مباحثاً وحيث ان فيهما الاعتراضات على الدول ولست من اربابها وعلى تربية المدارس ولست من واضعي بروجراماتها وعلى السياسة ولست من اهلها وعلى مؤلفي الروايات ولست من حملة عروشهم وعلى المحامين ولست وكيلاً في الدفاع عنهم وعلى العلوم العقلية والنقلية باجمعها وليست مناظرتنا موضوعة للدفع عنها و . و . ولذلك رأيت ان اتتبع عمدة ما فيهما من الاعتراض على الاديان مقتصراً على عناوينها وابين لك الجواب عنها بالمختصر الوافي من البيان واعرض عن اعتراضاته الجزئية وتهكماته العامية .

١ – ( رميه الشرايع الالهية بالاستبداد ) [ ص ١٠ ]

لا حاجة الى ان اعرفك بان العدل والمساوات في الحقوق العمومية ونحوهما من الامور التى تبتنى عليها المدنية كانت الفاظاً لم يهتدى البشر الى معانيها الا ببركة الشرايع الالهية وكفاك شاهداً هذه الشريعة المطهرة الاسلامية مسك ختامها وواو جمعها وفاء فذلكتها اليست تساوى في الحقوق العمومية بين جميع افراد اهلها ولا تفرق بين طبقاتها تقتص للوضيع



من الشريف وتقام حدودها على القوى كما تقام على الضعيف وتقتل الغنى بالفقير وتجعل دية الذليل كدية العزيز لم يصد صاحبها ( صلى الله عليه وسلم ) عن ذلك شرف شريف ولا ثروة ذى مال ولا اواصر قرابة ولا زمام صحبة بل قال ( صلى الله عليه وسلم ) « المسلم اخو المسلم » — « والمؤمنون اخوة » تتكافا فروجهم ودمائهم — وكذلك غير الاجتماعيه من احكامها كحجها وصلاتها وصيامها لم يستثن منها فدته الانفس نفسه الشريفه ولا اقاربه واصحابه بل جعلها احكاماً عامه تجرى على المسلمين كافه . . استبداديه ايها الدكتور شريعه تنظر بعين واحدة الى جميع الامم وترى افرادها متساوين امام القانون الاعظم .

( شريعه ) القت المفاخرة بالانساب وقالت كلكم لآدم وآدم من تراب .

( شريعه ) ابطلت الاريستوقراطيه الذميمه . وجعل الفضل بالتقوى والخصال الكريمه .

( شريعه ) ساوت بين المولي والعربى الصريح وفضلت الاعجم ان اتقى على الفصيح .

عهدتك واقصى املك من اصلاح الاجتماع ان تتصافح

الأمم من فوق حدود الاوطان ( ص ٣٠ ) وذلك بعد احقاب من الزمان .. فهلا نظرت الى هذه الشريعة كيف الفت بين قلوب العرب والعجم . واحكمت عرى الوداد بين الترك والديلم . فترى اهلها كاخوة اعيان . وان كانوا مختلفين في الاصل والوطن واللسان بل ترى ذا الحسب اللباب والمجد الصميم ينقاد لهجين لا يقوم لسانه ولا يعرف احد اصله اذا رآه اعلم منه بالدين واعظم مأثرة في الاسلام .

ولولا ان مثلك يطرد من المساجد ولا يسمح له في دخول المعابد ارايتك صفوف الصلوة كيف تجمع بين متفرقات الامم وتضع القوقاسى الراقي بجنب الزنجي المنحط ويوقف المالك بجنب المملوك ويقدم السوقه على الملوك ويلصق رقيق سابري الغنى بغليظ جبة الصعلوك وكل يصافح صاحبه بعد الصلوة يلتمس بركة دعائه . كل ذلك فوق حدود الاوطان كما تحب . ولقد صرحت في احد مقالاتك بان اقصى مرامك من شريعتك ان تقرب عصا الراعي من صولجان الملك وما علمت بان مرامك هذا واضعاف من امثاله قد حصل بهذه الشريعة الاسلامية لكن مع الاعتدال ومراعات سائر الجهات وظروف



الاحوال الا كما يريده اصحابك مشوها بالافراط ومقرونا بضروب من الفساد .

***

وان كان لابد لهذا الرجل من معرفة شريعة استبدادية فليعلم انها شريعته الاشتراكية التي تحاول هدم المجتمع الانساني الحاضر وبنائه على اساس جديد . وما ذلك الاساس الجديد الا اقدم نظامات الاجتماع واخشنها وابعدها عن المدنية واقربها الى الوحشية كما قال (ادموز ديمولان) اني ارجو من القراء ان يعتقدوا بان نظام الاشتراكيين ليس بالجديد كما يعتقده الذين ادعوا انهم اخترعوه بل انه قديم انصرم عمره وذهبت ايامه . ونحن اذا جردنا هذا المذهب من تلك الالفاظ المقعره وارجعنا به الى صورته الحقيقية رأيناه انما يتقهقر بنا الى ما كانت عليه الامم الغابرة تقهقر البسطاء ان لم تقل تقهقر الجهلاء (١) وقد بسط هذا السياسي المحنك القول في ذلك واثبت ان هذا النظام هو نظام الروكية القديمة التي هي موجودة من يوم خلق الله

(١) وقال ( غوستاف لبون ) في كلامه على الجماعات مابعضه لترجع بها الى حالة الاشتراك الاولى التي كانت عليها العشائر قبل بزوغ شمس المدنية .

الدنيا ولا يزال بعض الامم يعيش فيها . ولا يهمنا الان ذلك ولا ما اثبته بواضح الدليل من ان العيشة الاشتراكية تلك العيشة الدنية الاتكالية التى هى على النقيض من العيشة الاستقلالية . ومن اراد تفصيل ذلك فعليه بمطالعة الفصل الثانى من كتابه .

وانما المهم لنا ان نبين انها شريعة استبدادية واقتصر حذراً من التطويل على شهادة اعظم علماء الاجتماع واشهرهم اعنى ( سبنسر ) فقد كان خصماً للاشتراكيين في مذهبهم ويعده ضرباً من الاستبداد . ويقول ان كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية يجب ان يكون حراً مطلقاً من كل قيد الا ما يقيده عن التعدى الى حرية غيره . وكان يقول من اغراضى نقض الاشتراكية التى كنت ولا ازال عدواً لها(١) فهذه الشريعة التى ملأ هذا الرجل عيبته من مدحها واطرائها وحاول هدم الشرايع لتجديد بنائها .

---

(١) وقع في كتاب ( لسبنسر ) اسمه التوازن الاجتماعى شئ يوهم الميل الى هذا المذهب ولكنه عاد وفسر مراده في المناظرة الشهيرة التي اثبتتها جريدة الشمس عن ٧ الى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وبين فيها انه من ابعد الناس عنه .



شريعة وحشية اتكالية استبدادية وزد عليها انها ممتنعة الحصول بتصديق علماء الاجتماع الذين يعتمد عليهم في ارائهم ولا يسع هذا وامثاله غير تقليدهم .

قال ( جوستاف لبون ) في الكلام على الاوهام ما لفظه واذا بحثت عن السبب في قوة الاشتراكية في عصرنا هذا وجدته ما اشتمل عليه من الخيال الذى لا يزال حياً في العقول فهو يتعظم ويتجسم مع تزاحم انوار العلم التى تبرهن على فساده وذلك لان قوته آتية من جهل دعاته بحقائق الاشياء جهلا كافياً يجرئهم على وعد الناس بالسعادة في الحياة وقال المقتطف ( ج ١٥ ) عن ( سبنسر ) ما لفظه يظهر لنا انه اميل الكتاب الى القطع باستحالة انتقاض الملكية الشخصية ولو لم يقطع بذلك صريحاً وفي كل واحدة من هذه المزايا الثلاث شهادة ناطقة بفضل هذه الشريعة العلمية الوحيدة المعدة للمستقبل كما يزعم هذا الرجل ولها فضائل اخرى جمة بودى لو امكنتنى الفرص كي اعرفك بها واعجبك منها .

٢ - ( ترفع الرؤساء بالشرايع الثيوقراطية عن الشعب ص ١١ ) ان اراد بان في تلك الشرايع ما يخول الرؤساء حق هذا الترفع فهذا كذب وافتراء . وقد علم من له ادنى اطلاع على هذه

الشريعة المباركة الاسلامية ولاشك ان جميع الشرائع الحقة مثلها في ذلك تأمر بالتواضع وتنهى عن التكبر بل تعده من الكبائر . ولو كان يحق ذلك لاحد لكان لصاحبها (صلى الله عليه وآله) وكان هو بآبائنا وامهاتنا اشد الناس تواضعا يجالس الفقراء ويواكلهم ويحادثهم وكذلك كانوا روساء الدين بعده وقد قال احد اصحاب علي عليه السلام (كان فينا كاحدنا) ولا اراك تحتاج الى زيادة بيان فقد كفتك عنها كتب التواريخ والسير وان كان قد جرى على عادته من اخذ الاديان بذنوب بعض اهلها فقد عرفت انا لاندعي العصمة في جميعهم وانه لايلحق نفس الاديان شيء منها وقد سبق بيانه في احدى المفاوضات المتقدمة ويكفي في مقابلة ذلك ما في كل عصر ومصر من علماء شيمتهم التواضع وسيماهم الخشوع .

٣ـ (استئثارهم بالامتيازات وجعل حقوقه معهم قليلة)

(ص ١١) وهذا ايضاً اما كذب وافتراء او تحميل الاديان ذنوب بعض الروساء . لانا لانعرف في الاحكام الالهيه حكماً خاصاً تميزهم عن الشعب (وقد مر في الكلمة الاولى بيان اشتراك المسلمين في الاحكام) ومن الواضح لدى المطلع على الشريعة الاسلاميه انه ليس للعالم والرئيس ان ياخذ درهماً من مال غيره ولا ان يختص



بشيء الا ما يخوله القانون العام الذي يشترك فيه مع سائر العوام وانما عليه بيان الاحكام والقضاء والافتاء ونحوها من الخدمات التي كلفتهم به الشريعة صيانة للحقوق العامة وجلباً لراحة الامة . وما هم للدين الا كالمأمورين للدول لابد للشعب منهم ولا غنى له عنهم فهم يتعبون انفسهم لراحته ويسهرون اعينهم لمصلحته وان كان يرجع الى عادته من اخذ الدين بفعل بعض اتباعه فيقول ان زيداً العالم فعل كذا وعمرو والقس اخذ كذا فقد سبق جوابه .

٤ – (سطوتهم على عقله وعواطفه بالسلطة الروحيه)

(ص ١١) ان كانت العقول والعواطف كعقله وعواطفه فمن اكبر حسنات الدين السطوة عليهما ولولاها لانتشرت الفوضوية والاشتراكية ونحوهما من المبادي المضرة بالهيئة الاجتماعية بل القالعة لاساس المدنية ولعم الامم كافة يوم لاح تباشير صباحه من افق الثورة الفرانسويه وان كانت العقول راجحة والعواطف صحيحة تسعيان بالانسان نحو اختراع الصنايع المفيدة واستكشاف الحقائق العلميه . فحاشا الدين من الضغط عليهما بل من الدين لهما الحرية

التامه . وقد سبق بيانه في احد المفاوضات المتقدمة .

٥ — ( التعاليم الدينيه تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لايعود يعتد به ( ص ٣ ) ويعتبر ان وطنه الحقيقى ليس في هذا المكان فالاهتمام بالحياة لايفيد ( ص ٢٩ ) .

هذا احد حيل هؤلاء في صرف الناس عن الدين بل اجدى حبائلهم في اقتناص عقول المغفلين وستعرف انشاءالله في المقالة الاتيه ان اهتمام الدين اصلاح الدنيا اكثر من اهتمام الملحدين وان الدنيا في اعتباره اهم منها عند هؤلاء . وقوله عن التعاليم الدينيه انها تفصل الانسان عن هذا العالم فهو كذب اومبالغة واعتبار الانسان ان وطنه الحقيقى ليس في هذا المكان لايلزم منه مااستنتج منه وهو قوله فالاهتمام بالحيوة الدنيا لايفيد وجميع ذلك يتضح لك باجلى بيان واوضح برهان انشاءالله في المقالة الاتيه . كما اتضح لك فيما مر بيان الواقع في قوله حتى صار الانسان ينظر الى الانسان كانه عدوه فلا املك بالتكرار ولا اكلفك الاان تقف فكرك على قوله وهو بالواقع لايفصله عنه شئ حتى ولا الموت . فما معناه على مذهبه ونفس الانسان عنده عمل كيمياوى اوعمل من اعمال الدماغ وقد بطل ذلك وعدم



قطعا فلا وجود له حتى يتصل بهذا العالم اوينفصل وسوى عظم ولحم واعصاب ونحوها مما يتركب منه جسده فقد انحل الجميع ورجع الى عناصره البسيطه التى تركب كيمياويا اوبعد هذا كله يسميه انسانا حتى يصح دعوى عدم انفصاله عن هذا العالم . وان تسامح واطاق عليه لفظ الانسان فاى رجل من اهل الدين بل واى جاهل من المتوحشين ينكر اتصاله بعد الموت بهذا العالم وهل اشتمل نوع البشر على غبي يتوهم ان جسد الانسان يعدم بعد موته اصلا حتى يكون موقعا لقول هذا الفيلسوف . وبالواقع ويعد قوله حلاً جديداً في مسئلة نظريه يشكره عليه العلم . اوليس اهل الدين اولى بهذا الكلام ان كان لابد منه لانهم يقولون ببقاء نفس الانسان ويثبتون لها ارتباطاً مع هذا العالم تختلف المذاهب في مقداره قوة وضعفا وتثبت من طرق اخبار الادله ضروبا واقساما . ثم على القول بالمعاد الجسمانى الذى يذهب اليه جمهور المليين تجتمع تلك الاجزاء في البعث وتعود انسانا كما كان غير مكترثة باستبعاد هذا الرجل واصحابه . وعلى بعض مذاهبهم يعود الى هذه الدنيا بعينها قبل المعاد وغير ذلك مما يطلع عليه المتتبع في

كتب الاديان .

٦ — ( افراطه في مدح العلوم الطبيعيه تذرعا به الى ذم العلوم الدينيه واسائته الادب اليها بل الى سائر العلوم اجمع ( ص ٣ ) و ( ص ٨ ) و ( ص ٣٠ ) وغيرها ) .

نقول بعد الاعتراف بفضل العلوم الطبيعية . والحث عليها ان ولوع هذا الدكتور بها بهذا الحد ليس بالامر النادر الذى يعز نظيره ولا المستغرب الذى لايعرف وجهه اذ كل من عرف طرفا من علم ولم يحط به علماً وتعلم الفاظاً منه ولم يحسن لمعانيه فهما وكانت معلوماته منحصرة بذلك الفن لاتتجاوزه الى غيره فانه يهيم بذلك العلم هذا الهيام بعينه ويغالى فيه هذا الغلو . ولكن متى احاط بذلك العلم خبرا واطلع الى غيره من العلوم رفض المبالغه والافراط . ورجع الى التوسط الذى هو سوى الصراط فاعطى كل فن حقه ووضعه موضعه . .

فانظر الى الطفل عند ابتداء اشتغاله بالنحو تجده ولم يتجاوز النصف من مقدمة ابن اجروم ( الاجروميه ) كيف يتجاوز الحد في حب النحو والتهافت عليه وكيف يثنى عليه بما لايثنى عليه مؤسسه ( سيبويه ) .



فكم سمعنا منه . لاشئ الذ من معرفة احكام المبتدأ والخبر . كما سمعنا صاحبك يقول . واى شئ الذ بل افيد من معرفة تحول المادة وقواها فيها ( ص ٣٠ ) وكم سمعناه يقول . ان النحو ابو العلوم اجمع . كما يقول هذا الرجل . فالعلوم الطبيعيه هى ام العلوم الحقيقيه ويقتضى ان يكون ام العلوم البشريه كافه ( ص ٨ ) وسمعنا منه ان النظر في غير النحو لايفيد كما سمعنا هذا الدكتور يقول . النظر الى ماوراء الطبيعة اضاعة الوقت فيما لايجدى . ( ص ٥٥ ) ولكن اكثر الاطفال اكثر ادبا من هذا الشيخ ولا يبلغ بهم سوء الادب مبلغه حيث يقول . ولا استغنى عن تلك الفلسفة النظريه المضللة . الى قوله تلك العلوم التى اشبه بهذيان المصدعين ( ص ٣ ) والطفل يرجى فيه زوال هذا الهوس مهما تضلع في النحو وتعلم غيره من العلوم . وهيهات ذلك في هذا الشيخ .

(اتروض عرسك بعدما هرمت ) . ( ومن العناء رياضة الهرم )

ومثل هذا الغلو في اطراء فن وذم غيره من اقوى دلائل القصور في ذلك الفن ولذلك تجد في كلام ( نيوتن ) و ( غاليله ) وغيرهما من ائمة الاكتشاف والاختراع ماتجده

فى كلام هذا الرجل الذى لاحظ له منها الاالترجمة ومن اظهر علائمه تكليف الفن ماليس في وسعه ومطالبته بما يخرج عن نطاق موضوعه فالعلماء المنتهون يقدرون كل فن قدره ولايقتطفون منه الاثمره فلايدخلون الهندسة في تصحيح اللسان ولايكلفون النحو تصحيح القياس والبرهان ولكن المبتدى في علوم الطبيعيه يقول فيها . وان تقدم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء ( ص ٨ ) ومن هذا الباب قول هذا الرجل .

٧ — ( العلوم الطبيعيه هى المعول الوحيد الذى يزعزع اركان تلك العلوم والمخل الذى يقلب الشرايع ) ( ص ١٠ ) و ( ص ١٤ ) والافاين مجرى السيل من مطلع سهيل واين تلك العلوم من الشرايع حتى تكون احداهما معولا لهدم الاخر وهل هذا الا لقول الطفل ان النحو معول لهدم علم الحساب

وظنى ان الذى اوقعه في هذا الخطأ وامثاله هو انه رأى في كلامه علماء (السوسيولوجيا )—علم الاجتماع — تشبيه الاجتماع بالجسم الحى توضيحاً لبعض مسائله بالتشبيه والمثال —كما ان الاطباء ربما عكسوا الامر فشبهو البدن



بالمملكة والطبيعة بالملك والمرض بالعدو الخارج عليه— فظن المسكين التشبيه حقيقة وبنى عليه المقالة الخامسة من مجموع مقالاته وقال ان علم الاجتماع داخل في علم الحياه (البيولوجيا)وقال فيها ايضاً—انتقل البحث في الاجتماع من دائرة الشريعة والسياسية الى دائرة علم الحياة— وبودى لوسمحت لى مقتضيات الاحوال فشرحت لك ماهية هذا المعول وبنيت لك وجوها للفرق بين جسم الحى والاجتماع واسمعتك كراهة مثل (هكسلى) وغيره من العلماء لهذا التشبيه ولكن البحث فيه يخرجنا عن موضوع الكلام في الاديان الى التكلم في السياسة وقد انبئتك بانها مضايق لا ادخل فيها والذي يناسب موضوعنا ان نقول ان هذا التشبيه على فرض صحته يؤيد احكام الشريعة الحقه ولا تنافيها وهى اقرب اليها من شريعة الاشتراكية التى عاداها (سبنسر) على ان هذا التشبيه اساس معتقداته الاجتماعيه وان شاء فليتحفنا بحكم واحد من احكام الشريعة الحقه تنافي هذا التشبيه لنبين له المخرج عنه والوجه فيه—

٨—(افتتانه بالصنائع الجديده ) (ص٦٣) وغيرها .

ولقد بلغ به هذا الهوس كل مبلغ واستهوته هذه الصنائع اى

استهواء وانتهى به العجب بمخترعيها الى سخف القول وسوء الادب واني على احترامي للصنائع المفيدة واعترافي لمخترعيها بالفضل لا ارضى للرجل ان يكون كالطفل يطير لبه ويندهش عقله اذا رأى طيارا بين السماء والارض او كالفلاح الذى سجد لصاحب البالون الواقع في ارضه او الوحشي الافريقي الذى ركع امام من حفر في ارضه بئرا ارتوازيه وانما احب له ان ينظر اليها بعين الاعتبار ليرى ان المخترع لاجل الصنائع لم يات بشئ من نفسه وانما وجد قوى موجودة في الكون ونواميس تجرى عليها الاشياء فصنع منها ما اراد بيد لم يصنعها بنفسه وتوصل الى فهم تلك النواميس بقوة فكر لم يوجدها بيده . وانما العجب فيها لمن سن على الكون هذه النواميس العظيمه واودع فيها هذه القوى الهائلة ثم صنع الانسان ومنحه عقلاً يدرك بها تلك النواميس واعطاه جوارح يستعين بها على استخدام تلك القوى وارشده الى مايلزم له لنجاح سعيه واتمام صنعته ولمخترع الاسلاك البرقيه فضل لا يجحد ولكن هل العجب فيها الا من تلك القوة العظيمه المتحركة بهذه الحركات السريعه والصادر منها النور والحرارة تحت تلك النواميس الثابته ثم من العقل الذى



اهتدى الى اكتشافيه . او كما يريد ان يسميه من الدماغ الذى يعمل مثل هذا الفكر وان كان هذا المعنى اجل من ان يصاغ على قالب عقله ويابى استقلال فكره المسبب عن علة صحبته في حداثته الا ان يدعه كالطفل الذى يتعجب من دواليب الساعة ويقول كل السر فيها كما يقول هذا — كل السر في الماده " (ص ٣١٨ ج ١) فلا اقل من ان يعلم ان لا شئ يضحك عليه اهل الدين كالمقايسة بين افعال الخارق والمخلوق ولا كلام اسمج من ابياته الباردة الكفرية المندرجة في خاتمة الحقيقه (ص ٣٦٠) تلك الابيات (١) التى تضحك اطفال العراق من ركاكتها وترتعد فرائص الرجال من استماعها .

وليعلم ثانياً ان احدا من اهل الدين لا يقول بان تلك القوى خارقة الطبيعة ولا يامر احد منهم بالاكتفاء بعلوم الدين عن علمها او ماطيران ريط وتكلم مركوني وابداع اديصون الا آيات لخالق الكون وجاعل نواميسه اذ لا يتوجه على احد ما تشدق به في (ص ٣٦) من المقدمة "

---

(١) ما كنت احسب ان لاحد الوقاحة وقلة الحياء الى ان رأيت هذه الابيات التى اشرت اليها في المتن وما مثل صاحبها يلام على شيئ وانما يعاتب كتاب اهل الاديان وعلمائها على سكوتهم عن مثلها بل

٩ – (استدلاله باعتراضات الاطفال على المقررة من مبادي الرجال) (ص ٢)

قال في اثناء كلام له . فما منا الا من سمع من اطفال عند اول نطقهم اعتراضات معقوله ضد مبادئنا المقررة الخ . ان اراد بهولاء الاطفال اطفال القمباني الذي شكله (١) مورمند باسم شريعة الناتور ( الطبيعة ) في بلاداميركا اوغيرهم من المتولدين على شريعه الطبيعة البولندرية ونحوها من اقسام الحب الحر فانا لانستبعد مانقله عنهم لان الفطره فاسدة فيهم بفساد الاصل واهل الدين يسيئون بهم الظن وان اراد بهم اطفال المؤمنين فحاشا ان نسمع منهم ماقال بل لانزال نسمع منهم دقائق المعرفه والتنبه لضروب من الاستدلال على التوحيد بمايعجب اذكياء الرجال ولولا انه لاينبغى للرجال الاستدلال باقوال الاطفال لاسمعتك

(١) شكل مورمند في بلاداميركا قمبانية من المومنين بشريعة الطبيعة ومن المؤمنات بها واباح لكل مؤمن بها التصرف في كل مؤمنة وكانت المرئة اذا سئلت عن زووجها قالت اني زوجة القمباني واذا سئل الطفل عن ابيه قال اني ابن القمباني



منها مقالات طريفه (١)

١٠ – ( اعتراضاته على مسئلة العدل ( ص٢٩ و٤٩ ) وعلى مسئلة المعاد (ص٥٠) ناظرناه على انه ملحد يرى الكون نتيجة الاضطرار فاثبتنا انه فعل الصانع المختار وكافر بالشرايع طاعن عليها جميعا فدافعنا عن المشترك بينها ودفعنا ماأورد عليها من الشبهات ولم نناظره على انه متكلم يعجز فهمه عن معنى الاختيار في افعال العباد ولا على انه حكيم متردد في مراد الشرايع من المعاد ولا .. ولا .. من المسائل التى تختلف فيها انظار العلماء ولاتتفق على شئ

(١) لما اشتد خوف العالم المتمدن من خرافه مصادمة الارض مع مذنب هالى سنه ١٣٢٧ وسرى الخوف من الغرب الى الشرق وباتت القلوب وجله خائفه زاعمه انه ازفه الازفه . نشرت احدى جرائد عاصمة طهران المحروسه واظنها ( ايران نو ) ان رجلا رأي طفلا صغيرا يلعب في الشارع ضاحكا مسرورا فقال له المتسمع بمصادمه المذنب والارض غداً فقال سمعت ولم اكترث بها لانى رأيت مهندس السكه الحديديه التى بين طهران وبلد عبدالعظيم لم يغفل من احتمال مصادمه القطارات الساريه عليها فصنع لها مفرقا (المقص) فكيف يغفله مهندس هذا الكون العظيم ومجري قطارات الكواكب فيه .

منها اراء جميع الملل . ونحن لانزيد في الجواب عن هذا ونظايره الواقعه في كلامه على قولنا ان موضع المناظره معه الاثبات في مقابلة الجحود والدين في الجمله حيال اللادين المحض فان نجع فيه الدواء وابله من الداء فهو مؤمن لامعطل وحينئذ ناظرناه في اى مسئلة شاء مما يختلف فيها انظار اهل الاديان وابنا له الحق فيها بواضح البرهان . والا فمن العبث المناظره في عدل البارى وسائر صفاته مع من ينكر مقدس ذاته ومن اضاعة الوقت الكلام في ضرورى الاديان مع من ينكرها ولايرى التدين باى دين كان .. ولا اقول هذا وايم الحق لصعوبة الجواب عما لفقه ولا للفرق مما اختلقه كيف وقد علم من له ادنى مشاركة في العلوم واقل اطلاع على كتب اهل الدين ان جميع ما اورده من الشبهات واضعافها مما يقصر عن فهمها فكره مذكور في كتب الاصول باجوبتها وهى موردة فيها باللسان العلمى وعلى ما تقتضيه القواعد العلميه لا كما يورده هذا بالصبغة العاميه . اترى ايها المطلع شبهته في المعاد سوي الشبهة المعروفه بالآكل والمأكول الا انه افرغها في قالب استبعاد عامى بالفاظ بارده كقوله حتى ان ذرة الكربون التى قامت بتكوين جزء من



رئة ابينا آدم عليه السلام — ولا ادري متى بدي له — قامت ايضا بتكوين ملائيين ملائيين من الرئات . وهل شبهته في العدل سوي اخس شبهات المجبره لكنه اوردها بعد ما سلبها حلى الفاظها فاوردها عوراء عاريه ... ولكن شريعة العلم تابي لنا ان نخرج من محل المناظرة وتمكن من نفائس اعلاق الدين الفئة الكافرة ونتكلم فيما تختلف فيه الانظار فيقع النزاع بيننا معاشر اهل الاديان وتتم علينا حيلة المعطلين كما كادت تتم قبل اليوم ببضع سنين وذلك لما كتب مقالة القران والعمران وانتصر للانجيل تارة وتارة للقران وهو كافر بهما معا ومبغض لاهليهما جميعا ولم يقصد سوي كيد اصحابهما بان يجعل بأسهما بينهما ويقف متفرجا عليهما مستهزءاً بهما ولكن لم يثبت قليلًا حتى رد الله كيده في نحره وعرف مضمر سره وخفى مكره .. فقل له ايها الدكتور : لايلدغ المؤمن من جحر مرتين هات ماتستند اليه في الحادث وكفرك لنسمعك الجواب عنه ودع الكلام في الصفات والافعال ونحوهما لرؤساء الاديان يناظر فيها بعضهم بعضا ويفحم فيها فريق فريقا فقد استرحت انت مما تعب لاجله الكرام ولست الغرض فيها فلما ذا تنصب نفسك

لسهام النقض والابرام ثم ان الجواب عن هذه المسائل لاتاتي الا مبتنية على مقدمات ثابتة في العلوم العاليه ولا تناله الافهام مدربه على البراهن العقلية فهب انى اوردت الاجوبه عن تلك الشبهات فهل لى منه سوي كلام سوقي يتبلد فهمه في علمية دقيقه ويقصر علمه عن معضلة علميه وهو قوله (ص٤٩) ولاعبرة بمايتوكئون عليه من البراهين الممله والحجج العريضه الذي يضيع اولها في اخرها لاثبات مايقولون فانه كله اجتهادي .

(١١) الافراط في ذم القديم والغلو في مدح الحديث (ص٤٧ وغيرها) مافرغ العلماء من رد اناس زعموا ان الفضل منحصر في القديم وان الاوائل ماتركوا شيئا للاواخر حتى نجم هذ الشيخ واصيبيه يذهبون الى الضد من ذلك القول ويتهكمون بعلوم الاوائل حتى قال هذا عنهم . كان معظم علمهم جهلا وجل افكارهم وهما . ولو ان هذا القول صدر — ومحال ان يصدر — من علماء الاختراع والاكتشاف لكان اهون مصيبة على العلم واخف وطأة على القلب ولكنه كلام من لاحظ له من العلوم الحديثه سوي التقليد كما يعترف به ويقنع نفسه في الفضل على مقلدة الاقدمين بالفرق بين



المنتقل والواقف (الحقيقه ص ٢٧٥) والحازم البصير لايرضى بان يبخس حق احد الفريقين ولا ان تلهيه عن طلب الفضل المفاضله بين الطائفتين بل يعترف للاوائل بفضل الاختراع وللاواخر بحسن الاتباع ويعلم ان لكل منهما خطاء وصواب وحقايق واوهام ثم يجعل الحقيقة ضالته التى ينشدها وياخذ بها اينما وجدها وما الحقيقة الا بنت البرهان ولا تختص بعصر وزمان وهذا مما اسهب في بيانه المنصفون من الكتاب وبينته انا في غير هذا الكتاب . ولولا الخروج عن موضوع الكتاب لقلت لهذا الدكتور .

(هلم خبي ودعى تعديدك) (ليغلبن خلقى جديدك)

ثم بينت له ان لا حديث الا من اصل قديم واوضحت له صحة (١) المثل ليس تحت الشمس شئ جديد .

(فصل)

ثم قال المؤمن لصاحبه هل بقي شئ مما ينعاه اللادينيون على الدين فتعرضه على لانظر فيه واجيبك عنه .

---

(١) ممن كتب في هذا الموضوع صاحب مجلة الهلال المصرى وفي المثل مبالغة او هو محتاج الى الشرح .

المهتدى ١٥ – اللهم لاسوى خيالات شعريه وشبهات سوفسطائيه وتهكمات عاميه هى احقر من ان اتكلف نقلها واكلفك دحضها .

المؤمن – ولكن عندى سؤالا لعلك سمعت منهم شيئا في جوابه . هل على مذهبهم قبيح اوشر وعلى فرض وجوده ماالوازع عنه وهل من حسن اوخير وان كان فما الذى يدعوا الانسان اليه .

المهتدى ١٦ – هذا السؤال ذكره صاحب الحقيقة في الفصل الرابع منهاواجاب عنه وهذا لفظه . قال الروحانيون وعليه فمذهب الماديون شر لايماثله شر لانه يلزم عنه ان لاخير ولاشر ولاحرام ولاحلال ولا ..ولا..وبالجملة يمتنع معه العمران فردعليهم الماديون لقد اخطأتهم فيمازعمتم كانكم تجهلون طبيعة العمران فالعمران ضرورى للبشر والالم تتم لهم الحياة والعمران لايكمل الابالتعاون على المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه وهذا التعاون لايكمل البتة بما وصفتم ولايكمل الابالاصطلاح على عادات معلومة تحسن معها المعاملات وهذا الاصطلاح لايكمل الااذاعرف الانسان ماله من الحقوق وما عليه



من الواجبات وهذه المعرفه لاتكمل الابالعلم والعلم هو العلم الصحيح وذلك كله لايكمل الابالحكم الوازع – الى ان قال بعد بيان ان هذا الحكم هو الشرع المفروض من البشر.. ولا يخفى ان الانسان في العمران اثنان عاقل وجاهل فالعاقل له بما يطلب من المجد الصحيح وبما اكتسبه كذلك من العلم الصحيح باحوال العمران وازع من نفسه . وذلك لما في طبعه وطبع كل حيوان من حب الذات فهو يترفع عن ارتكاب شر في حق غيره لئلا يعود هذا الشر بالوبال عليه والجاهل كالعاقل يحب ذاته وانما لجهله قد يخطئ الوسائط فلم يكن له رادع الا من سيف حاكمه وكلاهما ان لم يرد بهما ذلك كله لايردعهما سواه وليجرب نزع الحكم الوازع من بين البشر مهماعظم ايمانهم فانهم يقعون في الفوضى .

المؤمن – اول غلط في كلامه قوله نقلا عن الروحانيين وبالجملة يمتنع معه العمران . لان اهل الدين لم يملكهم هوس العمران كما ملكه فينحصر الخير والشر عندهم فيما ينفعه ويضره بل هناك ضروب من الخير والشر والحسن والقبيح وان تمس العمران بشئ بل وان لم يكن عمران اصلا .. ولو فرض انحصار نوع الانسان في شخصين احدهما اصم اكمه

مقعد معتوه لا يحصل منه التعاون ولا ترجى منه مصلحة متبادلة ولا ينفع العمران شيئا لكان من الخير والحسن بحكم الشريفين الدين والعقل . احسان الاخر اليه وتخفيف ويلاته واوصابه ولكان من الشر والقبيح الجد في ايذائه وعذابه وكذلك الزناء (عند من لا يسميه الحب الحر) وغيره من اقسام العهر والفسوق التي هي قبائح في نفسه وان لم تضر العمران بل وان نفعته ببعض معاني هذه الكلمه . ثم ان من الكلام الذي لا أعرف له نظيرا في تباين شطريه واختلاف طرفيه قوله . ولا يخفى ان الانسان في العمران اثنان الخ . لانك اذا سمعت الدكتور يتلفظ بالمحبوبين المجد الصحيح والعلم الصحيح هززت عطفيك مرحا وتمايلت اريحية وفرحا وحسبت انه يتحفك بضروب من المجد غفل عنها الاماجد الكرام وبفنون من العلم جهلها الفلاسفة العظام . ثم لا تلبث حتى ترى تفسيره للمجد الصحيح بحب الذات الذى لا يختص بالانسان بل هو موجود في اخس اقسام الحيوان . وتسمع تفسيره العلم الصحيح بخوف عود الشر بالوبال عليه . ولا ادرى ماذا يحل بك اذا رأيت تحول هذين العقلين النفيسين الذين هما اعز شيء عند الانسان الى هذين المعنين الدنيين



وكيف تكون اذا تبينت ان اقصى مجد الانسان العاقل الطالب للمجد الصحيح والمكتسب للعلم الصحيح ان يكون كالكلب لدى حانوت الجزار . يحمله حب الذات او كما يسميه مجد الصحيح . على انتياش اللحم ثم يرى الساطور في يد القصاب فيصده الخوف . او كما يسميه العلم الصحيح .

وعلى منهاج هذا المجد والعلم سرى اخوانه الماديون الكلبيون (١) من اليونان . اصحاب ابيقور . فقالوا ان السعادة هي اللذائذ النفسية الدينويه ولا مانع عنها الا هذه الاوهام التي قيد الانسان بها نفسه وسماها الفضايل كالعفة والحياء ونحوهما والواجب على الانسان ازالتها لتتم له السعادة فكانوا يحملون على موائد الناس اينما وجدوها حتى تعذر على اشراف اليونان عقد مجالس الولائم الى ان اهتدوا الى ان هؤلاء الفلاسفه لا يصدهم عن طلاب المجد الصحيح سوى العلم الصحيح فاعدوا لهم على ابواب دورهم اناسا بايديهم

---

(١) والسبب في اشتهارهم بهذا اللقب ان اصحاب الموائد كانوا يسمون هؤلاء الحكماء بالكلاب ويرمونهم بالعظام طردا لهم او انهم كانوا يحملون كالكلاب على الموائد .

النمال المطرقه وما كانت الفلاسفة لتدع المجد الصحيح
بذلك بل كان يحضرون والنمال تاخذ ماخذها من اقفيتهم .
وهنالك كانت الفلسفة الماديه تتجلى بابهي مظاهرها وتظهر
الانسانيه باكمل مفاخرها وتقوم الحرب بين المجد والعلم
والابيقوريون تارة يحملون بالمجد الصحيح (على المائده)
حملة الابطال وتارة يفرون عنها بالعلم الصحيح اذا اوجعتهم
النمال ونقفت منهم السبال .

وطريقة الكلبيين هى الطريقة المادية المحضه والالحادية
الصرفه ويلزم كل ملحد ان يسير عليها ولا قيد انمله عنها اذ
لايتصور على اعتقاده حسن ولا قبيح ولا حلال ولا حرام
ولا وازع عما تشتهيه نفسه الا شأبيب الصفع المنهلة على القذال
واذا رأيت احدهم يترفع عن بعض الافعال الدنيه اوينطق
بلفظ العفة والحياء وغيرهما من السجايا المرضيه فما هو منه
الا نفاق ورياء اللهم الا ان يكون جاهلا بمقتضى الحاده
اوخالطاً بينه وبين شيء من تعاليم الدين .

**

بيانه ان حب الذات (اكئست) فطرى الانسان بل الحيوان



كما سمعته من هذا الرجل والانسان العاقل . بل وغيره
حتى الحيوان . لايدع شيئاً من شهوات نفسه وملاذها من
غير وازع عنها ولا حاجة الى ان اطيل لك القول في ان طبع
الانسان مجبول على طلب الشهوات وتتبع الملاذ وان توقف
على قتل الغير وتعذيبه بل ولو على افناء نوع البشر اجمع
وكذلك ربما تتوقف مصلحة نفسه ونيل شهوته على الكذب
والنميمه ونحوهما مما يسمي عند اهل الدين بالمحرمات
وتوصف بقبائح الاخلاق . ولا ادرى باسمائها لدي الملحدين .
ولا يتصور رادع عنها بعد الدين الا امور ثلاثه دين يحكم
بقبحها ويردع عنها اومكارم اخلاق ترد جماح النفس
عن الدنايا اوالرادع المشترك بين الانسان واخس الحيوان
وهوخوف الضرر العاجل . اما العقل فانما يخضع لسلطانه
وينقاد لاحكامه من يراه جوهراً سماويا ورسولا باطنيا .
منح الله به الانسان وكرمه به ليعرفه الخير من الشر ويميز له
بين مايحب ومايكره لا من يراه عملا من اعمال الدماغ او
كما قال (كبانيس) النفس والعقل ليسا الا حركات
الاعصاب والدماغ ولا جنون اشد من الانقياد للعقل الذي
هذا اصله وتلك قيمته لاسيما . وهونفسه غير حر حقيقة

وانما يعمل وفقا لاحكام هي منشأ حركته (ص ٥٥ ج ل)

واما مكارم الاخلاق فان معرب شرح (بخنر) يذكر في مقدمة كتابه بعضا منها كالعفة والكرم والشجاعة ويجعلها ناشئة عن حب الذات وهذا صحيح ولكن بعد ثبوت حسنها بالدين او العقل ان حب الذات الصحيح حينئذ يدعو اليها الانسان. ولكن لا طريق له ولا لاصحابه الى اثبات حسنها بعد انكار الدين ودعوى مادية العقل كما عرفت فمن العبث حينئذ بل من الجنون المحض ترك ادنى الشهوات لاجل العفة والحياء او بذل فلس في سبيل الكرم والسخاء الخ. فلا وازع اذاً للانسان سوى العلم الصحيح كما يقول ولا فرق بينه وبين اخس الحيوان وكل منهما يسعى وراء شهواته ويطلب ملاذ نفسه ولا يتوقف عن شيء الا ما خاف من عود وباله عليه وانا لا ازيد على هذا الذي نفس ابية وعارف بشرف الانسانيه واقول لغيره ان ذلك لا يصلح ان يكون وازعا لجميع الاشخاص ولا في جميع الاحوال ولا عن جميع الشرور اذ من الشرور ما لا يخشى لعوده بالوبال عليه وان الجأتني الا ذكر مثال له فاعذرني اذا كانت فيه غضاضه فمن مكن حيوانا من نفسه هل يخشى ان يمكنه من نفسه الحيوان او غصب امرأة



نفسها هل يخشى ان تغصبه المرأة نفسه.

وماذا يمنع الانسان من قتل رجل ضعيف صادفه في ليلة ظلماء وهو يعلم انه لا يراه احد غير كواكب السماء.

وماذا يردع الجبابره والاقوياء اولي العدة والعدد من ظلم الناس لا ينتصر لهم احد.

واما ما هدد به الجاهل من سيف الحاكم فهو وان كان مما لا يستغنى عنه في دفع الشر ويلزم لحفظ النظام ولكنه لا يغني عن الدين ولا عن مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات اذ المريد للشر والقبيح كثيراً ما يمكنه التستر فلا تزعه الا العفة والحياء ونحوهما من الصفات او خوف من يراه اقرب اليه من حبل الوريد واعتقاداته «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد».

(سورة ق)

على انه لابد بسيفه الحاكم من جنود واعوان ولا بد ان يكون لهم روادع غير خوف الضرر من دين او مكارم اخلاق تمنعهم من الخيانة والغلول والظلم وتحثهم على المعاملة بالصدق واقامة العدل اذ من الممكن اتفاقهم على ستر فضائح اعمالهم عن سيف الحاكم فتكثر حينئذ المظالم ويزيد بهم العناء ويأتي الداء من حيث يرجى الشفاء.

وهذا بحث يحتمل سهب القول ووافي الكلام . ولكن
لا اري ان املك بطول البيان في امر يكفيك فيه الرجوع
الى نافذ فكرك والمحاكمة الى حر وجدانك . فانظر الى حالتنا
الاجتماعيه الحاضرة ومايقع فيها من الفساد ومايرتكب بعض
افرادها من الشرور الكثيرة لشهوة جزئيه ومايقترف من
الكبيره للذة حقيره مع ان كل فرد منها بحمدالله ( الاماشذ )
يعتقد بآله يحب الخير ويجزي به ويبغض الشر ويجازي عليه
لايغفل عنه عمر ثانيه ولاتخفى عليه خافيه ويعتقد بدين يحثه
على المعروف ويزجره عن المنكر يعده ويوعده ويرغبه ويهدده
ويعلمه بحياة اخري يفوز فيها بالنعيم الابدى ان اتقى واصلح
وبالشقاء ان ظلم وافسد . وزد عليه انه يعرف شرف الانسانيه
وفيه بقايا من محامد السجايا حياة من اجداده ونحلة من اسلافه
فما ظنك بالاجتماع اذا نزعت من افراده هذه المبادى الشريفة
ووضعت لهم تلك التعاليم الالحاديه فصار اهله . لاقدر الله .
لايدينون الابقوى صامته ولايعتقد احدهم برب يراقبه في
خلواته ويخشى عقوبته في حالتى حياته ومماته . ويري ان
لا كرم ولا سخاء ولا عفة ولا حياء ولا شيمة ولا اباء ولا .. ولا..
ويري هذا الخصال المسماة ( الى اليوم ) بالمكارم بقايا اوهام



وعادات ورثه انسان من ابائه المتوحشين اومن اجداده
البهائم ويعرف للانسانية قدرا بل يري انسان ظلم حياته
الا كالحيوان حسيا ومعنويا المقدمة ( ص ٤٣ ) ولكنه قد
طغى وتجبر وزعم انه سيد المخلوقات وهو الغاية المقصودة
بالذات والتى لاجلها خلق كل مافي الكون وهو قول لايقبله
العلم اليوم المقدمه ( ص ١٩ ) ولاخصلة محمودة الاحب الذات
ولاسعادة الاالتمتع بالشهوات وماالناس جميعا الابنو الارض
لجميع مافيها مشاع للكل والملكية الشخصية والاختصاص
ببعض المنافع ضرب من الاستبداد وماغيرة الانسان على
محارمه الا من البخل والحسد وماالشجاع الاميكروب
كميكروب الطاعون الى غير ذلك من تعاليم هذا الدكتور
وتعاليم سائر اخوانه .

نشدتك الله اذا عمت هذا التعاليم الاترجع الانسانيه الى
حالة تبكي عليها الوحوش وتستعيذ منها السباع ولا يوجد
على الارض نوع اشقى من الانسان معيشة ولا اتعس منه حظا .
وبهذه التعاليم يعالج هذا الدكتور جسم الاجتماع وهو طبيب
الافراد فيما يزعم وان كان بمثله يعالج العليل فهو كما قيل .

( مبارك الطلعة في طبه ) * ( لكن على الحفار والغاسل )

ولاادرى ماالذى وصفه الروحانيون حتى يكون مراده

من قوله فهذا التعاون لايكمل البتة بما وصفتم أما وصف الدين فضل التعاون ورغب في الكسب وجعل احكاما للمعاملات اوكما يسميه . الاصطلاح على حالات تحسن بها المعاملات وعرف الانسان ماله وما عليه من الحقوق وكملها بالعلم الصحيح والحكم الوازع وضمن جميع احكامه من الدقائق والحكم مايستدعي بيان ماوصل اليه ارقى العقول البشريه الى اليوم الى تصنيف كتب مبسوطة فماذا الذي فاته مما يحاول هذا الرجل وماذنبه الاعدم تخصيصه المجد والعلم الصحيحين بجب الذات الذى هو باكثر معانيه من اخس الصفات وبخوف الضرر الذى يعد للشاء والبقر ومن شابهما طبعا من البشر .

واما قوله . وليجرب نزع الحكم الوازع من بين البشر مهما عظم ايمانهم فانهم يقعون في الفوضى . فلا يلزم اهل الدين هذه التجربة ولايضر بمعتقدهم مايقوله ان صح . لانهم لم يدعوا قط الاستغناء بمجرد الدين عن الحكم الوازع كيف والدين هو الذي يضع العقوبات ويشرع احكام القصاص والحدود والديات ويعلم بلزوم الحكومات العادلة ويأمر بالانقياد لها والاولى ان يكلف اخوانه الفوضويين باجراء هذه التجربة لما تعلم .



***

نعم : مذهب الروحانيين ان الدين هو الوازع الاكبر والمصلح الاعظم وانه اذا نزع من بين البشر يقعون في الفوضى وينغمسون في المظالم وينتقض بناء الاجتماع من اصله فاذا يحق لنا الاقتراح عليه والقول بانه فليجرب نزع الايمان من بين البشر فانهم يقعون في الفوضى مهما قويت حكوماتهم . على انه لاداعي الى تكليف الدكتور بتجربة امر قد جربه اخوانه قبل اليوم بما يقرب من قرن فما انتج نزع الايمان الاتلك الثورة الفرانسويه بمذابحها الدمويه التى بقيت نقطة سوداء في صحيفة تاريخ الامة الفرانسويه وقد اتضح بها مفاسد نزع الدين حتى لدى ملاحدته من ارباب الثورة وغيرهم واعترفوا بخطائهم كما عرفتك في احدي مفاوضاتنا السابقه واسمعتك فيها انموذجاً من اعترافهم به .

المهتدى — لاشك ان لاشيء اصلح للانسان من الدين ولا طريقة امثل من اتباع النبيين ( صلى الله عليهم اجمعين ) وانا ارجو ان اعد في صف اهل الايمان واكون ممن نقل عنهم في محكم القران .

(سورة البقرة)

(امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

***

(تمت المناظره بحمد الله تعالى وبقيت من هذا القسم من)

(الكتاب مقالتان احداهما في بيان حيل سماسرة)

(الالحاد ومكائدهم والثانية في بيان)

(حقيقة الحياة والفرق بين الانواع)

(نفرد لهما انشاءالله جزءاً اخر)

(يثلث به اجزاء من)

(الكتاب)

م



(نصيحة تختص باهل الاديان بل تعم نوع الانسان)

ان سيل الالحاد الجارف قد توجه من كثير من المدارس العلمانيه الى منيع حمى الايمان . والملاحدة لايفترون ساعة من بث تعاليمهم وصدهم للناس عن طريق الدين . وقد جعلوا شعارهم الفاظاً تصبوا اليها القلوب كالعلم والاكتشاف والاختبار . واوهموا العوام ان العلوم الحديثه والاكتشافات الجديده تنافي الحقايق الدينيه . وقد لفقوا شبهات عاميه تناسب عقول العوام ومغالطات تبلغ من اذهان سائر الناس مالايبلغه قاطع البرهان والقياس . والاقتراح الذى اقترحه (بخنر) -- وقد مر نقله في اخر المقالة الاولى — (١) والامتحان الذى اجراه جمع من المعطلين في بلاد بريطانيا وان كانا مما يضحك منهما اقل اهل العلم . ولكن اهل العلم قليلون . ولكن لاشك ان لهذين واضرابهما من الوقع في الاذهان الساذجه ماليس لاقوي البراهين العلميه . ثم انهم قد اهتدوا

---

(١) وذلك ان جماعة منهم اجتمعوا في جنازة زوجة احدهم وكتبوا على سريرها كلمة الكفر وحيث انه لم يظهر الله سبحانه لهم ولم يثبت لهم وجوده جزموا بالتعطيل وكتب احدهم بهذا الامتحان الطريف الى اخوانه في الشرق ونشرته ارقى مجلاته .

الى ضروب من الحيل وساعدتهم اسباب سنعرفك بشطر منهما في المقاله الثالثه .

***

ولا يبعد والحال هذه — الا ان يدفع الله — ان تنتشر هذه التعاليم الفاسدة وتتمكن من اذهان العوام وهم عموم الناس حتى لايبقي على الايمان الا اهل العقول السليمه والاطلاع على الحقايق العلميه .

فعلى جميع علماء الاديان بل على كل امة تعتقد بمبدء فوق الطبيعة ويؤمن بمدبر لها ان يتداركوا هذا الخطر الذى يهدد الاديان لا الاديان وحدها بل المدنيه والانسانيه. وان يكونوا يداً واحدةً على هؤلاء وان اختلفوا فيما بينهم من المسائل الدينيه .

واحسن الوسائل التى تتخذ لمنع انتشار هذا الداء الدخيل ان تميز الحقايق الثابتة الدينية عن الملحق والدخيل ويفرق بين الامور الجوهريه والعرضيه وتميز اليقينيه عن الظنيه — ثم يبين لعامة الناس عدم مخالفة حقائقها الراهنه لشئ من المكتشفات العلميه .

( قديذ كر الشئ بالشئ والحديث شجون )



انى وايم الحق لا اطيل التعجب من الامم الغربيه وتمسكها بالنصرانيه كيف غفلت عن وخامة امر هؤلاء فتركتهم في بلادها لايفزع قطاهم ولاينده سربهم . وهم يكفرون جهاراً بربها ويكذبون نبيها ويستهزئون بتوراتها وانجيلها ويندّدون بطقوسها وشرائعها ثم انكفأة على المسلمين تلعقهم امرّ من الصبر وتذيقهم اشد العذاب على غير ذنب منهم سوى الايمان بالله تعالى وبجميع انبيائه ورسله وكتبه والاعتراف بسمو قدر المسيح وعصمته واعتقادهم بانه روح الله وكلمته وانه فرض على كافة الانام مودته واطاعته .

امن الدين ان يبقى في بلادهم الدخصمائهم واشداعدائهم مخلى السرب ممتعا بالحقوق العامة . ويضطر الى المهاجرة عن شبه جزيره البلقان اناس يقولون .

( صورة العنكبوت )

امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون . ويرتلون من كريم كتابهم .

( صورة آل عمران )

قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل

واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون)

(سبحان الله) انى اكتب هذه الاسطر وشركة الاخبار البرقية تنبئنا كل يوم بالمظالم التى تقع فى البلقان باسم الدين وبالاضطهاد الذى يقع على المسلمين.

تلك المظالم التى تبقى مدى الدهر عاراً على النوع الانسانى والاضطهاد الذى انسى التاريخ ديوان التفتيش الاسبانى.

***

فيا ايها القس الحاكم بان كل نسمة بلقانية مديونة بالكنيسة بكيت وكيت انى لا اناظرك الآن على اصول ديانتك ولا اقول ان النصرانية الحقيقية بل وعامة الشرايع بريئة من مقالتك بل ادع ذلك لغيرى من الكتاب او لنفسى ولكن في غير هذا الكتاب ولكن اقول اما علمت يا صاحب العكازة والطيلسان ان ورائك كافراً يأخذ هذه الفظايع حجة على ذم جميع الاديان ويقول:

واذا نظرنا الى التاريخ رأينا على صفحاته من الدم سطوراً لو جمعت لكانت بحوراً وما سببها الا العداوات



التى اثارتها الديانات (ص ٥٢ ج ل)

ونحن لم نفرغ بعد من جواب قوله (والنصرانية التى تفتخر بتعاليمها الادبية لا تقدر الا ان تحمر خجلاً مما اثارته من الفتن في القرون الوسطى) — ص ٥٣ —

فكيف رضيت ان نقرن مظالم القرون الوسطى بمظالم قرن العشرين وتشمت بنا وبك اعدائنا من الملحدين. ناشدتك الانصاف هل ترى مقالتك هذه خدمة للنصرانية واحساناً اليها ام تريها خدمة للالحاد واسائة الى النصرانية. اراك لم ترض المساجد وفيها ترتفع الاصوات بمجد السيد المسيح والصلوة عليه والاعتراف بطهارته وعصمته فجعلت وكدك تخريبها واعادتها كنائس فهلا عطفت نحو علمانية المدارس التى تعلم فيها الكفر والجحود ويصرح فيها من القول في المسيح (صلى الله عليه وسلم) بما يستفيد منه اعدائه اليهود.

اما انك ان اعدتها كنائس وازحت عنها القران وملأه تصديق المسيح ووصفه بانه روح الله و كلمته ونهيت عن تعليم شرايع الاسلام فيها فوشيكا تعود مدارس علمانية مكتوبة على ابوابها ما كتبه الجالية الطليانية في

الاسكندرية على احد معاهدها العلميه يوم تذكار محررها (غريبلدى)—العلم والادب لا يدركان الا بزوال العقايد والاديان—وسوف يتلى فيها بدل القران كتاب حياة المسيح للكافر (رنان) وتعلم فيها الفلسفة التى اسس بنيانها على اخر كلمة قالها (ديدرو)—الكفر اول خطوة نحو الفلسفة—والثورة الالحاديه لم يبعد بعد عهدها ولا طال امدها فقد علمت ما لاقت الكثلكة والكنائس منها . وما ورائها الا ان يدفع الله اشد واعظم والله اعلم . ولقد علم المطلعون انه لولا المطامع السياسية والعصبية السلافية لم تسمع لك في اقطارها كلمه ولا اريق بقولك من الدم ملأ محجمة . ولا شك ان السياسة سخرتك لمطامعها ووسمتك بطابعها فهلا تركت هذه المظالم للسياسة العوجاء لترزح وحدها تحت عارها ويبقى الدين منزها عن وصمها .

(رجع) وانى قد قمت—او حاولت القيام بهذا الفرض وبذلت جهدى فخدمت الجليلين الدين والانسانيه بهذه الخدمة الحقيره مع تناء البلد وقلة العدة والعدد . لم يحضرنى من العدة اللازمة لهذا المشروع سوى مجلدات معدوده من المجلات العلميه و كتب لا يبلغ عددها عشرة اللهم



الا بقايا في محفظة الذاكرة لم تمد اليها الحوادث يدا ولا رفعت نحوها طرفا . ولا اقول هذا اتباعا للعادة المتداولة بين المصنفين بل اقوله استنهاضا للهمم وحثا لارباب الاطلاع من اهل الدين على انشاء مثل هذا المشروع او عانتى بالمقالات العلميه والكتب النافعه لاعيد طبع هذا الكتاب واضيف اليه ما فاتنى فى الطبعة الاولى—وانى احث من طلب الحق من المعطلين ومن داخله الشك في امر الاثبات على تكرار النظر في المناظرة التى بنيت عليها المقالة الاولى من الجزء الثانى . فانها فيما ارى هى المصل الشافى والواقى من داء الالحاد . وليخابرنا بما يخطر في ذهنه من الفرق بين المصنوعات الالهية والميكانيكيات البشريه او من الاعتراض على شئ من الاجوبه المذكورة فيها وليكن عنوان المخابره .

القطر العراقي—كربلا—محلة العباسيه—ابو المجد محمد الرضا الاصبهانى النجفى .

## فهرس الجلد الثاني من كتاب نقد فلسفة ( درون )

صحيفه

١ المقالة الاولى
٤ اقامة البرهان على ان وجود الصانع بديهى لا يحتاج الى البرهان
٩ مناظرة المؤمن والمعطل
١٥ المسافرة ووصف ساعة مبير
١٨ معنى النظام والبحث عن قولهم اللانظام نسبي
٢٣ الفرق الاول بين مصنوعات الكون وبين الساعة والجواب عنه
٢٧ الفرق الثاني والجواب عنه
٢٩ قولهم ان فلسفة ( دارون ) تزيل الاعتقاد بالاسباب الغائية والجواب عنه
٣٨ استدلالهم بالاعضاء الاثرية على نفى القصد والغاية والجواب عنه
٤١ تهكم الماديين بالاسباب الغائية وبيان الوجه فيه
٤٢ الوجه في خفاء وجوده تعالى على من يعد من علماء المعطلين



صحيفه

٤٣ بيان ان فساد الوجدان في الاثبات نوع من المنمانيا ، وبيان الفرق بينه وبين الجنون المطلق
٤٨ بيان من يحكم عليه بهذا الداء من المعطلين
٥١ تهكم الماديين بهذا البرهان ، وقولهم انه حجة قديمة
» الجواب عن قولهم ليس في الطبيعة ما يدل على وجود الصانع تعالى
٥٦ فصل في الاستدلال على الاثبات بطريق آخر
٦٠ الجواب عن قولهم كيف يعقل وجود ليس بجسم الخ
٦٧ البحث عن الوحى الذى نزل على معرب ( بخنر ) فاوجب ارتداده
٧١ البحث عن قولهم ان المادة والقوة لا ينفصلان
٧٩ غلط المعطلين في فهم قول العلماء ان كل معلول لابد من علة
٨٢ قولهم ان تكون العالم من العدم امر مستحيل وجوابه
٨٣ استدلالهم على قدم المادة بعدم تغييرها وجوابه

صحيفه

٨٦ بيان ان القول بقدم العالم زمانًا لا يستلزم منه التعطيل

٩٢ تبرئة ارسطاطاليس مما قرفه به (بخنر)

٩٥ تبرئة الصوفيه مما رماهم به معرب شرح (بخنر)

٩٧ كلام لصاحب الحقيقة في قدم المادة وجوابه

١٠٦ اشكالات على مقررات الماديين في امر المادة

١١٨ المقالة الثانية في الدفاع عن الاديان

١١٩ الجواب عما زعمه من الفائدة في نفي الاديان

١٢٧ الجواب عما ذكره من وقع الدين في تقدم الامم وتأخرهم الخ

١٣٩ الجواب عما رمى به الدين من تقييده حرية الفكر

١٤٣ البحث فيما تصوره في حال الانسان السابح في بحر الاوهام

١٥٢ البحث فيما زعمه من خشونة التعاليم الدينية بادئ بدء

١٥٦ البحث فيما ذكره في وضع الاديان تعاليمها على قواعد ادبية



١٦١ الجواب عما عاب به الاديان من اثارة الحروب وغيرها

١٧٤ البحث في مدحه للثورة اللوثرية

١٨٧ البحث فيما زعمه من تحول الاديان بعضها عن بعض

١٩٧ البحث فيما ذكره في تشابه الاديان

٢٠٢ رميه الشرايع الالهية بالاستبداد

٢٠٧ ترفع الروساء بالشرايع الثيوقراطية عن الشعب

٢٠٨ استئثارهم بالامتيازات وجعل حقوقه معهم قليلة

٢٠٩ سطوتهم على عقله وعواطفه بالسلطة الروحية

٢١٠ التعاليم الدينية تفصل الانسان عن هذا العالم

٢١٢ افراطه في مدح العلوم الطبيعية

٢١٤ العلوم الطبيعية هى المعول الوحيد الذى يزعزع اركان تلك العلوم

٢١٥ افتتانه بالصنائع الجديدة

٢١٨ استدلاله باعتراضات الاطفال على المقررة من مبادي الرجال

٢١٩ اعتراضاته على مسئلتى العدل والمعاد
٢٢٢ الافراط في ذم القديم والغلو في مدح الحديث
٢٢٤ البحث فيما ذكره من معنى القبيح والشر على مذهب الماديين
٢٣٧ نصيحة تختص باهـل الاديان بل تعم نوع الانسان

﴿ تم الفهرست ﴾



# (جدول الخطآء والصواب للجزء الاول)

| صحيفه | سطر | خطـــاء | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢ | ٣ | البديمه | البديعية |
| « | ٦ | الايراد | الايراد |
| ٣ | ٢ | الى | لى |
| ٤ | ٢ | الرساله | الرسالة له |
| « | ٤ | ينتمى | ينتهى |
| ٧ | ١٤ | للخسران | لاالخسران |
| ٣ | ٤ | اما | ما |
| « | ٩ | وهو | هو |
| ٥ | ١٤ | الف | الطف |
| ١٢ | ١١ | عادتهم | عاداتهم |
| « | ١٧ | العلميات | العمليات |
| ١٥ | ١٨ | الشرقي | الشرق |
| ٢٥ | ١٣ | انتحالها | انتحالها |
| ٣٠ | ٦ | ظنا | ظننا |
| « | ١١ | عن | من |

| صحيفه | سطر | خطـــاء | صـــواب |
|---|---|---|---|
| ٣٠ | ١٣ | غيره | عمره |
| ٣١ | ١٢ | دلائلهم | دلائهم |
| « | ١٥ | من | عن |
| ٣٢ | ١٠ | عندها | عنها |
| ٣٣ | ١٦ | ملبرتش | ملبرنش |
| ٣٤ | ١٠ | يسبحونه | يسحبونه |
| ٣٤ | ١٤ | كل واحده | كل واحد |
| « | « | منهامركبه | منها مركبا |
| ٣٨ | « | مايلى | مابلى |
| ٣٩ | ٤ | ازمان | ازمات |
| ٤١ | ٤ | ليعلموا | ليعللوا |
| ٤٥ | ١٧ | خمسمائه اصناف | خمسمائه فحمل |
| « | « | | خمسة اصناف |
| ٤٦ | ١٤ | لايدل عدم | لايدل على عدم |
| ٤٩ | ١ | من الاهميه | من كثير الاهميه و |
| « | ١٥ | بشرط ارتقاء | بشرط الارتقاء |
| ٥٣ | ٢ | المفصل | المفضل |



| صحيفه | سطر | خطـــاء | صـــواب |
|---|---|---|---|
| ٥٥ | ١٦ | الكتاب | الباب |
| ٥٦ | ٣ | فلعل الانسان | فلعل بعض الانسان |
| ٥٧ | ٥ | الفى | التى |
| « | ٧ | دوتى | دوبى |
| ٥٨ | ٤ | الرجل | ارجل |
| « | ١٢ | تحت مباشرة | تحته مباشرة |
| ٦٢ | ١٦ | كيلر | كبلر |
| ٦٥ | ٢ | الاوجه | لاوجه |
| ٦٥ | ٧ | العيسولوجا | الفيسولوجيا |
| ٦٥ | ١٠ | أدعاء | دعوى |
| ٦٧ | ٦ | لمعلل | المعلل |
| « | ١٣ | درجه | درجة درجة |
| ٧٠ | ١٥ | العيسولوجيا | الفيسولوجيا |
| ٧٢ | ١٨ | اعطاء | اعضاء |
| ٧٤ | ٦ | الاعضاء | لاعضاء |

| صحيفه | سطر | خطاء | صواب |
|---|---|---|---|
| ٧٦ | ٦ | عامه | عاملة |
| » | » | ثالثه | اخرى |
| ٨٠ | ٢ | الاول | اول |
| » | ١٠ | انها | بانها |
| ٨٢ | ٦ | حقنة | حقنته |
| ٨٣ | ٤ | وقوع | وفرع |
| ٨٧ | ٤ | المعضل | المفضل |
| ٨٨ | ٩ | كدس | كسدس |
| ٨٩ | ٤ | الثالث | الرابع |
| ٩١ | ٧ | هؤلاء مزدوجة | حيوانات مزدوجة |
| ٩٢ | ٥ | فقاديتات | فقاريتات |
| » | ١١ | لذلك | كذلك |
| » | ١٤ | لتلك | لتلك من |
| ٩٤ | ١٤ | الرابع | الخامس |
| ٩٨ | ٩ | او | و |
| ٩٩ | ١٢ | مقابلة | مقالة |
| ١٠٠ | ٧ | القرد | واسطه القرد |



| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٠١ | ٥ و ٧ | موقعه | مرقعه |
| ١٠٣ | ١ | استدل على | استدل به على |
| ١٠٥ | ١٧ | مسافرته | حديث مسافرته |
| ١٠٦ | ١٣ | يوضع | بوضع |
| ١٠٧ | ١٢ | تقليات | التقليات |
| ١١٠ | ٧ | فان ظهر | فاظهرت |
| ١١٠ | ٩ | متاعه | صناعه |
| ١١٠ | ١٠ | يبيعونها | بيعها |
| ١١١ | ٢ | بنى | بنو |
| ١١٣ | ٢ | الخامس | السادس |
| ١١٤ | » | حكى نفسه | حكى عن نفسه |
| ١٢١ | ١٤ | المقصد | القصد |
| ١٢٣ | ١١٠ | صورا | لاتخاذها صورا |
| ١٢٦ | ١ | مجننه | مجنه |
| ١٢٨ | ٥ | يعيد | بعيد |
| ١٢٩ | ١٣ | يضعها | يصوغوا منها |
| ١٣٢ | ١٤ | بقريبة | بتربية |

| صحيفه | سطر | خطاء | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٣٥ | ٨ | لايصاغ اله | ان يصاغ له |
| ١٣٦ | ١٥ | لياقه | لباقه |
| » | ١٨ | للانواع | الانواع |
| ١٣٨ | ١٧ | كمايقول | لا كمايقول |
| ١٣٩ | ٥ | يخالفونها | يخالفونهما |
| ١٤٠ | ١٨ | يطلق | مطلق |
| ١٤٢ | ٧ | منها | ومنه |
| ١٤٣ | ٥ | نتيجة | نتيجته |
| ١٤٤ | ٩ | وتقتصيه | واقصى ماتقتضه |
| » | ١٣ | بجبل بك | تحيلك |
| ١٤٨ | ٢ | يقل ان يقدى | ان يفدى |
| » | ١٤ | المودوعه | المودعة |
| ١٥١ | ٨ | وكعروة | كعروة |
| » | ١٠ | كان قبيحا | كان ام قبيحا |
| ١٥٣ | ٤ | اللغلط | الغلط |
| ١٥٤ | ١٠ | تذكرة | تذكره |
| ١٥٥ | ٦ | لا انتخاب | لانتخاب |



| صحيفه | سطر | خطاء | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٥٧ | ٣ | محال | محل |
| » | ٥ | سائل | سائلا |
| ١٦٠ | ٤ | لسكته | لسكنة |
| » | ٧ | من احدهم | من ان احدهم |
| » | ١٧ | الجواب ـ ويمنح | الحراب ـ ويمتح |
| ١٦٢ | ٤ | الموجوده | الموجده |
| ١٦٤ | ٩ | راء في | اراء القوم في |
| ١٦٥ | ١٥ | اما ان | اما آن ان |
| ١٦٦ | ٣ | والنباتات | واجزاء النباتات |
| » | ١٦ | غيره ـ وهذه الالحاح | غير ـ وهذا |
| » | ١٧ | وتمحيص للحقايق وتنبيه | تمحيصا للحقايق وتنبيها لهؤلاء |
| ١٦٧ | ٩ | حفورى | جفروى |
| » | ١٤ | مذهبه | مذهب |
| » | ١٨ | الفصلى ـ يفضان | الفضيل ـ يقظان |
| ١٦٩ | ١٢ | من | من ان |
| ١٧١ | ٧ | فاسد | فافسد |

| صحيفه | سطر | خطاه | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٧٢ | ١٤ | يبين النقص | يتبين النقص |
| ١٧٦ | ١٨ | ششنيكوف | متشنيكوف |
| ١٧٩ | ١ | مسائل | سائل |
| ١٧٩ | ٢ | الدور التي ظن | الدور التي ضن |
| ١٧٩ | ١٥ | انشات ونشات | انشات اونشات |
| ١٧٩ | ١٨ | التظال | النضال |
| ١٨٠ | ٢ | للعلم | العلم |
| ١٨٢ | ٥ | المتبوذين | المنبوذين |
| ١٩١ | ٦ | متهما | بينهما |
| ١٩١ | ٦ | التميل | التمثيل |
| ١٩٤ | ٥ | نجلق الانواع | باستقلال الانواع |
| ١٩٥ | ٥ | الاخارع | الاخادع |
| ١٩٧ | ٧ | بلاتبن | بلاتين |
| ٢٠٢ | ١٣ | هو | هذا |
| « | ١٨ | ضلالتها | دلالتها |
| ٢٠٣ | ١٣ | بما | ربما |
| ٢٠٤ | ١١ | تجهله ـ فهوى | يجهله ـ فهو |



| صحيفه | سطر | خطأ | صوب |
|---|---|---|---|
| ٢٠٤ | ١٨ | يزهني | يزد في |
| ٢٠٥ | ١١ | تفهم | لاتفهم |
| ٢٠٧ | ٦ | بسبب | يسبب |
| ٢١٠ | ٨ | اختيارية ـ غريبا | اختبارية غريباً |
| ٢١٣ | ١ | البالشولوجيا | البالنتولوجيا |
| « | ٦ | الكميريه | الكمبريه |
| ٢١٦ | « | لم تحمل | لم تحل |
| « | ٨ | طمس | طمسن |
| ٢٢٠ | ١ | ثناء | الشتاء |
| « | ٩ | الكتاب | لكتاب |
| ٢٢٣ | ٦ | القفاريات | الفقاريات |
| ٢٢٥ | ٥ | كانوا | كان |
| ٢٢٦ | ٢٢ | الاحياء | الاعضاء |
| ٢٢٩ | ٣ | يشمل مايشمل | يشمل ماليس |
| « | ١٠ | غصن | غضون |
| ٢٣٢ | ١٨ | الاخطوط | الاخطبوط |
| ٢٣٦ | ٣ | لكوزل | لكرزل |
| ٢٤٢ | ١٤ | من الذي | من الجاب الذي |

## (تنبيه)

اقتصرنا في هذا الجدول وفي الجدول الاتى على الاغلاط التى تخفى على كثير من القراء وتركنا الاغلاط الواضحه وما تسامح فيه كالضماير ونحوها لعدم الفايده في ذكرها فليعتمد القاري الكريم على سليقته اولا وليراجع الجدول مهما صعب عليه شئ بعد ذلك

(الساقط من الجزء الاول مما يقرب من سطر او اكثر)

| صحيفه | سطر | بعد كلمة | الساقط |
|---|---|---|---|
| ١٢٠ | ٩ | ماقال | ولا من اتباعه فنميل حيث مال |
| ١٢٢ | ١١ | لبعض | من جهة وعدم موافقة الاحوال الخارجيه |
| ١٩٩ | ٢ | لم | لانها وجدت داخل القنينه وتلك الزجاجه |



## (جدول الخطأ والصواب للجزء الثانى)

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٦ | ١٥ | ان | اذ |
| ١٢ | ٥ | لربولانجى | لوبولانجى |
| ١٥ | ١ | جودكي | جوركي |
| ١٦ | ٩ | الارجل | الاورجل |
| ١٧ | ٣ | زمام | ذمام |
| « | ٥ | اورت | اردت |
| ١٩ | ١٣ | ساهدته في هذه الساعة | شاهدته هذه الساعة في هذه الساعة |
| ٢٠ | ٣ | موضوع | موضع |
| ٢٢ | ٤ | ترتيبها | ترتبها |
| « | ٦ | معلته | صنعته |
| ١٤ | ٧ | صامته | صامته من اوضح المحال |
| ٢٥ | ١٧ | مخترعها | مخترع الالات التجاريه اومحسنها |
| ٢٦ | ٨ | لاتجمع | لاتجتمع |
| « | ١٢ | خارجها | خارجا |

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٢٧ | ١٥ | يعقد | يعتمد |
| ٢٨ | ١ | سائرا | سادرا |
| ٣٠ | ٨ | ثم اخذ | ثم اذا اخذ |
| ٣٣ | ٦ | واما الانتخاب | وما الانتخاب |
| ٣٤ | ٥ | الايوسبقى | الايوسيني |
| ٣٥ | ١٢ | اساس | لاساس |
| ٣٦ | ٦ | يسعون | يسمعون |
| « | ١٠ | التعطيل ذريعه | التعطيل الامن اعده ذريعه |
| ٣٧ | ١٢ | زادهم | زارهم |
| ٤٧ | « | حب الانقياد للشهوات | حب الانفراد عن |
| ٤٢ | ٣ | جهة | حجة |
| ٤٣ | ٦ | يمكنني بما لمحت | يمكنني القول بما لمحت |
| ٤٦ | ٢ | كوزل | كرزل |
| « | ٣ | علامة الهامش في غير محله | محلها اول سطر السابع |
| « | ٧ | قوات | قرأت |
| ٤٩ | ٨ | نحوهما متمنياتهما | نحوهما من |



| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٤٩ | ١٠ | لاتسمي | ولا تسمى |
| « | « | رزئل | رذائل |
| ٥٠ | ٩ | الاول منه | الاول ومنه |
| ٥٤ | ٦ | الحدود | الحد |
| ٥٥ | ٨ | قطع | قلع |
| ٥٦ | ١٥ | مظنون | مضنون |
| ٥٧ | ٢ | تربين | تريني |
| ٦١ | ١٠ | عمله | علمه |
| « | ١٨ | يكفي | يكتفي |
| ٦٧ | ٤ | يقض | ينقض |
| « | ٦ | نصه | منصبه |
| « | ١٤ | يعبأ به عاقل | يعبأ عاقل |
| ٧٣ | ٧ | لاوبرهان | ولا برهان |
| « | ١٣ | الازلاليه | الازليه |
| ٧٦ | ٨ | المعطل | معطل ) والفراغ بينه وبين لفظ ملحد في غير محله |
| « | ٩ | والمؤمنون | ومعه المؤمنون |

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٨١ | ٩ | الماده | القوه |
| ٨٤ | ٣ | فيضيق | فليتسع |
| ، | ٧ | ظن | ضن |
| ٨٥ | ٥ | بنسبتها بل الى | بنسبتها الى |
| ، | ٦ | يشرك | بل يشرك |
| ٨٦ | ١٣ | وانفكاك | اوانفكاك |
| ٨٧ | ١١ | ازالت | ازلت |
| ٨٨ | ٩ | حجج أهل الفريقين | حجج الفريقين |
| ٨٩ | ٣ | جوابها | ماجوابها |
| ، | ١٠ | خارج | خارجا |
| ٩٢ | ١ | علة | علته |
| ، | ١٦ | قرنه | قرفه |
| ، | ١٨ | بخنر | لبخنر |
| ٩٤ | ١٧ | الميم | الميمر |
| ٩٦ | ٦ | تجددت | تحددث |
| ٩٧ | ١ | هذه | ماهذه |
| ١٠٢ | ١٣ | العلميه | العمليه |



| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٠٢ | ١٨ | فالجائتنى | فالتجات |
| ١٠٣ | ٥ | في اهل | من اهل |
| ، | ٧ | العشرات | العثرات |
| ١٠٤ | ١٢ | العلميه | العمليه |
| ١٠٥ | ٧ | من | متى |
| ١٠٦ | ١ | وخز | ووخز |
| ، | ١٢ | والاثير | اوالاثير |
| ١٠٨ | ١٨ | طريقها | طريفها |
| ١١١ | ١٣ | وفرق | ولافرق |
| ١١٢ | ١٣ | عليها | عليهما |
| ١١٣ | ٢ | المسنب | النسب |
| ١١٤ | ٨ | جمع | جميع |
| ، | ١١ | بعض | بعض المباينه |
| ١٢١ | ٣ | ص ٥ | ص ٣٥٢ |
| ١٢٣ | ٧ | متاعها | صنائعها |
| ، | ٧ | علاج | وعلاج |
| ١٤٢ | ٥ | فصار – بقول | فبعد – تدعون |

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٢٤ | ١٧ | بادیانها | بدينها |
| ١٣٠ | ٣ | الفكر | الكفر |
| » | ٨ | جميع | وان جميع |
| » | ١٢ | بجملة اتباعه | يحمله تبعة اتباعه |
| ١٣٢ | ١٤ | شفا | شفقة |
| ١٣٥ | ١ | نشب | لاتشب |
| » | ٢ | رقي | رنا |
| ١٣ | ١٢ | الملوان | الملوين |
| ١٣٨ | ٨ | بحجةالدين | (زائدتان) |
| ١٤٠ | ١٨ | السماء | السمك |
| ١٤٧ | ٨ | اخونه | آخرنه |
| ١٤٧ | ١٤ | عليها | عليهما |
| ١٤٨ | ١٧ | قلق | قلق الوساد |
| ١٤٩ | ٥ | اويسمع | ويسمع |
| » | ٨ | صدره | صدر |
| ١٥١ | ١٨ | غيرنالفظه لقبحه | (غيرنا لفظة لقبحه) |
| ١٥٣ | ٧ | نحن | ونحن |



| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٥٤ | ١٨ | الفلاسفه | وبين تعاليم الفلاسفه |
| ١٦٤ | ٩ | نشدك | نشدتك |
| ١٦٧ | ١٢ | المخيلة | المنجلة |
| » | ١٦ | دوبسبير | روبسبير |
| ١٧٠ | ٩ | من العلم | ثم ضمها الى الصحيح من العلم |
| ١٧٣ | ٨ | تقييد | يقيد |
| » | ١٨ | دون | رون |
| ١٧٥ | ٥ | بهذين | يقيده بهذين |
| ١٧٦ | ٣ | السابه | السابقه |
| » | ٤ | اليقين | الدين |
| ١٧٨ | ٥ | كتاب | الكتاب |
| ١٨٣ | ١٣ | اخر | اخره |
| ١٨٧ | ١٤ | لك | لك ان |
| ١٨٨ | ١٥ | ذيم | زيم |
| ١٩١ | ٣ | دنيا | ودينة |
| ١٩٣ | ٢ | المدنيه | المادية |
| ١٩٥ | ٣ | لمفاده | المقاده |

| صحيفه | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢٠٠ | ٤ | بمامن | كما اعتذر عن |
| « | ١١ | يظن | يضن |
| ٢٠٥ | « | الا | لا |
| ٢٠٦ | ١٧ | الشمس | التمس |
| ٢٠٩ | ٢ | حوها | نحوها |
| « | ٨ | والقس | القس |
| ٢١١ | ١٤ | الادله | الاحادله |
| ٢١٣ | ١٧ | تجد | لاتجد |
| ٢١٤ | ١٣ | لقول | كقول |
| ٢١٦ | ١٤ | وراشده | وارشده |
| « | ١٥ | ولمخترع | فالمخترع |
| ٢١٧ | « | اذلا | اذاً لا |
| ٢١٨ | « | مؤمنة | مؤمنة بها |
| ٢٢٦ | ١٧ | العقلين | العلقين |
| ٢٢٨ | ٩ | ولاقيد | ولايحيد قيد |
| ٢٣٠ | ٥ | انحب | اذحب |
| ٢٣١ | ١٣ | لسيفه | اسيف |



| صحيفه | سطر | خطاه | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢٣٢ | ١٢ | حياة | حيوة |
| ٢٣٣ | ٢ | ويعرف | ولايعرف |
| « | « | بل يري انسان | بل لايرى الانسان |
| ٢٤٠ | ١٠ | بالكنيسه | للكينسه |
| « | ١١ | بكيت وكيت | بكيت وذيت |

انتهى الخطأ والصواب

اطلعت على خطبة للشهير ( ورخوف ) اشهر علماء الجرمان
اثبتتها جمعية فكتوريا الفلسفيه وفيها شواهد على ماذكرناه
في بحث اصل الانسان ولما كان اطلاعي عليها بعد ماتجاوز
الطبع ذلك البحث اثبت طرفا منها اخر الكتاب فليطالعها
القراء وبالاخص لصحيفة ( ٣٩ ) و ( ٨٦ ) و ( ٩٤ ) ج ل

و ( ورخوف ) كما اعترف به احد اتباع فلسفة النشو من
اكبر علماء العصر ومن اعظم المقاومين لمذهب ( دارون )
وانصاره وقد قام لهم بالمرصاد منذ سنين كثيرة يعارضهم
ويخطئهم لا بالكلام الفارغ والسفسطات بل بالبحث والتنقيب
في الامور التي يبحثون فيها فاذا قاس انصار ( دارون )
خمسين جمجمه واستدلوا بقياسها على امر من الامور قاس
هو مأة جمجمه ليرى ماذا كانوا مخطئين اومصيبين واذا
استدلوا بتشريح المقابله اوبمباحث الفيسولوجيا او البيولوجيا
اوالانثروبولوجيا اوالاركيولوجيا نظر في استدلالهم بعين
الناقد البصر لانه من اكبر الثقات في هذه العلوم وامثالها .

قال ( ورخوف ) لما اجتمعنا في ( انسبرك ) منذ عشرين
سنة حينما نشرت اعلام النصر لمذهب ( دارون ) اول مرة
انضم صديق ( كارل فرغت ) الى انصار ( دارون ) فقوي



به امرهم وظن البعض ان مذهب ( دارون ) سيفوز فوزا
مبينا وانه سيثبت ارتقاء الانسان من القرود ونحوها
من العجماوات بالدليل القاطع وتحدث الناس بهذا الموضوع
بين مثبت وناف ومصدق ومكذب حتى صار شغلا شاغلا
الجميع وحسبوه العرض الاعظم من علم الانثروبولوجيا
الا ان العلم الطبيعي لايقر على امر مالم يثبت بالدليل .
وهو ينظر في الاراء والفروض ويبحث ولكنه لايحسب
لها اهمية مالم تقم الادله على صحتها امابالامتحان اوبالمشاهده .
اما مذهب ( دارون ) فلم يثبت حتى الان بالامتحان ولا
بالمشاهده اذا نظرنا اليه من وجهة الانثروبولوجيين وقد فتش
انصاره عن الحلقات التي تربط الانسان بالعجماوات فلم
يجدوا واحدة منها ولا وجدوا الحيوان المتوسط بين الانسان
وبينها ولذلك فهذا الحيوان المتوسط شيء وهمي عند علماء
الانثروبولوجيا لايبنى عليه حكم من احكامهم لانه ليس
موجودا . وقد يراه الانسان في الوهم اوفي الحلم ثم يقف فلا
يرى شيئاً لاننا عائشون الان في عالم الحقيقه لافي عالم الخيال .
وكانت معرفتنا بجماجم المتوحشين منذ عشرين سنه
قاصرة جدا ومزاعمنا كبيرة اما الان فلم يبق شعب من

والفرق بين الانسان والقرد واضح جدا حتى ان كل قطعة
من الواحد كافية ليستدل منها على النوع المقطوعة منه ولذلك
فالادلة على النشؤ الفعلي قاصرة جدا لا يبنى عليها حكم .
ولا بد من ان يزيد البحث والتنقيب للوقوف على ادلة اخرى
قوية . ولا اخفى عليكم ان كل اثار الناس التي وجدناها
في الكهوف والقبور القديمه تدل على ان اصحابها كانوا
اخوة لنا لا يستحى بهم . وقد تفحصت كل الجماجم التى
وجدت في بحيرات سويسرا فوجدت انها من قبائل مختلفه
تلا بعضها بعضا على ما اظن ولكن ما منهم من يمكن فصله
عن انباء هذا الزمان .

ولا نستطيع الان ان نحكم بحسب المعارف الطبيعيه
ما اذا كانت شعوب الناس وجدت كلها من اب واحد وام من
اباء كثيرين . فعلى كل انسان ان يحكم لنفسه بما يشاء .
فاذا نظر واحد الى هذه المسئلة من وجه ديني وقال ان الناس ان
كلهم من اب واحد وام واحدة بناء على ما تعلمه اياه الكتب
الدينية فليس لنا ما نعترض به عليه لانه من الممكن ان
يكون الناس قد تناسلوا من اب واحد وام واحدة ثم تغيرت
عليهم الاحوال فحدث ما نراه الان فيهم من الاختلاف انتهي .



شعوب الارض الا وعلمت احواله الطبيعيه والاجتماعيه
ماعدا شبه جزيرة ملقا فان احوال شعوبها لم تعرف تماما حتى
الآن والمظنون انهم اوطأ شعوب الارض واما غيرهم من
الشعوب كالبتاغونيين والاسكويمو والبشمن والقدا واهالي
لبلندا واستراليا وبولونيزيا وملانازيا فقد عرفوا وبعضهم
عرف اكثر من بعض الاوربيين فاننا نعرف من امور اهالي
بولونيزيا مثلا اكثر مما نعرف من امور بعض قبائل الارناووط .
وقد بحثنا البحث المدقق في بنية هؤلاء الشعوب وقسنا كل
عظم من عظام اجسامهم فلم نر بينهم شخصا واحدا يمكننا
الحكم بانه اقرب الى القرد منه الى اهالي اوربا او بانه ليس
من نوع الانسان .

ولا ينكر ان في بعض طوائف الناس صفات يشاركهم
القرد فيها كما في بروز الفك وفطس الانف مما يجعل العلاقه
قريبة بين تلك الطوايف والقرود حتى يحتمل ارتقاؤها من
القرود ولكن بين الاحتمال والقطع بونا شاسعا لان الصفات
المشار اليها لا تقوم نوع القرد بل المقوم له خواص اخرى .
وكل قدة من جلده كافية لتمييز نوعه عن غيره من الانواع .
ولا اظن ان واحدا من المشرحين المشهورين يرتاب في ذلك .

فلينظر المنصف اللبيب الى هذا البعد الشاسع الذي بين كلام الفيلسوف المنصف وبين ماملأ به (بخنر) كتابه من الاغراقات والمجازفات. وكفى به اختبارا لهذه الاختبارات التي يتداولون نقلها ويهددون الدين بها .

(تنبيه)

سبق في صحيفة (٢٠١) ج ١ امكان التولد الذاتى والمراد منه هو الابداع في الخلق اى وجود الحي من غير ان يتولد من حي اخر لامايضيف اليه اهل هذا القول من دعوى كون الحياة قوة طبيعية محضه وسنوضح حقيقة الحياة في الجزء الثالث من هذا الكتاب انشاء الله تعالى .

مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی